الابهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج

الجزء الأول

للشيخ العلامة / أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله

اعتنى به : حسن بن محمد بن منصور الدغريري

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة مسلم]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّكَ يَرْحَمُكَ اللهُ بِتَوْفِيقِ خَالِقِكَ ، ذَكَرْتَ أَنَّكَ هَمَمْتَ بِالْفَحْصِ عَنْ تَعَرُّفِ جُمْلَةِ الْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سُنَنِ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَشْيَاءِ بِالْأَسَانِيدِ الَّتِي بِهَا نُقِلَتْ ، وَتَدَاوَلَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَأَرَدْتَ ، أَرْشَدَكَ اللهُ أَنْ تُوَقَّفَ عَلَى جُمْلَتِهَا مُؤَلَّفَةً مُحْصَاةً ، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أُلَخِّصَهَا لَكَ فِي التَّأْلِيفِ بِلَا تَكْرَارٍ يَكْثُرُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ زَعَمْتَ مِمَّا يَشْغَلُكَ عَمَّا لَهُ قَصَدْتَ مِنَ التَّفَهُّمِ فِيهَا ، وَالِاسْتِنْبَاطِ مِنْهَا ، وَلِلَّذِي سَأَلْتَ أَكْرَمَكَ اللهُ حِينَ رَجَعْتُ إِلَى تَدَبُّرِهِ ، وَمَا تَؤُولُ بِهِ الْحَالُ إِنْ شَاءَ اللهُ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَمَنْفَعَةٌ مَوْجُودَةٌ ، وَظَنَنْتُ حِينَ سَأَلْتَنِي تَجَشُّمَ ذَلِكَ أَنْ لَوْ عُزِمَ لِي عَلَيْهِ ، وَقُضِيَ لِي تَمَامُهُ ، كَانَ أَوَّلُ مَنْ يُصِيبُهُ نَفْعُ ذَلِكَ إِيَّايَ خَاصَّةً قَبْلَ غَيْرِي مِنَ النَّاسِ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْوَصْفُ ، إِلَّا أَنَّ جُمْلَةَ ذَلِكَ أَنَّ ضَبْطَ الْقَلِيلِ مِنْ هَذَا الشَّأْنِ ، وَإِتْقَانَهُ ، أَيْسَرُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ مُعَالَجَةِ الْكَثِيرِ مِنْهُ ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ مَنْ لَا تَمْيِيزَ عِنْدَهُ مَنِ الْعَوَامِّ ، إِلَّا بِأَنْ يُوَقِّفَهُ عَلَى التَّمْيِيزِ غَيْرُهُ ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي هَذَا

كَمَا وَصَفْنَا ، فَالْقَصْدُ مِنْهُ إِلَى الصَّحِيحِ الْقَلِيلِ أَوْلَى بِهِمْ مِنَ ازْدِيَادِ السَّقِيمِ ، وَإِنَّمَا يُرْجَى بَعْضُ الْمَنْفَعَةِ فِي الِاسْتِكْثَارِ مِنْ هَذَا الشَّأْنِ ، وَجَمْعِ الْمُكَرَّرَاتِ مِنْهُ لِخَاصَّةٍ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ رُزِقَ فِيهِ بَعْضُ التَّيَقُّظِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِأَسْبَابِهِ وَعِلَلِهِ ، فَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ يَهْجُمُ بِمَا أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْفَائِدَةِ فِي الِاسْتِكْثَارِ مِنْ جَمْعِهِ ، فَأَمَّا عَوَامُّ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ بِخِلَافِ مَعَانِي الْخَاصِّ مِنْ أَهْلِ التَّيَقُّظِ وَالْمَعْرِفَةِ ، فَلَا مَعْنَى لَهُمْ فِي طَلَبِ الْكَثِيرِ ، وَقَدْ عَجَزُوا عَنْ مَعْرِفَةِ الْقَلِيلِ .

ثُمَّ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ مُبْتَدِئُونَ فِي تَخْرِيجِ مَا سَأَلْتَ وَتَأْلِيفِهِ ، عَلَى شَرِيطَةٍ سَوْفَ أَذْكُرُهَا لَكَ ، وَهُوَ إِنَّا نَعْمِدُ إِلَى جُمْلَةِ مَا أُسْنِدَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَنَقْسِمُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، وَثَلَاثِ طَبَقَاتٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى غَيْرِ تَكْرَارٍ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ مَوْضِعٌ لَا يُسْتَغْنَى فِيهِ عَنْ تَرْدَادِ حَدِيثٍ فِيهِ زِيَادَةُ مَعْنًى ، أَوْ إِسْنَادٌ يَقَعُ إِلَى جَنْبِ إِسْنَادٍ ، لِعِلَّةٍ تَكُونُ هُنَاكَ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الزَّائِدَ فِي الْحَدِيثِ الْمُحْتَاجَ إِلَيْهِ يَقُومُ مَقَامَ حَدِيثٍ تَامٍّ ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ مَا وَصَفْنَا مِنَ الزِّيَادَةِ ، أَوْ أَنْ يُفَصَّلَ ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ جُمْلَةِ الْحَدِيثِ عَلَى اخْتِصَارِهِ إِذَا أَمْكَنَ ، وَلَكِنْ تَفْصِيلُهُ رُبَّمَا عَسُرَ مِنْ جُمْلَتِهِ ، فَإِعَادَتُهُ بِهَيْئَتِهِ إِذَا ضَاقَ ذَلِكَ أَسْلَمُ .

فَأَمَّا مَا وَجَدْنَا بُدًّا مِنْ إِعَادَتِهِ بِجُمْلَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنَّا إِلَيْهِ ، فَلَا نَتَوَلَّى فِعْلَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى : –

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : فَإِنَّا نَتَوَخَّى أَنْ نُقَدِّمَ الْأَخْبَارَ الَّتِي هِيَ أَسْلَمُ مِنَ

الْعُيُوبِ مِنْ غَيْرِهَا ، وَأَنْقَى مِنْ أَنْ يَكُونَ نَاقِلُوهَا أَهْلَ اسْتِقَامَةٍ فِي الْحَدِيثِ ، وَإِتْقَانٍ لِمَا نَقَلُوا ، لَمْ يُوجَدْ فِي رِوَايَتِهِمْ اخْتِلَافٌ شَدِيدٌ ، وَلَا تَخْلِيطٌ فَاحِشٌ ، كَمَا قَدْ عُثِرَ فِيهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، وَبَانَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِهِمْ .

فَإِذَا نَحْنُ تَقَصَّيْنَا أَخْبَارَ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ ، أَتْبَعْنَاهَا أَخْبَارًا يَقَعُ فِي أَسَانِيدِهَا بَعْضُ مَنْ لَيْسَ بِالْمَوْصُوفِ بِالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ ، كَالصِّنْفِ الْمُقَدَّمِ قَبْلَهُمْ ، عَلَى أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِيمَا وَصَفْنَا دُونَهُمْ ، فَإِنَّ اسْمَ السَّتْرِ ، وَالصِّدْقِ ، وَتَعَاطِي الْعِلْمِ يَشْمَلُهُمْ كَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، وَيَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، وَلَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، وَأَضْرَابِهِمْ مِنْ حُمَّالِ الْآثَارِ ، وَنُقَّالِ الْأَخْبَارِ فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْعِلْمِ ، وَالسَّتْرِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَعْرُوفِينَ ، فَغَيْرُهُمْ مِنْ أَقْرَانِهِمْ مِمَّنْ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْإِتْقَانِ ، وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الرِّوَايَةِ يَفْضُلُونَهُمْ فِي الْحَالِ وَالْمَرْتَبَةِ ، لِأَنَّ هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ ، وَخَصْلَةٌ سَنِيَّةٌ أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا وَازَنْتَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ عَطَاءَ ، وَيَزِيدَ ، وَلَيْثًا ، بِمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَسُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ فِي إِتْقَانِ الْحَدِيثِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِيهِ ، وَجَدْتَهُمْ مُبَايِنِينَ لَهُمْ ، لَا يُدَانُونَهُمْ لَا شَكَّ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ ، لِلَّذِي اسْتَفَاضَ عِنْدَهُمْ مِنْ صِحَّةِ حِفْظِ مَنْصُورٍ ، وَالْأَعْمَشِ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِتْقَانِهِمْ لِحَدِيثِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ عَطَاءٍ ، وَيَزِيدَ ، وَلَيْثٍ .

وَفِي مِثْلِ مَجْرَى هَؤُلَاءِ إِذَا وَازَنْتَ بَيْنَ الْأَقْرَانِ كَابْنِ عَوْنٍ ، وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ مَعَ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ ، وَأَشْعَثَ الْحُمْرَانِيِّ ، وَهُمَا صَاحِبَا الْحَسَنِ ، وَابْنِ سِيرِينَ ، كَمَا أَنَّ ابْنَ عَوْنٍ ، وَأَيُّوبَ صَاحِبَاهُمَا ، إِلَّا أَنَّ الْبَوْنَ بَيْنَهُمَا ، وَبَيْنَ

هَذَيْنِ بَعِيدٌ فِي كَمَالِ الْفَضْلِ ، وَصِحَّةِ النَّقْلِ ، وَإِنْ كَانَ عَوْفٌ ، وَأَشْعَثُ غَيْرَ مَدْفُوعَيْنِ عَنْ صِدْقٍ ، وَأَمَانَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَلَكِنَّ الْحَالَ مَا وَصَفْنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ .

وَإِنَّمَا مَثَّلْنَا هَؤُلَاءِ فِي التَّسْمِيَةِ لِيَكُونَ تَمْثِيلُهُمْ سِمَةً يَصْدُرُ عَنْ فَهْمِهَا مَنْ غَبِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَرْتِيبِ أَهْلِهِ فِيهِ ، فَلَا يَقْصُرُ بِالرَّجُلِ الْعَالِي الْقَدْرِ عَنْ دَرَجَتِهِ ، وَلَا يُرْفَعُ مُتَّضِعُ الْقَدْرِ فِي الْعِلْمِ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ ، وَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ فِيهِ حَقَّهُ ، وَيُنَزَّلُ مَنْزِلَتَهُ .

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مَعَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ ، مِنْ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

فَعَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْوُجُوهِ ، نُؤَلِّفُ مَا سَأَلْتَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا عَنْ قَوْمٍ هُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ مُتَّهَمُونَ ، أَوْ عِنْدَ الْأَكْثَرِ مِنْهُمْ ، فَلَسْنَا نَتَشَاغَلُ بِتَخْرِيجِ حَدِيثِهِمْ ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ مِسْوَرٍ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَائِنِيِّ ، وَعَمْرِو بْنِ خَالِدٍ ، وَعَبْدِ الْقُدُّوسِ الشَّامِيِّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَصْلُوبِ ، وَغِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي دَاوُدَ النَّخَعِيِّ ، وَأَشْبَاهِهِمْ مِمَّنِ اتُّهِمَ بِوَضْعِ الْأَحَادِيثِ ، وَتَوْلِيدِ الْأَخْبَارِ .

وَكَذَلِكَ مَنِ الْغَالِبُ عَلَى حَدِيثِهِ الْمُنْكَرُ ، أَوِ الْغَلَطُ ؛ أَمْسَكْنَا أَيْضًا عَنْ حَدِيثِهِمْ .

وَعَلَامَةُ الْمُنْكَرِ فِي حَدِيثِ الْمُحَدِّثِ ، إِذَا مَا عُرِضَتْ رِوَايَتُهُ لِلْحَدِيثِ عَلَى رِوَايَةِ غَيْرِهِ مَنْ أَهْلِ الْحِفْظِ وَالرِّضَا ، خَالَفَتْ رِوَايَتُهُ رِوَايَتَهُمْ ، أَوْ لَمْ تَكَدْ تُوَافِقُهَا ، فَإِذَا كَانَ الْأَغْلَبُ مِنْ حَدِيثِهِ كَذَلِكَ كَانَ مَهْجُورَ الْحَدِيثِ ، غَيْرَ مَقْبُولِهِ ، وَلَا مُسْتَعْمَلِهِ .

فَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ : عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَرَّرٍ ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ ، وَالْجَرَّاحُ بْنُ الْمِنْهَالِ أَبُو الْعَطُوفِ ، وَعَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ ، وَحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ ضُمَيْرَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ صُهْبَانَ ، وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ فِي رِوَايَةِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْحَدِيثِ ، فَلَسْنَا نُعَرِّجُ عَلَى حَدِيثِهِمْ ، وَلَا نَتَشَاغَلُ بِهِ .

لِأَنَّ حُكْمَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَالَّذِي نَعْرِفُ مِنْ مَذْهَبِهِمْ فِي قَبُولِ مَا يَتَفَرَّدُ بِهِ الْمُحَدِّثُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ قَدْ شَارَكَ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَالْحِفْظِ فِي بَعْضِ مَا رَوَوْا ، وَأَمْعَنَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُوَافَقَةِ لَهُمْ ، فَإِذَا وُجِدَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا لَيْسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ قُبِلَتْ زِيَادَتُهُ .

فَأَمَّا مَنْ تَرَاهُ يَعْمِدُ لِمِثْلِ الزُّهْرِيِّ فِي جَلَالَتِهِ ، وَكَثْرَةِ أَصْحَابِهِ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ لِحَدِيثِهِ ، وَحَدِيثِ غَيْرِهِ ، أَوْ لِمِثْلِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، وَحَدِيثُهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَبْسُوطٌ مُشْتَرَكٌ ، قَدْ نَقَلَ أَصْحَابُهُمَا عَنْهُمَا حَدِيثَهُمَا عَلَى الِاتِّفَاقِ مِنْهُمْ فِي أَكْثَرِهِ ، فَيَرْوِي عَنْهُمَا ، أَوْ عَنْ أَحَدِهِمَا الْعَدَدَ مِنَ الْحَدِيثِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِمَا ، وَلَيْسَ مِمَّنْ قَدْ شَارَكَهُمْ فِي الصَّحِيحِ مِمَّا

عِنْدَهُمْ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ قَبُولُ حَدِيثِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

قَدْ شَرَحْنَا مِنْ مَذْهَبِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ بَعْضَ مَا يَتَوَجَّهُ بِهِ مَنْ أَرَادَ سَبِيلَ الْقَوْمِ ، وَوُفِّقَ لَهَا ، وَسَنَزِيدُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى شَرْحًا وَإِيضَاحًا فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَخْبَارِ الْمُعَلَّلَةِ ، إِذَا أَتَيْنَا عَلَيْهَا فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَلِيقُ بِهَا الشَّرْحُ وَالْإِيضَاحُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَبَعْدُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَلَوْلَا الَّذِي رَأَيْنَا مِنْ سُوءِ صَنِيعِ كَثِيرٍ مِمَّنْ نَصَبَ نَفْسَهُ مُحَدِّثًا ، فيمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ طَرْحِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ ، وَالرِّوَايَاتِ الْمُنْكَرَةِ، وَتَرْكِهِمُ الِاقْتِصَارَ عَلَى الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ مِمَّا نَقَلَهُ الثِّقَاتُ الْمَعْرُوفُونَ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَإِقْرَارِهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَقْذِفُونَ بِهِ إِلَى الْأَغْبِيَاءِ مِنَ النَّاسِ هُوَ مُسْتَنْكَرٌ ، وَمَنْقُولٌ عَنْ قَوْمٍ غَيْرِ مَرْضِيِّينَ مِمَّنْ ذَمَّ الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِثْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَشُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، لِمَا سَهُلَ عَلَيْنَا الِانْتِصَابُ لِمَا سَأَلْتَ مِنَ التَّمْيِيزِ ، وَالتَّحْصِيلِ .

وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ مَا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ نَشْرِ الْقَوْمِ الْأَخْبَارِ الْمُنْكَرَةِ بِالْأَسَانِيدِ الضِّعَافِ الْمَجْهُولَةِ ، وَقَذْفِهِمْ بِهَا إِلَى الْعَوَامِّ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ عُيُوبَهَا ، خَفَّ عَلَى قُلُوبِنَا إِجَابَتُكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ .

(١) بَابُ وُجُوبِ الرِّوَايَةِ عَنِ الثِّقَاتِ ، وَتَرْكِ الْكَذَّابِينَ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

وَاعْلَمْ وَفَّقَكَ اللهُ تَعَالَى : أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ عَرَفَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ صَحِيحِ الرِّوَايَاتِ وَسَقِيمِهَا ، وَثِقَاتِ النَّاقِلِينَ لَهَا مِنَ الْمُتَّهَمِينَ ، أَنْ لَا يَرْوِيَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَرَفَ صِحَّةَ مَخَارِجِهِ ، وَالسِّتَارَةَ فِي نَاقِلِيهِ ، وَأَنْ يَتَّقِيَ مِنْهَا مَا كَانَ مِنْهَا عَنْ أَهْلِ التُّهَمِ ، وَالْمُعَانِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الَّذِي قُلْنَا مِنْ هَذَا هُوَ اللَّازِمُ دُونَ مَا خَالَفَهُ ، قَوْلُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] ، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢] ، فَدَلَّ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ هَذِهِ الْآيِ أَنَّ خَبَرَ الْفَاسِقِ سَاقِطٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، وَأَنَّ شَهَادَةَ غَيْرِ الْعَدْلِ مَرْدُودَةٌ ، وَالْخَبَرُ وَإِنْ فَارَقَ مَعْنَاهُ مَعْنَى الشَّهَادَةِ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ ، فَقَدْ يَجْتَمِعَانِ فِي أَعْظَمِ مَعَانِيهِمَا ، إِذْ كَانَ خَبَرُ الْفَاسِقِ غَيْرَ مَقْبُولٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَمَا أَنَّ شَهَادَتَهُ مَرْدُودَةٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ . وَدَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى نَفْيِ رِوَايَةِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْأَخْبَارِ كَنَحْوِ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَى نَفْيِ خَبَرِ الْفَاسِقِ ، وَهُوَ الْأَثَرُ الْمَشْهُورُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : { مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ } .

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنِ الْحَكَمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَيْضًا ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، وَسُفْيَانَ ، عَنْ حَبِيبٍ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ .

(التعليق)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين :

أقول : في قول الله تعالى : " ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] " أنَّ الواجب على المسلمين الأخذ بقول العدل ، وروايته ، وقد أرسل ﷺ رسلًا إلى أقوام كثيرين ، وإلى جهاتٍ مختلفة ، فلزمت الحجة من بلغتهم الدعوة ؛ بواسطة هذا الواحد العدل ، وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : { أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ؛ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً ، فَنَادَى : أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ ،

فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ }[1]ولا شكَّ أنَّ النبي ﷺ قد بلغته هذه الحادثة ، ولم ينكر عليهم ، ولهذا شواهد كثيرة ؛ لا يتسع المقام لبسطها [1] .

قوله : " وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢] " الذي يظهر لي أنَّ من لم يُعلم فسقه ؛ فهو على أصل العدالة ما لم يكن هناك ما يخالفها ، والمسألة تحتاج إلى بحث [2] .

قوله : " ﷺ : { مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ } " فلا يجوز لأحدٍ أن يروي الموضوع ، والمناكير ؛ التي يعلم بأنَّها موضوعة ، وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ٥٢٧ .

(١) من أدلة العمل بخبر الآحاد ما ذكره الشوكاني رحمه الله في إرشاد الفحول ص ٤٩ " من قبول عمر رضي الله عنه لمسح الخفين برواية سعد بن أبي وقاص ، قبول عمر رضي الله عنه لتوريث المرأة من دية زوجها بشهادة الضحاك بن سفيان الكلابي، وقبول عمر رضي الله عنه شهادة حمل بن مالك في إملاص المرأة، وقبول عثمان شهادة فريعة بنت مالك بن سنان في اعتداد المرأة في بيت زوجها، وقبول أبي بكر خبر عائشة في وفاة النبيﷺ يوم الاثنين ، وقبول عمر رضي الله عنه لخبر عمرو بن حزم في أنَّ دية الأصابع سواء، وقبول خبر عبد الرحمن بن عوف في أمر الطاعون ، وفي أخذ الجزية من المجوس " اهـ .

[2] قال المقدسي رحمه الله في العدة : " مسألة : (ولا تقبل شهادة مجهول الحال) لأن العدالة شرط ،لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [الطلاق: ٢] وقال : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وهذا غير مرضٍ، وهو غير معلوم العدالة ، فلا تقبل شهادته كالفاسق " اهـ.

(٢) بَابُ تَغْلِيظِ الكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) **وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا رضي الله عنه يَخْطُبُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ } .

(٢) **وحَدَّثَنِي** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ عُلَيَّةَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : { مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } .

(٣) **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } .

(٤) **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ ، قَالَ : أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُغِيرَةُ أَمِيرُ الْكُوفَةِ ، قَالَ : فَقَالَ الْمُغِيرَةُ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : { إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } . **وحَدَّثَنِي** عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَسَدِيُّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ : { إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ } .

(التعليق)

أقول : قوله ﷺ : { لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ } هذا نهي للأمة أن يكذبوا ، وأنَّ من تعمَّد الكذب على رسول الله ﷺ يلج النار ؛ وهل تكفِّر التوبة ذلك الله أعلم ؟ لأنَّ الكذب على رسول الله ﷺ فيه إضلالٌ للناس ، وتمويهٌ عليهم .

ويؤخذ منه أنَّه لا يجوز لأحدٍ أن ينسب حديثًا إلى رسول الله ﷺ وهو لا يعلم صحته ؛ إلَّا مع بيان مرتبته .

وقوله : { فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ } وفي الرواية الأخرى : { مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } معناه أنَّ من استهان بالكذب على رسول الله ﷺ فإنَّه لا بدَّ أن يلج النار ؛ لأنَّ الأمر بالولوج في النار ؛ سببه الكذب على رسول الله ﷺ .

أما قوله ﷺ : { فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } أي فليتخذ له منزلاً في نار جهنَّم فهو لا بدَّ أن يدخلها ، وبالله التوفيق .

(٣) بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ

(٥) **وَحَدَّثَنَا** عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَا : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ } .

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ .

وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ : « بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ لِي مَالِكٌ : « اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : « بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ ، يَقُولُ : « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ » .

وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُقَدَّمٍ ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ ، قَالَ : سَأَلَنِي إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : إِنِّي أَرَاكَ قَدْ كَلِفْتَ بِعِلْمِ الْقُرْآنِ ، فَاقْرَأْ عَلَيَّ سُورَةً ، وَفَسِّرْ حَتَّى أَنْظُرَ فِيمَا عَلِمْتَ ، قَالَ : فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ لِيَ : احْفَظْ عَلَيَّ مَا أَقُولُ لَكَ : « إِيَّاكَ وَالشَّنَاعَةَ فِي الْحَدِيثِ ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا حَمَلَهَا أَحَدٌ إِلَّا ذَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَكُذِّبَ فِي حَدِيثِهِ » .

وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَا : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ : « مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً » .

(التعليق)

قوله : ﷺ : { كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ } لذلك فإنَّه ينبغي للمرء أن يتقي الله في قوله ، وفعله ، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﵁ : {كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ قَالَ : عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ } .[1]

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٠١٦ وأخرجه الإمام ابن ماجه برقم ٣٩٧٣ وأخرجه الإمام الترمذي برقم ٢٦١٦ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ١١٣٣٠ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٢٦٦ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٧٧٧٤ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٥٤٩ وصحح الحديث الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٥١٣٦ .

(٤) بَاب النَّهيُ عَنْ الرِّوايةِ عَنْ الضُّعفَاءِ ، والاحْتِيَاط فِي تَحَمُّلِهَا

(٦) **وحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو هَانِئٍ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : { سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ، وَلَا آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ } .

(٧) **وحَدَّثَنِي** حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو شُرَيْحٍ أَنَّهُ سَمِعَ شَرَاحِيلَ بْنَ يَزِيدَ ، يَقُولُ : أَخْبَرَنِي مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ، وَلَا آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، لَا يُضِلُّونَكُمْ ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ } **وحَدَّثَنِي** أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ ، فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ ، فَيَتَفَرَّقُونَ ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ : سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ ، وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : « إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً ، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ سَعِيدٌ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ ، عَنْ طَاوُسٍ ، قَالَ : جَاءَ هَذَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ- يَعْنِي بُشَيْرَ بْنَ كَعْبٍ - فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا ، فَعَادَ لَهُ ، ثُمَّ حَدَّثَهُ ، فَقَالَ لَهُ : عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا ، فَعَادَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَدْرِي أَعَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ ، وَأَنْكَرْتَ هَذَا ؟ أَمْ أَنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ ، وَعَرَفْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : « إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذَبُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ ، تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ ، وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَمَّا إِذْ رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ ، فَهَيْهَاتَ » .

وحَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْغَيْلَانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ يَعْنِي الْعَقَدِيَّ ، حَدَّثَنَا رَبَاحٌ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ، وَيَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ

: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ﵁ مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي ، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَا تَسْمَعُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵁ : « إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا ، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ ، وَالذَّلُولَ ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ » .

حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ ﵁ ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﵁ أَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابًا ، وَيُخْفِي عَنِّي ، فَقَالَ : « وَلَدٌ نَاصِحٌ أَنَا أَخْتَارُ لَهُ الْأُمُورَ اخْتِيَارًا ، وَأُخْفِي عَنْهُ » ، قَالَ : فَدَعَا بِقَضَاءِ عَلِيٍّ ، فَجَعَلَ يَكْتُبُ مِنْهُ أَشْيَاءَ ، وَيَمُرُّ بِهِ الشَّيْءُ ، فَيَقُولُ : « وَاللهِ مَا قَضَى بِهَذَا عَلِيٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَلَّ » .

حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ ، عَنْ طَاوُسٍ ، قَالَ : « أُتِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵁ بِكِتَابٍ فِيهِ قَضَاءُ عَلِيٍّ ﵁ ، فَمَحَاهُ إِلَّا قَدْرَ » ، وَأَشَارَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِذِرَاعِهِ .

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، قَالَ : « لَمَّا أَحْدَثُوا تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ عَلِيٍّ ﵁ ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ : قَاتَلَهُمُ اللهُ ، أَيَّ عِلْمٍ أَفْسَدُوا » .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ يَعْنِي ابْنَ عَيَّاشٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ ، يَقُولُ : « لَمْ يَكُنْ يَصْدُقُ عَلَى عَلِيٍّ ﵁ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ إِلَّا مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ » .

(التعليق)

يقول النووي رحمه الله في شرحه لأحاديث مسلم : " أمَّا أحكام الباب ، فحاصلها أنَّه لايقبل رواية المجهول ، وأنَّه يجب الاحتياط في أخذ الحديث ، فلايقبل إلاَّ من أهله ، وأنَّه لاينبغي أن يروي عن الضعفاء ، والله سبحانه وتعالى أعلم " انتهى .

(٥) بَابٌ بَيَانٍ أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ ، وأَنَّ الرواية لا تكون إلا عن الثقات ، وأَنَّ جرح الرواة بما هو فيهم جائز ؛ بل واجبٌ ؛ وأنَّه ليس من الغيبة المحرَّمة ؛ بل من الذَّبِ عَنِ الشَّرِيْعَةِ المُكَرَّمةِ

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، وَهِشَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ : وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ » .

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : « لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، قَالُوا : سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ » .

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، أَخْبَرَنَا عِيسَى وَهُوَ ابْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى ، قَالَ : لَقِيتُ طَاوُسًا ؛ فَقُلْتُ : حَدَّثَنِي فُلَانٌ كَيْتَ ، وَكَيْتَ ، قَالَ : « إِنْ كَانَ صَاحِبُكَ مَلِيًّا ، فَخُذْ عَنْهُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، أَخْبَرَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ الدِّمَشْقِيَّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى قَالَ : قُلْتُ لِطَاوُسٍ : إِنَّ فُلَانًا حَدَّثَنِي بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ : « إِنْ كَانَ صَاحِبُكَ مَلِيًّا ، فَخُذْ عَنْهُ » .

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، عَنِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : « أَدْرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ مِائَةً ، كُلُّهُمْ مَأْمُونٌ ، مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمُ الْحَدِيثُ ، يُقَالُ : لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ – قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مِسْعَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ : « لَا يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا الثِّقَاتُ » .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُهْزَاذَ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَانَ بْنَ عُثْمَانَ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ ، يَقُولُ : « الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ » .

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي رِزْمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ ، يَقُولُ : « بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْقَوَائِمُ » يَعْنِي الْإِسْنَادَ .

وقَالَ مُحَمَّدٌ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عِيسَى الطَّالْقَانِيَّ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ ، يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ : الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ « إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ ، وَتَصُومَ لَهُمَا مَعَ صَوْمِكَ » قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، عَمَّنْ هَذَا ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : هَذَا مِنْ حَدِيثِ شِهَابِ بْنِ خِرَاشٍ فَقَالَ : ثِقَةٌ ، عَمَّنْ قَالَ ؟ قُلْتُ: عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : ثِقَةٌ ، عَمَّنْ قَالَ ؟ « قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . قَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، إِنَّ بَيْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَفَاوِزَ تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ » .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ شَقِيقٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهُ بْنَ الْمُبَارَكِ ، يَقُولُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ : « دَعُوا حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبُّ السَّلَفَ » .

وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَقِيلٍ ، صَاحِبُ بُهَيَّةَ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، فَقَالَ يَحْيَى لِلْقَاسِمِ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ قَبِيحٌ عَلَى مِثْلِكَ ، عَظِيمٌ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الدِّينِ ، فَلَا يُوجَدَ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ ، وَلَا فَرَجٌ – أَوْ عِلْمٌ ، وَلَا مَخْرَجٌ – فَقَالَ لَهُ الْقَاسِمُ : وَعَمَّ ذَاكَ ؟ ، قَالَ : لِأَنَّكَ ابْنُ إِمَامَيْ هُدًى . ابْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، قَالَ : يَقُولُ لَهُ الْقَاسِمُ : أَقْبَحُ مِنْ ذَاكَ عِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَوْ آخُذَ عَنْ غَيْرُ ثِقَةٍ ، قَالَ : فَسَكَتَ فَمَا أَجَابَهُ .

وحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ الْعَبْدِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ ، يَقُولُ : أَخْبَرُونِي عَنْ أَبِي عَقِيلٍ صَاحِبِ بُهَيَّةَ ، أَنَّ أَبْنَاءً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهِ عِلْمٌ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : وَاللهِ إِنِّي لَأُعْظِمُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُكَ ، وَأَنْتَ ابْنُ إِمَامَيِ الْهُدَى – يَعْنِي عُمَرَ، وَابْنَ عُمَرَ – تُسْأَلُ عَنْ أَمْرٍ لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ عِلْمٌ ، فَقَالَ : « أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَاللهِ عِنْدَ اللهِ ، وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ ، أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَوْ أُخْبِرَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ » قَالَ : وَشَهِدَهُمَا أَبُو عَقِيلٍ يَحْيَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ حِينَ قَالَا ذَلِكَ .

وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ أَبُو حَفْصٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، وَشُعْبَةَ ، وَمَالِكًا ، وَابْنَ عُيَيْنَةَ ، عَنِ الرَّجُلِ لَا يَكُونُ ثَبْتًا فِي الْحَدِيثِ ، فَيَأْتِينِي الرَّجُلُ ، فَيَسْأَلُنِي عَنْهُ ، قَالُوا : « أَخْبِرْ عَنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِثَبْتٍ » .

وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّضْرَ ، يَقُولُ : سُئِلَ ابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ حَدِيثٍ لِشَهْرٍ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى أُسْكُفَّةِ الْبَابِ ، فَقَالَ : « إِنَّ شَهْرًا نَزَّكُوهُ ، إِنَّ شَهْرًا نَزَّكُوهُ » .

قَالَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ : " يَقُولُ : أَخَذَتْهُ أَلْسِنَةُ النَّاسِ تَكَلَّمُوا فِيهِ ".

وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ ، قَالَ : قَالَ شُعْبَةُ : « وَقَدْ لَقِيتُ شَهْرًا ، فَلَمْ أَعْتَدَّ بِهِ » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُهْزَاذَ ، مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : قُلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : « إِنَّ عَبَّادَ بْنَ كَثِيرٍ مَنْ تَعْرِفُ حَالَهُ ، وَإِذَا حَدَّثَ جَاءَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَتَرَى أَنْ أَقُولَ

لِلنَّاسِ : لَا تَأْخُذُوا عَنْهُ ؟ » قَالَ سُفْيَانُ : « بَلَى » ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَكُنْتُ إِذَا كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ ذُكِرَ فِيهِ عَبَّادٌ ، أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ ، وَأَقُولُ : « لَا تَأْخُذُوا عَنْهُ » .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ ، قَالَ : قَالَ أَبِي ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : انْتَهَيْتُ إِلَى شُعْبَةَ ، فَقَالَ : هَذَا عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ ، فَاحْذَرُوهُ .

وحَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ مُعَلَّى الرَّازِيَّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ ، الَّذِي رَوَى عَنْهُ عَبَّادٌ ، فَأَخْبَرَنِي عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ ، قَالَ : «كُنْتُ عَلَى بَابِهِ ، وَسُفْيَانُ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَذَّابٌ » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَتَّابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَفَّانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : « لَمْ نَرَ الصَّالِحِينَ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ » .

قَالَ ابْنُ أَبِي عَتَّابٍ : فَلَقِيتُ أَنَا مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : عَنْ أَبِيهِ ، « لَمْ تَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ ».

قَالَ مُسْلِمٌ : " يَقُولُ: يَجْرِي الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِمْ،وَلَا يَتَعَمَّدُونَ الْكَذِبَ"

حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ،قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي خَلِيفَةُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : « دَخَلْتُ عَلَى غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ؛ فَجَعَلَ يُمْلِي عَلَيَّ ، حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ ، حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ ، فَأَخَذَهُ الْبَوْلُ ، فَقَامَ فَنَظَرْتُ فِي الْكُرَّاسَةِ ، فَإِذَا فِيهَا حَدَّثَنِي أَبَانُ ، عَنْ أَنَسٍ ، وَأَبَانُ عَنْ فُلَانٍ ، فَتَرَكْتُهُ ،وَقُمْتُ » .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيَّ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ فِي كِتَابِ عَفَّانَ ، حَدِيثَ هِشَامٍ أَبِي الْمِقْدَامِ ، حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ هِشَامٌ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ يَحْيَى بْنُ فُلَانٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَفَّانَ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ هِشَامٌ ، سَمِعَهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا ابْتُلِيَ مِنْ قِبَلِ هَذَا الْحَدِيثِ، كَانَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ ادَّعَى بَعْدُ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ » .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُهْزَاذَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ جَبَلَةَ ، يَقُولُ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي رَوَيْتَ عَنْهُ حَدِيثَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو يَوْمُ الْفِطْرِ يَوْمُ الْجَوَائِزِ ؟ قَالَ : « سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَجَّاجِ انْظُرْ مَا وَضَعْتَ فِي يَدِكَ مِنْهُ » .

قَالَ ابْنُ قُهْزَاذَ : وَسَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ زَمْعَةَ ، يَذْكُرُ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ : « رَأَيْتُ رَوْحَ بْنَ غُطَيْفٍ صَاحِبَ الدَّمِ قَدْرِ الدِّرْهَمِ ، وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ مَجْلِسًا ، فَجَعَلْتُ أَسْتَحْيِي مِنْ أَصْحَابِي أَنْ يَرَوْنِي جَالِسًا مَعَهُ كُرْهَ حَدِيثِهِ » .

حَدَّثَنِي ابْنُ قُهْزَاذَ ، قَالَ : « سَمِعْتُ وَهْبًا ، يَقُولُ : عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، قَالَ: بَقِيَّةُ صَدُوقُ اللِّسَانِ ، وَلَكِنَّهُ يَأْخُذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ » .

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ الْهَمْدَانِيُّ ، وَكَانَ كَذَّابًا .

حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ مُفَضَّلٍ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ ، وَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ .

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : قَالَ عَلْقَمَةُ : « قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِي سَنَتَيْنِ » فَقَالَ الْحَارِثُ : « الْقُرْآنُ هَيِّنٌ الْوَحْيُ أَشَدُّ » .

وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، أَنَّ الْحَارِثَ ، قَالَ : « تَعَلَّمْتُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَالْوَحْيَ فِي سَنَتَيْنِ » أَوْ قَالَ « الْوَحْيَ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ ، والْقُرْآنَ فِي سَنَتَيْنِ » .

وحَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ وَهُوَ ابْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، وَالْمُغِيرَةِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، « أَنَّ الْحَارِثَ اتُّهِمَ » .

وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ ، قَالَ : سَمِعَ مُرَّةُ الْهَمْدَانِيُّ ، مِنَ الْحَارِثِ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ : « اقْعُدْ بِالْبَابِ » ، قَالَ : فَدَخَلَ مُرَّةُ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ ، قَالَ : وَأَحَسَّ الْحَارِثُ بِالشَّرِّ ، فَذَهَبَ .

وحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، قَالَ : قَالَ لَنَا إِبْرَاهِيمُ : « إِيَّاكُمْ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ ، وَأَبَا عَبْدِ الرَّحِيمِ ، فَإِنَّهُمَا كَذَّابَانِ » .

حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَاصِمٌ ، قَالَ : كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ ؛ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ ، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا : « لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ ، وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا » ، قَالَ : « وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ» .

حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الرَّازِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَرِيرًا ، يَقُولُ : « لَقِيتُ جَابِرَ بْنَ يَزِيدَ الْجُعْفِيَّ ؛ فَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ ، كَانَ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ ، قَالَ : « حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ ، قَبْلَ أَنْ يُحْدِثَ مَا أَحْدَثَ » .

وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ ، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : « كَانَ النَّاسُ يَحْمِلُونَ عَنْ جَابِرٍ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَ مَا أَظْهَرَ ، فَلَمَّا أَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ اتَّهَمَهُ النَّاسُ فِي حَدِيثِهِ ، وَتَرَكَهُ بَعْضُ النَّاسِ » ، فَقِيلَ لَهُ : وَمَا أَظْهَرَ ؟ قَالَ : « الْإِيمَانَ بِالرَّجْعَةِ » .

وحَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى الْحِمَّانِيُّ ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ ، وَأَخُوهُ ، أَنَّهُمَا سَمِعَا الْجَرَّاحَ بْنَ مَلِيحٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ : « عِنْدِي سَبْعُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهَا » .

وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ زُهَيْرًا ، يَقُولُ : قَالَ جَابِرٌ – أَوْ سَمِعْتُ جَابِرًا – يَقُولُ : « إِنَّ عِنْدِي لَخَمْسِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ ، مَا حَدَّثْتُ مِنْهَا بِشَيْءٍ » ، قَالَ : ثُمَّ حَدَّثَ يَوْمًا بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ : « هَذَا مِنَ الْخَمْسِينَ أَلْفًا » .

وحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ الْيَشْكُرِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْوَلِيدِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ سَلَّامَ بْنَ أَبِي مُطِيعٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ جَابِرًا الْجُعْفِيَّ ، يَقُولُ : « عِنْدِي خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ » .

وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ ، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَ جَابِرًا عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف : ٨٠] ، فَقَالَ جَابِرٌ : « لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ » ، قَالَ سُفْيَانُ : وَكَذَبَ ، فَقُلْنَا لِسُفْيَانَ : وَمَا أَرَادَ بِهَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ الرَّافِضَةَ تَقُولُ : إِنَّ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ ، فَلَا نَخْرُجُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنْ وَلَدِهِ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يُرِيدُ عَلِيًّا أَنَّهُ يُنَادِي اخْرُجُوا مَعَ فُلَانٍ ، يَقُولُ جَابِرٌ : « فَذَا تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَكَذَبَ ، كَانَتْ فِي إِخْوَةِ يُوسُفَ ﷺ » .

وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ ، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : « سَمِعْتُ جَابِرًا ، يُحَدِّثُ بِنَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ ، مَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَذْكُرَ مِنْهَا شَيْئًا ، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا » .

قَالَ مُسْلِمٌ : وَسَمِعْتُ أَبَا غَسَّانَ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو الرَّازِيَّ ، قَالَ : سَأَلْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، فَقُلْتُ : الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ لَقِيتَهُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، شَيْخٌ طَوِيلُ السُّكُوتِ ، يُصِرُّ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ » .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ : ذَكَرَ أَيُّوبُ رَجُلًا يَوْمًا ، فَقَالَ : « لَمْ يَكُنْ بِمُسْتَقِيمِ اللِّسَانِ » ، وَذَكَرَ آخَرَ ، فَقَالَ : « هُوَ يَزِيدُ فِي الرَّقْمِ » .

حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قَالَ أَيُّوبُ : « إِنَّ لِي جَارًا ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى تَمْرَتَيْنِ مَا رَأَيْتُ شَهَادَتَهُ جَائِزَةً » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : قَالَ مَعْمَرٌ : مَا رَأَيْتُ أَيُّوبَ اغْتَابَ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا عَبْدَ الْكَرِيمِ ؛ يَعْنِي أَبَا أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَهُ ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : «كَانَ غَيْرَ ثِقَةٍ ، لَقَدْ سَأَلَنِي عَنْ حَدِيثٍ لِعِكْرِمَةَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ » .

حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو دَاوُدَ الْأَعْمَى ، فَجَعَلَ يَقُولُ : حَدَّثَنَا الْبَرَاءُ ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِقَتَادَةَ ، فَقَالَ : «كَذَبَ ، مَا سَمِعَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَائِلًا يَتَكَفَّفُ النَّاسَ زَمَنَ طَاعُونِ الْجَارِفِ » .

وحَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ ، قَالَ : دَخَلَ أَبُو دَاوُدَ الْأَعْمَى عَلَى قَتَادَةَ ، فَلَمَّا قَامَ ، قَالُوا : إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ لَقِيَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ بَدْرِيًّا ، فَقَالَ قَتَادَةُ : « هَذَا كَانَ سَائِلًا قَبْلَ الْجَارِفِ ، لَا يَعْرِضُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ ، فَوَاللهِ مَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ بَدْرِيٍّ مُشَافَهَةً ، وَلَا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ بَدْرِيٍّ مُشَافَهَةً ، إِلَّا عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ » .

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ رَقَبَةَ ، « أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْهَاشِمِيَّ الْمَدَنِيَّ ، كَانَ يَضَعُ أَحَادِيثَ كَلَامَ حَقٍّ ، وَلَيْسَتْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ يَرْوِيهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ : وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ :

«كَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ » .

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ أَبُو حَفْصٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ ، يَقُولُ : قُلْتُ لِعَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ : إِنَّ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ حَدَّثَنَا عَنِ الْحَسَنِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا } ، قَالَ : «كَذَبَ

وَاللهِ عَمْرٌو ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَحُوزَهَا إِلَى قَوْلِهِ الْخَبِيثِ » .

وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ قَدْ لَزِمَ أَيُّوبَ وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَفَقَدَهُ أَيُّوبُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُ قَدْ لَزِمَ عَمْرَو بْنَ عُبَيدٍ ، قَالَ حَمَّادٌ : فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا مَعَ أَيُّوبَ ، وَقَدْ بَكَّرْنَا إِلَى السُّوقِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَيُّوبُ ، وَسَأَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَيُّوبُ : « بَلَغَنِي أَنَّكَ لَزِمْتَ ذَاكَ الرَّجُلَ » ، قَالَ حَمَّادٌ : سَمَّاهُ يَعْنِي عَمْرًا ، قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُ يَجِيئُنَا بِأَشْيَاءَ غَرَائِبَ ، قَالَ : يَقُولُ لَهُ أَيُّوبُ : « إِنَّمَا نَفِرُّ أَوْ نَفْرَقُ مِنْ تِلْكَ الْغَرَائِبِ » .

وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ زَيْدٍ يَعْنِي حَمَّادًا ، قَالَ : قِيلَ لِأَيُّوبَ : إِنَّ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ رَوَى عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ :لَا يُجْلَدُ السَّكْرَانُ مِنَ النَّبِيذِ ، فَقَالَ : كَذَبَ ، أَنَا سَمِعْتُ الْحَسَنَ ، يَقُولُ : « يُجْلَدُ السَّكْرَانُ مِنَ النَّبِيذِ » .

وحَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَلَّامَ بْنَ أَبِي مُطِيعٍ ، يَقُولُ : بَلَغَ أَيُّوبَ أَنِّي آتِي عَمْرًا فَأَقْبَلَ عَلَيَّ يَوْمًا ، فَقَالَ : « أَرَأَيْتَ رَجُلًا لَا تَأْمَنُهُ عَلَى دِينِهِ ، كَيْفَ تَأْمَنُهُ عَلَى الْحَدِيثِ ؟ » .

وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ ، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى ، يَقُولُ : « حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ قَبْلَ أَنْ يُحْدِثَ » .

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى شُعْبَةَ أَسْأَلُهُ عَنْ أَبِي شَيْبَةَ قَاضِي وَاسِطَ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ : « لَا تَكْتُبْ عَنْهُ شَيْئًا وَمَزِّقْ كِتَابِي » .

وحَدَّثَنَا الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَفَّانَ ، قَالَ : حَدَّثْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ، عَنْ صَالِحٍ الْمُرِّيِّ بِحَدِيثٍ عَنْ ثَابِتٍ ، فَقَالَ : « كَذَبَ » وَحَدَّثْتُ هَمَّامًا ، عَنْ صَالِحٍ الْمُرِّيِّ ، بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ : « كَذَبَ » .

وحَدَّثَنا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : قَالَ لِي شُعْبَةُ : ائْتِ جَرِيرَ بْنَ حَازِمٍ ، فَقُلْ لَهُ : « لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَرْوِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ ؛ فَإِنَّهُ يَكْذِبُ » ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ : قُلْتُ لِشُعْبَةَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ فَقَالَ : « حَدَّثَنَا عَنِ الْحَكَمِ بِأَشْيَاءَ لَمْ أَجِدْ لَهَا أَصْلًا » ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَكَمِ:أَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ ؟ فَقَالَ: لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ : عَنِ الْحَكَمِ ، عَنْ مِقْسَمٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَيْهِمْ وَدَفَنَهُمْ ، قُلْتُ لِلْحَكَمِ :مَا تَقُولُ فِي أَوْلَادِ الزِّنَا ،

قَالَ : يُصَلَّى عَلَيْهِمْ،قُلْتُ:مِنْ حَدِيثِ مَنْ يُرْوَى ؟ قَالَ : يُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ، عَنْ عَلِيٍّ .

وحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ ، وَذَكَرَ زِيَادَ بْنَ مَيْمُونٍ ، فَقَالَ : « حَلَفْتُ أَلَّا أَرْوِيَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَنْ خَالِدِ بْنِ مَحْدُوجٍ » وَقَالَ : « لَقِيتُ زِيَادَ بْنَ مَيْمُونٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَدِيثٍ ، فَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ ، فَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ مُوَرِّقٍ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ ، فَحَدَّثَنِي بِهِ عَنِ الْحَسَنِ ، وَكَانَ يَنْسُبُهُمَا إِلَى الْكَذِبِ » .

قَالَ الْحُلْوَانِيُّ : سَمِعْتُ عَبْدَ الصَّمَدِ ، « وَذَكَرْتُ عِنْدَهُ زِيَادَ بْنَ مَيْمُونٍ ؛ فَنَسَبَهُ إِلَى الْكَذِبِ » .

وحَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ : قَدْ أَكْثَرْتَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ ، فَمَا لَكَ لَمْ تَسْمَعْ مِنْهُ حَدِيثَ الْعَطَّارَةِ الَّذِي رَوَى لَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ؟ قَالَ لِيَ : « اسْكُتْ ، فَأَنَا لَقِيتُ زِيَادَ بْنَ مَيْمُونٍ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ ، فَسَأَلْنَاهُ ، فَقُلْنَا لَهُ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَرْوِيهَا عَنْ أَنَسٍ ؟ فَقَالَ : أَرَأَيْتُمَا رَجُلًا يُذْنِبُ فَيَتُوبُ ، أَلَيْسَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : مَا سَمِعْتُ مِنْ أَنَسٍ مِنْ ذَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، إِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ النَّاسُ ؛ فَأَنْتُمَا لَا تَعْلَمَانِ أَنِّي لَمْ أَلْقَ أَنَسًا » ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ : « فَبَلَغَنَا بَعْدُ أَنَّهُ يَرْوِي ، فَأَتَيْنَاهُ أَنَا وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : أَتُوبُ ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ يُحَدِّثُ فَتَرَكْنَاهُ » .

حَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ شَبَابَةَ ، قَالَ : « كَانَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ يُحَدِّثُنَا ، فَيَقُولُ : سُوَيْدُ بْنُ عَقَلَةَ » قَالَ شَبَابَةُ : « وَسَمِعْتُ عَبْدَ الْقُدُّوسِ ، يَقُولُ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَّخَذَ الرَّوْحُ عَرْضًا ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ قَالَ : يَعْنِي تُتَّخَذُ كُوَّةٌ فِي حَائِطٍ لِيَدْخُلَ عَلَيْهِ الرَّوْحُ » .

قَالَ مُسْلِمٌ : وسَمِعْتُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ، يَقُولُ لِرَجُلٍ بَعْدَ مَا جَلَسَ مَهْدِيُّ بْنُ هِلَالٍ بِأَيَّامٍ : « مَا هَذِهِ الْعَيْنُ الْمَالِحَةُ الَّتِي نَبَعَتْ قِبَلَكُمْ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ .

وحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَفَّانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَوَانَةَ ، قَالَ : « مَا بَلَغَنِي عَنِ الْحَسَنِ حَدِيثٌ إِلَّا أَتَيْتُ بِهِ أَبَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ ، فَقَرَأَهُ عَلَيَّ » .

وحَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، قَالَ : « سَمِعْتُ أَنَا وَحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ مِنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ » ، قَالَ عَلِيٌّ : فَلَقِيتُ حَمْزَةَ ، فَأَخْبَرَنِي « أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا سَمِعَ مِنْ أَبَانَ ، فَمَا عَرَفَ مِنْهَا إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا خَمْسَةً أَوْ سِتَّةً » .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ عَدِيٍّ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ : « اكْتُبْ عَنْ بَقِيَّةَ ، مَا رَوَى عَنِ الْمَعْرُوفِينَ ، وَلَا تَكْتُبْ عَنْهُ مَا رَوَى عَنْ غَيْرِ الْمَعْرُوفِينَ ، وَلَا تَكْتُبْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ ، مَا رَوَى عَنِ الْمَعْرُوفِينَ ، وَلَا عَنْ غَيْرِهِمْ » .

وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَـــابِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : « نِعْمَ الرَّجُلُ بَقِيَّةُ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يُكَنِّي الْأَسَامِيَ ، وَيُسَمِّي الْكُنَى ، كَانَ دَهْرًا يُحَدِّثُنَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْوُحَاظِيِّ ؛ فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ » .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْدِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ ، يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يُفْصِحُ بِقَوْلِهِ كَذَّابٌ إِلَّا لِعَبْدِ الْقُدُّوسِ،فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ : « كَذَّابٌ » .

وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا نُعَيْمٍ ، وَذَكَرَ الْمُعَلَّى بْنَ عُرْفَانَ ، فَقَالَ : قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو وَائِلٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا ابْنُ مَسْعُودٍ بِصِفِّينَ فَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : « أَتُرَاهُ بُعِثَ بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ » .

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، كِلَاهُمَا عَنْ عَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عُلَيَّةَ ، فَحَدَّثَ رَجُلٌ عَنْ رَجُلٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِثَبْتٍ ، قَالَ : فَقَالَ الرَّجُلُ : اغْتَبْتَهُ ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ : « مَا اغْتَابَهُ ، وَلَكِنَّهُ حَكَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِثَبْتٍ » .

وحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الدَّارِمِيُّ ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ ، قَالَ : سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّذِي يَرْوِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، فَقَالَ : « لَيْسَ بِثِقَةٍ » ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ صَالِحٍ ، مَوْلَى التَّوْأَمَةِ ، فَقَالَ : « لَيْسَ بِثِقَةٍ » ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ أَبِي الْحُوَيْرِثِ ، فَقَالَ : « لَيْسَ بِثِقَةٍ » ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ شُعْبَةَ الَّذِي رَوَى عَنْهُ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، فَقَالَ : « لَيْسَ بِثِقَةٍ » ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَرَامِ بْنِ عُثْمَانَ

فَقَالَ : « لَيْسَ بِثِقَةٍ » ، وَسَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ ، فَقَالَ : « لَيْسُوا بِثِقَةٍ فِي حَدِيثِهِمْ » ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ آخَرَ نَسِيتُ اسْمَهُ ، فَقَالَ : « هَلْ رَأَيْتَهُ فِي كُتُبِي ؟ » قُلْتُ : لَا ، قَالَ : « لَوْ كَانَ ثِقَةً لَرَأَيْتَهُ فِي كُتُبِي» .

وحَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، « عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَانَ مُتَّهَمًا » .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُهْزَاذَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الطَّالْقَانِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ ، يَقُولُ : « لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَبَيْنَ أَنْ أَلْقَى عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَرَّرٍ لَاخْتَرْتُ أَنْ أَلْقَاهُ ، ثُمَّ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ كَانَتْ بَعْرَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ » .

وحَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنَا وَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ زَيْدٌ ؛ يَعْنِي ابْنَ أَبِي أُنَيْسَةَ : « لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَخِي » .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ السَّلَامِ الْوَابِصِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : « كَانَ يَحْيَى بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ كَذَّابًا » .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ : ذُكِرَ فَرْقَدٌ عِنْدَ أَيُّوبَ ، فَقَالَ : « إِنَّ فَرْقَدًا لَيْسَ صَاحِبَ حَدِيثٍ » .

وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، ذُكِرَ عِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ فَضَعَّفَهُ جِدًّا ، فَقِيلَ

لِيَحْيَى : أَضْعَفُ مِنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَطَاءٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، ثُمَّ قَالَ : « مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَحَدًا يَرْوِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ » .

حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ ، ضَعَّفَ حَكِيمَ بْنَ جُبَيْرٍ ، وَعَبْدَ الْأَعْلَى ، وَضَعَّفَ يَحْيَى بْنَ مُوسَى بْنَ دِينَارٍ قَالَ : « حَدِيثُهُ رِيحٌ » . وَضَعَّفَ مُوسَى بْنَ دِهْقَانَ ، وَعِيسَى بْنَ أَبِي عِيسَى الْمَدَنِيَّ قَالَ : وَسَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عِيسَى ، يَقُولُ : قَالَ لِي ابْنُ الْمُبَارَكِ : « إِذَا قَدِمْتَ عَلَى جَرِيرٍ ، فَاكْتُبْ عِلْمَهُ كُلَّهُ إِلَّا حَدِيثَ ثَلَاثَةٍ ، لَا تَكْتُبْ حَدِيثَ عُبَيْدَةَ بْنِ مُعَتِّبٍ ، وَالسَّرِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ » .

قَالَ مُسْلِمٌ : " وَأَشْبَاهُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مُتَّهَمِي رُوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَإِخْبَارِهِمْ عَنْ مَعَايِبِهِمْ كَثِيرٌ ، يَطُولُ الْكِتَابُ بِذِكْرِهِ عَلَى اسْتِقْصَائِهِ ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ تَفَهَّمَ ، وَعَقَلَ مَذْهَبَ الْقَوْمِ ، فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ وَبَيَّنُوا .

وَإِنَّمَا أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ الْكَشْفَ عَنْ مَعَايِبِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَنَاقِلِي الْأَخْبَارِ ، وَأَفْتَوْا بِذَلِكَ حِينَ سُئِلُوا لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ ، إِذِ الْأَخْبَارُ فِي أَمْرِ الدِّينِ إِنَّمَا تَأْتِي بِتَحْلِيلٍ ، أَوْ تَحْرِيمٍ ، أَوْ أَمْرٍ ، أَوْ نَهْيٍ ، أَوْ تَرْغِيبٍ ، أَوْ تَرْهِيبٍ ، فَإِذَا كَانَ الرَّاوِي لَهَا لَيْسَ بِمَعْدِنٍ لِلصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَى الرِّوَايَةِ عَنْهُ مَنْ قَدْ عَرَفَهُ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَا فِيهِ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ جَهِلَ مَعْرِفَتَهُ كَانَ آثِمًا بِفِعْلِهِ ذَلِكَ ، غَاشًّا لِعَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ لَا يُؤْمَنُ عَلَى بَعْضِ مَنْ سَمِعَ تِلْكَ الْأَخْبَارَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا ، أَوْ يَسْتَعْمِلَ بَعْضَهَا وَلَعَلَّهَا ، أَوْ أَكْثَرَهَا أَكَاذِيبُ لَا أَصْلَ لَهَا ،

مَعَ أَنَّ الْأَخْبَارَ الصِّحَاحَ مِنْ رِوَايَةِ الثِّقَاتِ ، وَأَهْلِ الْقَنَاعَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُضْطَرَّ إِلَى نَقْلِ مَنْ لَيْسَ بِثِقَةٍ ، وَلَا مَقْنَعٍ .

وَلَا أَحْسِبُ كَثِيرًا مِمَّنْ يُعَرِّجُ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الضِّعَافِ ، وَالْأَسَانِيدِ الْمَجْهُولَةِ ، وَيَعْتَدُّ بِرِوَايَتِهَا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَا فِيهَا مِنَ التَّوَهُّنِ ، وَالضَّعْفِ ، إِلَّا أَنَّ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى رِوَايَتِهَا ، وَالِاعْتِدَادِ بِهَا إِرَادَةُ التَّكَثُّرِ بِذَلِكَ عِنْدَ الْعَوَامِّ ، وَلِأَنْ يُقَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا جَمَعَ فُلَانٌ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَأَلَّفَ مِنَ الْعَدَدِ .

وَمَنْ ذَهَبَ فِي الْعِلْمِ هَذَا الْمَذْهَبَ ، وَسَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ بِأَنْ يُسَمَّى جَاهِلًا أَوْلَى مِنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى عِلْمٍ " .

وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ مُنْتَحِلِي الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا فِي تَصْحِيحِ الْأَسَانِيدِ ، وَتَسْقِيمِهَا بِقَوْلٍ لَوْ ضَرَبْنَا عَنْ حِكَايَتِهِ ، وَذِكْرِ فَسَادِهِ صَفْحًا لَكَانَ رَأْيًا مَتِينًا ، وَمَذْهَبًا صَحِيحًا .

إِذِ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْقَوْلِ الْمُطَّرَحِ أَحْرَى لِإِمَاتَتِهِ ، وَإِخْمَالِ ذِكْرِ قَائِلِهِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا لِلْجُهَّالِ عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّا لَمَّا تَخَوَّفْنَا مِنْ شُرُورِ الْعَوَاقِبِ ، وَاغْتِرَارِ الْجَهَلَةِ بِمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، وَإِسْرَاعِهِمْ إِلَى اعْتِقَادِ خَطَأِ الْمُخْطِئِينَ ، وَالْأَقْوَالِ السَّاقِطَةِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، رَأَيْنَا الْكَشْفَ عَنْ فَسَادِ قَوْلِهِ ، وَرَدَّ مَقَالَتِهِ بِقَدْرِ مَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الرَّدِّ ، أَجْدَى عَلَى الْأَنَامِ ، وَأَحْمَدَ لِلْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَزَعَمَ الْقَائِلُ الَّذِي افْتَتَحْنَا الْكَلَامَ عَلَى الْحِكَايَةِ عَنْ قَوْلِهِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ سُوءِ رَوِيَّتِهِ ، أَنَّ كُلَّ إِسْنَادٍ لِحَدِيثٍ فِيهِ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ ،

وَقَدِ أَحَاطَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُمَا قَدْ كَانَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَى الرَّاوِي عَمَّنْ رَوَى عَنْهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ ، وَشَافَهَهُ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَعْلَمُ لَهُ مِنْهُ سَمَاعًا ، وَلَمْ نَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُمَا الْتَقَيَا قَطُّ ، أَوْ تَشَافَهَا بِحَدِيثٍ ، أَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ عِنْدَهُ بِكُلِّ خَبَرٍ جَاءَ هَذَا الْمَجِيءَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُمَا قَدِ اجْتَمَعَا مِنْ دَهْرِهِمَا مَرَّةً فَصَاعِدًا ، أَوْ تَشَافَهَا بِالْحَدِيثِ بَيْنَهُمَا ، أَوْ يَرِدَ خَبَرٌ فِيهِ بَيَانُ اجْتِمَاعِهِمَا ، وَتَلَاقِيهِمَا مَرَّةً مِنْ دَهْرِهِمَا ، فَمَا فَوْقَهَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ذَلِكَ ، وَلَمْ تَأْتِ رِوَايَةٌ تُخْبِرُ أَنَّ هَذَا الرَّاوِيَ عَنْ صَاحِبِهِ قَدْ لَقِيَهُ مَرَّةً ، وَسَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ فِي نَقْلِهِ الْخَبَرَ عَمَّنْ رَوَى عَنْهُ ذَلِكَ ، وَالْأَمْرُ كَمَا وَصَفْنَا حُجَّةٌ ، وَكَانَ الْخَبَرُ عِنْدَهُ مَوْقُوفًا حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِ سَمَاعُهُ مِنْهُ لِشَيْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ ،قَلَّ أَوْ كَثُرَ فِي رِوَايَةٍ مِثْلِ مَا وَرَدَ .

(التعليق)

أقول : قوله ﷺ : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا } " هذا الحديث فيه ترهيب من حمل السلاح على المسلمين ، ولا بدَّ أن يحمل على حمله عليهم بغير حق ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٩] وقال رسول الله ﷺ { مَنْ أَتَاكُمْ ، وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ ؛ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ ، فَاقْتُلُوهُ } فتبين أنَّ هذا الترهيب محمولٌ على من حمل السلاح على المسلمين بغير حق .

أمَّا من حمله بحق في دفاع باغٍ ؛ أو ردٍّ خارجٍ إلى الطاعة ، فهذا لا يكون من هذا الحديث ، وقد أخذ بظاهر هذا الحديث من كفَّر بالكبائر ؛ كالخوارج ومن قال بقولهم ، وليس كذلك .

فأهل السنة والجماعة يرون أنَّ هذا خرج مخرج الترهيب ، وأنَّه ليس معناه أنه كفر ، ولكن معناه ؛ أنَّه خرج عن طريقة النبي ﷺ في هذا الأمر .

فأهل السنة والجماعة لا يكفِّرون من قتل مسلماً ؛ أو قاتل المسلمين بغياً ، وعدواناً ؛ من أجل عرضٍ دنيوي ؛ أو من أجل سلطةٍ ؛ يريد أن يفرَّ منها لايكفِّرونه ، ولكن يرونه مرتكباً كبيرةً ، ولم يخرج من الإسلام بالكلية ؛ إلَّا إذا استباح دماء المسلمين ؛ فإنَّه حينئذٍ يُكَفَّر بهذه الاستباحة .

أمَّا بدون ذلك ؛ فإنَّه يعتبر فاسقاً ، وآتياً بكبيرةٍ ؛ وهو يرجو ما يرجوه الموحدون ، والله أعلم "[1]وبالله التوفيق .

(٦) بَابُ صِحَّةِ الِاحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ الْمُعَنْعَنِ

وَهَذَا الْقَوْلُ يَرْحَمُكَ اللهُ فِي الطَّعْنِ فِي الْأَسَانِيدِ قَوْلٌ مُخْتَرَعٌ ، مُسْتَحْدَثٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ صَاحِبُهُ إِلَيْهِ ، وَلَا مُسَاعِدَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْلَ الشَّائِعَ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ ، وَالرِّوَايَاتِ قَدِيمًا ، وَحَدِيثًا ؛ أَنَّ كُلَّ رَجُلٍ ثِقَةٍ رَوَى عَنْ مِثْلِهِ حَدِيثًا ، وَجَائِزٌ مُمْكِنٌ لَهُ لِقَاؤُهُ ، وَالسَّمَاعُ مِنْهُ

[1] انظر تنبيه الأنام على ما في كتاب سبل السلام من الفوائد والأحكام ج٧ / ٧٩ برقم الحديث ١ / ١١١٨ مخطوط .

لِكَوْنِهِمَا جَمِيعًا كَانَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِ فِي خَبَرٍ قَطُّ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا وَلَا تَشَافَهَا بِكَلَامٍ ؛ فَالرِّوَايَةُ ثَابِتَةٌ ، وَالْحُجَّةُ بِهَا لَازِمَةٌ ، إِلَّا أَنَّ يَكُونَ هُنَاكَ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ أَنَّ هَذَا الرَّاوِي لَمْ يَلْقَ مَنْ رَوَى عَنْهُ ، أَوْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَمَّا وَالْأَمْرُ مُبْهَمٌ عَلَى الْإِمْكَانِ الَّذِي فَسَّرْنَا ، فَالرِّوَايَةُ عَلَى السَّمَاعِ أَبَدًا حَتَّى تَكُونَ الدَّلَالَةُ الَّتِي بَيَّنَّا .

فَيُقَالُ لِمُخْتَرِعِ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي وَصَفْنَا مَقَالَتَهُ ، أَوْ لِلذَّابِّ عَنْهُ : قَدْ أَعْطَيْتَ فِي جُمْلَةِ قَوْلِكَ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ الثِّقَةِ عَنِ الْوَاحِدِ الثِّقَةِ حُجَّةٌ يَلْزَمُ بِهِ الْعَمَلُ ، ثُمَّ أَدْخَلْتَ فِيهِ الشَّرْطَ بَعْدُ ، فَقُلْتَ : حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُمَا قَدْ كَانَا الْتَقَيَا مَرَّةً فَصَاعِدًا ، أَوْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَهَلْ تَجِدُ هَذَا الشَّرْطَ الَّذِي اشْتَرَطْتَهُ عَنْ أَحَدٍ يَلْزَمُ قَوْلُهُ ؟ وَإِلَّا فَهَلُمَّ دَلِيلًا عَلَى مَا زَعَمْتَ .

فَإِنِ ادَّعَى قَوْلَ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ بِمَا زَعَمَ مِنْ إِدْخَالِ الشَّرِيطَةِ فِي تَثْبِيتِ الْخَبَرِ ، طُولِبَ بِهِ ، وَلَنْ يَجِدَ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ إِلَى إِيجَادِهِ سَبِيلًا ، وَإِنْ هُوَ ادَّعَى فِيمَا زَعَمَ دَلِيلًا يَحْتَجُّ بِهِ ، قِيلَ : وَمَا ذَاكَ الدَّلِيلُ ؟ فَإِنْ قَالَ : قُلْتُهُ لِأَنِّي وَجَدْتُ رُوَاةَ الْأَخْبَارِ قَدِيمًا ، وَحَدِيثًا يَرْوِي أَحَدُهُمْ عَنِ الْآخَرِ الْحَدِيثَ ، وَلَمَّا يُعَايِنْهُ ، وَلَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ اسْتَجَازُوا رِوَايَةَ الْحَدِيثِ بَيْنَهُمْ هَكَذَا عَلَى الْإِرْسَالِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ ، وَالْمُرْسَلُ مِنَ الرِّوَايَاتِ فِي أَصْلِ قَوْلِنَا ، وَقَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ احْتَجْتُ لِمَا وَصَفْتُ مِنَ الْعِلَّةِ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ سَمَاعِ رَاوِي كُلِّ خَبَرٍ عَنْ رَاوِيهِ ، فَإِذَا أَنَا هَجَمْتُ عَلَى سَمَاعِهِ مِنْهُ

لِأَدْنَى شَيْءٍ ثَبَتَ عِنْدِي بِذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَرْوِي عَنْهُ بَعْدُ ، فَإِنْ عَزَبَ عَنِّي مَعْرِفَةُ ذَلِكَ ؛ أَوْقَفْتُ الْخَبَرَ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي مَوْضِعَ حُجَّةٍ لِإِمْكَانِ الْإِرْسَالِ فِيهِ .

فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنْ كَانَتِ الْعِلَّةُ فِي تَضْعِيفِكَ الْخَبَرَ ، وَتَرْكِكَ الِاحْتِجَاجَ بِهِ إِمْكَانَ الْإِرْسَالِ فِيهِ ، لَزِمَكَ أَنْ لَا تُثْبِتَ إِسْنَادًا مُعَنْعَنًا ؛ حَتَّى تَرَى فِيهِ السَّمَاعَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْوَارِدَ عَلَيْنَا بِإِسْنَادِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ؛ فَبِيَقِينٍ نَعْلَمُ أَنَّ هِشَامًا قَدْ سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ ، وَأَنَّ أَبَاهُ قَدْ سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ ، كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَمِعَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ .

وَقَدْ يَجُوزُ إِذَا لَمْ يَقُلْ هِشَامٌ فِي رِوَايَةٍ يَرْوِيهَا عَنْ أَبِيهِ : سَمِعْتُ ، أَوْ أَخْبَرَنِي ، أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ فِي تِلْكَ الرِّوَايَةِ إِنْسَانٌ آخَرُ ، أَخْبَرَهُ بِهَا عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَسْمَعْهَا هُوَ مِنْ أَبِيهِ ، لَمَّا أَحَبَّ أَنَّ يَرْوِيهَا مُرْسَلًا ، وَلَا يُسْنِدَهَا إِلَى مَنْ سَمِعَهَا مِنْهُ .

وَكَمَا يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، فَهُوَ أَيْضًا مُمْكِنٌ فِي أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

وَكَذَلِكَ كُلُّ إِسْنَادٍ لِحَدِيثٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ سَمَاعِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ .

وَإِنْ كَانَ قَدْ عُرِفَ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعَ مِنْ صَاحِبِهِ سَمَاعًا كَثِيرًا ، فَجَائِزٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّ يَنْزِلَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ ، فَيَسْمَعَ مِنْ غَيْرِهِ عَنْهُ بَعْضَ أَحَادِيثِهِ ، ثُمَّ يُرْسِلَهُ عَنْهُ أَحْيَانًا ، وَلَا يُسَمِّيَ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ ، وَيَنْشَطَ أَحْيَانًا ؛ فَيُسَمِّيَ الَّذِي حَمَلَ عَنْهُ الْحَدِيثَ ، وَيَتْرُكَ الْإِرْسَالَ .

وَمَا قُلْنَا مِنْ هَذَا مَوْجُودٌ فِي الْحَدِيثِ مُسْتَفِيضٌ ، مِنْ فِعْلِ ثِقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَأَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

وَسَنَذْكُرُ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا عَدَدًا يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى أَكْثَرَ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيَّ ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ ، وَوَكِيعًا ، وَابْنَ نُمَيْرٍ ، وَجَمَاعَةً غَيْرَهُمْ ، رَوَوْا عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : { كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِحِلِّهِ ، وَلِحِرْمِهِ بِأَطْيَبِ مَا أَجِدُ }

فَرَوَى هَذِهِ الرِّوَايَةَ بِعَيْنِهَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، وَدَاوُدُ الْعَطَّارُ ، وَحُمَيْدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَوُهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ ، وَأَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ هِشَامٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَرَوَى هِشَامٌ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : { كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اعْتَكَفَ ، يُدْنِي إِلَيَّ رَأْسَهُ ، فَأُرَجِّلُهُ ، وَأَنَا حَائِضٌ } .

فَرَوَاهَا بِعَيْنِهَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَمْرَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ ، وَصَالِحُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ : { كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَبِّلُ ؛ وَهُوَ صَائِمٌ } .

فَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ فِي هَذَا الْخَبَرِ فِي الْقُبْلَةِ ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُرْوَةَ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ : { أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُهَا ؛ وَهُوَ صَائِمٌ } .

وَرَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ ، وَغَيْرُهُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَـــارٍ ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : { أَطْعَمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لُحُومَ الْخَيْلِ ، وَنَهَانَا عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ } .

فَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

وَهَذَا النَّحْوُ فِي الرِّوَايَاتِ كَثِيرٌ يَكْثُرُ تَعْدَادُهُ ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْهَا كِفَايَةٌ لِذَوِي الْفَهْمِ .

فَإِذَا كَانَتِ الْعِلَّةُ عِنْدَ مَنْ وَصَفْنَا قَوْلَهُ مِنْ قَبْلُ فِي فَسَادِ الْحَدِيثِ وَتَوْهِينِهِ ، إِذَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ الرَّاوِيَ قَدْ سَمِعَ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ شَيْئًا ، إِمْكَانَ الْإِرْسَالِ فِيهِ ، لَزِمَهُ تَرْكُ الِاحْتِجَاجِ فِي قِيَادِ قَوْلِهِ بِرِوَايَةِ مَنْ يُعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ ، إِلَّا فِي نَفْسِ الْخَبَرِ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ السَّمَاعِ ، لِمَا بَيَّنَّا مِنْ قَبْلُ عَنِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ نَقَلُوا الْأَخْبَارَ أَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ تَارَاتٌ يُرْسِلُونَ فِيهَا الْحَدِيثَ إِرْسَالًا ، وَلَا يَذْكُرُونَ مَنْ سَمِعُوهُ مِنْهُ ، وَتَارَاتٌ يَنْشَطُونَ فِيهَا ، فَيُسْنِدُونَ الْخَبَرَ عَلَى هَيْئَةِ مَا سَمِعُوا ، فَيُخْبِرُونَ بِالنُّزُولِ فِيهِ إِنْ نَزَلُوا ، وَبِالصُّعُـودِ إِنْ صَعِدُوا ، كَمَا شَرَحْنَا ذَلِكَ عَنْهُمْ .

وَمَا عَلِمْنَا أَحَدًا مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَخْبَارَ ، وَيَتَفَقَّدُ صِحَّةَ الْأَسَانِيدِ وَسَقَمَهَا ، مِثْلَ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ ، وَابْنِ عَوْنٍ ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَشُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، فَتَّشُوا عَنْ مَوْضِعِ السَّمَاعِ فِي الْأَسَانِيدِ ، كَمَا ادَّعَاهُ الَّذِي وَصَفْنَا قَوْلَهُ مِنْ قَبْلُ .

وَإِنَّمَا كَانَ تَفَقُّدُ مَنْ تَفَقَّدَ مِنْهُمْ سَمَاعَ رُوَاةِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ ، إِذَا كَانَ الرَّاوِي مِمَّنْ عُرِفَ بِالتَّدْلِيسِ فِي الْحَدِيثِ ، وَشُهِرَ بِهِ ، فَحِينَئِذٍ يَبْحَثُونَ عَنْ سَمَاعِهِ فِي رِوَايَتِهِ ، وَيَتَفَقَّدُونَ ذَلِكَ مِنْهُ كَيْ تَنْزَاحَ عَنْهُمْ عِلَّةُ التَّدْلِيسِ .

فَمَنِ ابْتَغَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُدَلِّسٍ ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي زَعَمَ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ ، فَمَا سَمِعْنَا ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ سَمَّيْنَا ، وَلَمْ نُسَمِّ مِنَ الْأَئِمَّةِ .

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّ ، وَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ، قَدْ رَوَى عَنْ حُذَيْفَةَ ، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثًا يُسْنِدُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ عَنْهُمَا ذِكْرُ السَّمَاعِ مِنْهُمَا ، وَلَا حَفِظْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ شَافَهَ حُذَيْفَةَ ، وَأَبَا مَسْعُودٍ بِحَدِيثٍ قَطُّ ، وَلَا وَجَدْنَا ذِكْرَ رُؤْيَتِهِ إِيَّاهُمَا فِي رِوَايَةٍ بِعَيْنِهَا .

وَلَمْ نَسْمَعْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ مَضَى ، وَلَا مِمَّنْ أَدْرَكْنَا أَنَّهُ طَعَنَ فِي هَذَيْنِ الْخَبَرَيْنِ ؛ اللَّذَيْنِ رَوَاهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، وَأَبِي مَسْعُودٍ بِضَعْفٍ فِيهِمَا ، بَلْ هُمَا وَمَا أَشْبَهَهُمَا عِنْدَ مَنْ لَاقَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ مِنْ صِحَاحِ الْأَسَانِيدِ وَقَوِيِّهَا، يَرَوْنَ اسْتِعْمَالَ مَا نُقِلَ بِهَا، وَالِاحْتِجَاجَ بِمَا أَتَتْ مِنْ سُنَنٍ وَآثَارٍ . وَهِيَ فِي زَعْمِ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ مِنْ قَبْلُ وَاهِيَةٌ مُهْمَلَةٌ ، حَتَّى يُصِيبَ سَمَاعَ الرَّاوِي عَمَّنْ رَوَى ، وَلَوْ ذَهَبْنَا نُعَدِّدُ الْأَخْبَارَ الصِّحَاحَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ يَهِنُ بِزَعْمِ هَذَا الْقَائِلِ ، وَنُحْصِيهَا لَعَجَزْنَا عَنْ تَقَصِّي ذِكْرِهَا ، وَإِحْصَائِهَا كُلِّهَا . وَلَكِنَّا أَحْبَبْنَا أَنْ نَنْصِبَ مِنْهَا عَدَدًا يَكُونُ سِمَةً لِمَا سَكَتْنَا عَنْهُ مِنْهَا .

وَهَذَا أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ ، وَأَبُو رَافِعٍ الصَّائِغُ ، وَهُمَا مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَصَحِبَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ هَلُمَّ جَرًّا ، وَنَقَلَا عَنْهُمُ الْأَخْبَارَ حَتَّى نَزَلَا إِلَى مِثْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَذَوِيهِمَا قَدْ أَسْنَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا ، وَلَمْ نَسْمَعْ فِي رِوَايَةٍ بِعَيْنِهَا أَنَّهُمَا عَايَنَا أُبَيًّا ، أَوْ سَمِعَا مِنْهُ شَيْئًا .

وَأَسْنَدَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ ؛ وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَكَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا ، وَأَبُو مَعْمَرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَخْبَرَةَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خَبَرَيْنِ .

وَأَسْنَدَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وُلِدَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَأَسْنَدَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ؛ وَقَدِ أَدْرَكَ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَةَ أَخْبَارٍ .

وَأَسْنَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَقَدْ حَفِظَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،وَصَحِبَ عَلِيًّا ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا .

وَأَسْنَدَ رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثَيْنِ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا . وَقَدْ سَمِعَ رِبْعِيٌّ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَرَوَى عَنْهُ .

وَأَسْنَدَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا .

وَأَسْنَدَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَأَسْنَدَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا .

وَأَسْنَدَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا .

وَأَسْنَدَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ .

فَكُلُّ هَؤُلَاءِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ نَصَبْنَا رِوَايَتَهُمْ عَنِ الصَّحَابَةِ ؛ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ لَمْ يُحْفَظْ عَنْهُمْ سَمَاعٌ عَلِمْنَاهُ مِنْهُمْ فِي رِوَايَةٍ بِعَيْنِهَا ، وَلَا أَنَّهُمْ لَقُوهُمْ فِي نَفْسِ خَبَرٍ بِعَيْنِهِ .

وَهِيَ أَسَانِيدُ عِنْدَ ذَوِي الْمَعْرِفَةِ بِالْأَخْبَارِ وَالرِّوَايَاتِ مِنْ صِحَاحِ الْأَسَانِيدِ ، لَا نَعْلَمُهُمْ ؛ وَهَّنُوا مِنْهَا شَيْئًا قَطُّ ، وَلَا الْتَمَسُوا فِيهَا سَمَاعَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ .

إِذِ السَّمَاعُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُمْكِنٌ مِنْ صَاحِبِهِ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ ، لِكَوْنِهِمْ جَمِيعًا كَانُوا فِي الْعَصْرِ الَّذِي اتَّفَقُوا فِيهِ .

وَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أَحْدَثَهُ الْقَائِلُ الَّذِي حَكَيْنَاهُ فِي تَوْهِينِ الْحَدِيثِ بِالْعِلَّةِ الَّتِي وَصَفَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يُعَرَّجَ عَلَيْهِ ، وَيُثَارَ ذِكْرُهُ .

إِذْ كَانَ قَوْلًا مُحْدَثًا وَكَلَامًا خَلْفًا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ سَلَفَ ، وَيَسْتَنْكِرُهُ مَنْ بَعْدَهُمْ خَلَفَ ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا فِي رَدِّهِ بِأَكْثَرَ مِمَّا شَرَحْنَا ، إِذْ كَانَ قَدْرُ الْمَقَالَةِ وَقَائِلِهَا الْقَدْرَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى دَفْعِ مَا خَالَفَ مَذْهَبَ الْعُلَمَاءِ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ .

(التعليق)

أقول : قول عَائِشَــةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَــا : { كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُــولَ اللهِ ﷺ لِحِلِّهِ ، وَلِحِرْمِهِ بِأَطْيَبِ مَا أَجِدُ } " يؤخذ من هذا الحديث جواز استدامة الطيب ؛ قال الصنعاني رحمه الله : (فيه دليلٌ على استحباب التطيب عند إرادة فعل الإحرام ، وجواز استدامته بعد الإحرام ، وأنَّه لايضر بقاء لونه وريحه ، وإنَّما يحرم ابتداؤه في حال الإحرام ؛ وإلى هذا ذهب جماهير الأئمة من الصحابة ، والتابعين ، وذهب جماعةٌ منهم إلى خلافه) **قلت** : هذا الحديث وأمثاله يؤيد أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستديم الطيب،ولايقال أنَّ الذي يستديم ريحٌ بلا لون ؛ فهو جمع بين اللون والريح ؛ فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : {كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطِّيبِ فِي مَفَــارِقِ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ } .

أمَّا الحديث الذي استدل به من منع ذلك ؛ فإنَّه لادليل فيه ، وكذلك حصار النبي ﷺ لأهل الطائف ورجوعه ، وقسمة الغنائم ؛ كل ذلك كان في رمضان وشوال . وحديث صاحب الجبة منسوخ . الصابون المطيب يجب أن يتركه المحرم هل يمنع من الأكل والشرب إذا كان فيه زعفران ؟ فيه خلافٌ فيما أعلم ، والأحوط القول بالمنع ؛ لأنَّ النبي ﷺ في الحديث السابق قال : { وَلَا تَلْبَسُوا شَيْئًا مِنَ الثِّيَابِ مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ ، وَلَا الْوَرْسُ }

وإذا قلنا أنَّ العلة في المنع الرائحة وليس اللون ؛ فإنَّه لافرق بين ما تلبسه أو تشربه وتأكله " [1].

وأقول أيضاً : في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها : { كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اعْتَكَفَ ، يُدْنِي إِلَيَّ رَأْسَهُ ، فَأُرَجِّلُهُ ، وَأَنَا حَائِضٌ } قولها : " { فَأُرَجِّلُهُ } معلومٌ أنَّ بيت عائشة رضي الله عنها على يسار المسجد ، ولديه خوخة أي طاقة ؛ فهو ﷺ يدخل رأسه من تلك الطاقة ؛ وعائشة رضي الله عنها جالسة تحت من وراء الجدار ترجلِّ رأس رسول الله ﷺ .

ويؤخذ من هذه الجملة أنَّ المعتكف إذا أخرج بعض بدنه من محلِّ اعتكافه ؛ فإنَّ ذلك لايضر ، ولايحنث ؛ وكذلك لو حلف أن لا يخرج من البيت ، فخرج بعض بدنه ، فإنَّه لايحنث .

ويؤخذ منها أنَّ من حلف ألاَّ يدخل بيتاً فأدخل فيه بعض جسمه ؛ فإنَّه لايضر .

ويؤخذ منها جواز استعمال المعتكف للنظافة .

ويؤخذ منه جواز استعمال المعكتف لزوجته ، لاصلاح شعر ، ونحو ذلك ؛ فإنَّ هذا لايضر ، وليس ذلك من المباشرة المنهي عنها ؛ لأنَّ المقصود بالمباشرة في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] هي الجماع ، ومقدماته كالملاعبة ، ونحوها .

---

[1] انظر تنبيه الأنام على ما في كتاب سبل السلام من الفوائد والأحكام ج٤ / ١٦٣ برقم الحديث ٥ /٦٨٧ مخطوط .

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّ المسجد في عهد الرسول ﷺ ليس فيه حمَّامات ؛ لأنَّ العرب ما كانوا يتخذون المراحيض في البيوت ، وهذا باتفاق .

إذا لم يكن في المسجد مراحيض فيمكن للمعتكف الذهاب إلى البيت لقضاء حاجة البول والغائط ؛ أمَّا الأكل والشرب فلا ؛ إذا كان يمكنه ذلك في المسجد .

أمَّا عيادة المريض ، وتشييع الجنازة للمعتكف ؛ فالأظهر عدم جوازها ؛ وإذا كان المريض على طريق البيت إلى معتكفه ؛ فيكفي أن يسأل عنه من خارج بيته ؛ أمَّا أن يذهب إليه لعيادته ؛ فالأظهر أنَّه لايجوز .

وليس لأقل الاعتكاف مدة معينة ؛ لأنَّه لم يأتِ نصٌّ في ذلك ؛ فبعضهم قال أقلُّه ليلة منفردة أو يومٌ منفرد ، وبعضهم قال لو دخل المسجد ونوى الاعتكاف ولو ساعــة صحَّ اعتكافه ، ولعلَّ الأقرب قولهم هذا " [1]وبالله التوفيق .

و**أقول** : قول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : { أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ يُقَبِّلُهَا ؛ وَهُوَ صَائِمٌ } " التعبير عن قولها : { وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لِإِرْبِهِ } أنَّ ذلك يفيد كراهية التقبيل في نظري ، وأنَّ هذا التعبير فيه شيءٌ من تحميل الحديث ما لايحتمله ؛ لأنَّ عائشة قد ورد أنَّها أمرت بعض أقربائها أن يتزوج زوجةً وهو صائمٌ ؛

---

[1] انظر تنبيه الأنام على ما في كتاب سبل السلام من الفوائد والأحكام ج٤ / ١٣٠ برقم الحديث ٥ /٦٨٧ برقم الحديث ٥ /٦٦٠ مخطوط .

فهذا يدل على أنَّ المروي عن عائشة مختلف ؛ أو أنَّها أمرت قبل ذلك ؛ أو أنَّها سمعت أنَّ الناس أصبح عندهم تساهل .

أمَّا من ناحية كراهة التقبيل ؛ فيظهر أنَّ التقبيل لايكره إلاَّ إذا خيف أن يقع في الجماع ؛ فإنَّه يكره في حقِّه أمَّا غيره فإنَّه يجوز بلا كراهة ؛ ومن أوْضَح الأدلة على ذلك حديث عمر بن الخطاب : قال : { هشِشتُ يوماً ؛ فقبَّلتُ وأنا صائم ، فأتيت النبي ﷺ ، فقلت : صنعت اليوم أمراً عظيماً ، فقبَّلت وأنا صائم ، فقال رسول الله ﷺ : أرأيت لو تمضمضتَ بماءٍ وأنت صائمٌ ؟ قلت : لا بأس بذلك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيمَ ؟ } والذي أرى أنَّ الصائم ينبغي له أن يمتنع عن المباشرة ؛ وأمَّا إذا باشر فأمذى فهل يترتب عليه بطلان صيامه أو كفارة ؟ **وأقول** : المذي لايمكن الاحتراز منه ، ومما تعمُّ به البلوى ، ولأنَّ الرسول ﷺ لم يستفصل في عمل ابن الخطاب هل خرج منه مذي أو لا ؛ فدل على أنَّ المذي لاشيء فيه ، ولايترتب عليه بطلان صيامٌ ولاكفارة " [1] .

وأقول : حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : { أَطْعَمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لُحُومَ الْخَيْلِ ، وَنَهَانَا عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ } " ما هي العلة التي من أجلها حرمت لحوم الحمر الأهلية ؟ **الجواب** : ادعى بعض أهل العلم أن العلة في ذلك أنها للركوب والحمل ؛ فلو سُلِّط عليها الأكل لنفدت ؛ فلذلك حُرِّمت ،

---

[1] انظر تنبيه الأنام على ما في كتاب سبل السلام من الفوائد والأحكام ج٤ / ٩١ برقم الحديث ١٤ /٦٢٤ مخطوط .

والقول الصحيح أنهَّا إنمَّا حرِّمت لنجاستها ؛ لأنَّ النبي ﷺ أخبر أنهَّا نجسة ؛ ففي صحيح ابن خزيمة أنَّ النبي ﷺ قال لبعض الصحابة : أبغني أحجاراً استنفض بها ، فأتاه بحجرين ، وروثة حمار ، فرمى الروثة ، وقال إنهَّا ركس .

ويؤخذ من الحديث جواز أكل لحوم الخيل كما أفاده حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، وتقدَّم بأنَّ الجمهور قالوا بجواز أكل لحوم الخيل ، وأنَّ أبا حنيفة حرَّمها ؛ أو كرهها ، والقول بالإباحة هو صريح هذه الأحاديث الصحيحة ؛ المتفق عليها .

ويؤخذ من الحديث جواز أكل لحوم الحمر الوحشية ، وقد أكل النبي ﷺ منها في عام الحديبية حين لحقه أبو قتادة بشيء من لحم حمار الوحش ؛ الذي اصطاده ، وأكل لحم حمر الوحش ؛ متفق عليه ؛ لا خلاف في ذلك "[1]وبالله التوفيق .

[1] انظر تأسيس الأحكام على ما صحَّ عن خير الأنام بشرح أحاديث عمدة الأحكام ج٥ / ٢٦١ برقم الحديث ٣٧٥ مطبوع . بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

[كِتَابُ الْإِيمَانَ]

(١) بَابُ بيان الإيمان ، والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، وبيان الدليل على التبري ممن لايؤمن بالقدر ، وإغلاظ القول في حقِّه

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : « بِعَوْنِ اللهِ نَبْتَدِئُ ، وَإِيَّاهُ نَسْتَكْفِي ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ » .

١- (٨) **حَدَّثَنِي** أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ كَهْمَسٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، ح وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ - وَهَذَا حَدِيثُهُ - حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا : لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ،

وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ ، قَالَ : « فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي » ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ « لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ » ثُمَّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ ، وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : { أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ } ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : { أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : { مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ } قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : { أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ } ، قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : { يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ } قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ } .

٢- **حَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ ، وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ قَالُوا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، قَالَ : لَمَّا تَكَلَّمَ مَعْبَدٌ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ فِي شَأْنِ الْقَدَرِ أَنْكَرْنَا ذَلِكَ ، قَالَ : فَحَجَجْتُ أَنَا ، وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَجَّةً ، وَسَاقُوا الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ كَهْمَسٍ ؛ وَإِسْنَادِهِ ، وَفِيهِ بَعْضُ زِيَادَةٍ ، وَنُقْصَانُ أَحْرُفٍ .

٣- **وحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ غِيَاثٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَا : لَقِينَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﵁ فَذَكَرْنَا الْقَدَرَ ، وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ ، فَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِهِمْ ، عَنْ عُمَرَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ زِيَادَةٍ ، وَقَدْ نَقَصَ مِنْهُ شَيْئًا .

٤- **وحَدَّثَنِي** حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنْ عُمَرَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ .

٥- (٩) **وحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ ، قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : { أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ } ، قَالَ :

يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : { الْإِسْلَامُ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ } قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : { أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَ ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : { مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا : إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ تَلَا ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

قَالَ : ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ } ، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ } .

٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ ، غَيْرَ أَنَّ فِي رِوَايَتِهِ : { إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ بَعْلَهَا } يَعْنِي السَّرَارِيَّ .

٧- (١٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عُمَارَةَ وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : { لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ،

وَتَصُومُ رَمَضَانَ } قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : { أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ } قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : { أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ قَالَ : { مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا : إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ } ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

قَالَ : ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :{ رُدُّوهُ عَلَيَّ } فَالْتُمِسَ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :{هَذَا جِبْرِيلُ ،أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا }

(التعليق).

قوله : "كتاب الإيمان " الإيمان في اللغة التصديق .

وفي الشرع : قولٌ باللسان ، وتصديقٌ بالجنان ، وعملٌ بالأركان ؛ هذا مذهب السلف ، والبحث فيه يتلخص في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : العموم ، والخصوص بين الإيمان والإسلام .

الموضع الثاني : الزيادة ، والنقص في الإيمان .

الموضع الثالث : هل الأعمال من الإيمان أم لا ؟

أمَّا الموضع الأول : الذي هو العموم ، والخصوص بين الإسلام ، والإيمان ؛ فالقول الذي تطمئن إليه النفس ، والذي هو مأخوذٌ عن السلف ، وتؤيده الأدلة أنَّ الإسلام دائرةٌ أوسع من الإيمان ، والإحسان ، وأنَّ الإيمان دائرةٌ أضيق من الإسلام ، وأنَّ الإحسان دائرةٌ أضيق من الإيمان .

لو صوَّرنا مثلاً في هذا الحائط ثلاثُ دوائر ؛ دائرةٌ في بطن دائرةٍ ، فالدائرة الواسعة منها ؛ والتي هي المستوعبة للدائرتين هي دائرة الإسلام ، والدائرة التي في بطنها أضيق منها هي دائرة الإيمان ، والدائرة التي في بطن الدائرة الداخلية ؛ هي دائرة الإحسان :

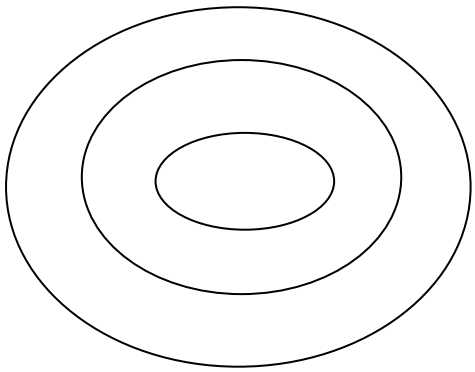

إذن ؛ فالإنسان عندما يتشهد الشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ؛ هو يدخل في دائرة الإسلام ، ثم بشيء من الأعمال ينمو إيمانه ، ويزيد ، فيدخل في دائرة الإيمان ، ثم بشيء من الأعمال أيضاً يتوغل في الإيمان ؛ فيصل إلى دائرة الإحسان .

ومن هنا يقال أنَّ دائرة الإسلام أعمُّ ، وأنَّ دائرة الإيمان أخصُّ ؛ فمن خرج من الإيمان لم يخرج من الإسلام ، وعلى هذا يحمل عليه قول النبي ﷺ في الأحاديث التي تنفي الإيمان عن العبد إذا هو أقدم على شيءٍ من المحرمات كقول النبي ﷺ : { لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ } وعن أبي شريح الأنصاري ﷺ[1] : { أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ؛ قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ } [أي شرُّه ، وأذاه] .

إذن ؛[2][هؤلاء] ما خرجوا من الإسلام ، ولكنَّهم خرجوا من الإيمان ، وبقوا في دائرة الإسلام ؛ أمَّا الإسلام ؛ فلا يخرج منه العبد ؛ إلَّا بشيءٍ من نواقض الإسلام العشرة المعروفة .

فإذا هو عمل عملاً ينافي الشهادتين ؛ فمثلاً إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ، ولكنَّه أتى بتيسٍ أو كبشٍ ليذبحه نذراً لفلانٍ ، فهذا لا شكَّ أنَّه قد ناقض الشهادتين ، وهكذا يقال في الأمور التي تناقض الإسلام ؛ كمن لو طلب من الميت ؛ أو طلب من الحي ما لا يقدر

---

١) الحديث متفق عليه أخرجه الإ مام البخاري في صحيحه برقم ا لحديث ٥٥٧٨ و ٦٧٧٢و ٦٧٨٢ و ٦٨١٠ وأخر جه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٥٧ من حديث أبي هريرة ﷺ .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٠١٦ .

عليه إلاَّ الله ؛ فإنَّه قد ناقض الإسلام .

وعندئذٍ نقول إنَّ الإيمان أخصُّ ، والإسلام أعمُّ ؛ والعبد يكون مسلماً ، ولا يكون مؤمناً ، ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] أي إلى الآن ما دخل الإيمان في قلوبكم .

فهذا البحث في العموم ، والخصوص ؛ إذا أطلق أحدهما وحده ؛ دخل فيه الآخر ، وإذا ذكرا جميعاً أي الإيمان ، والإسلام ، فعند ذلك يكون المقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة ، والمقصود بالإيمان العقائد الباطنة ؛ هذا هو الموضع الأول .

الموضع الثاني : من ناحية الزيادة ، والنَّقص ، وهنا اختلف الناس ؛ فأهل السنة والجماعة عقيدتهم واضحةٌ ؛ كالشمس لا غبار عليها ؛ فيقولون الإيمان يزيد ، وينقص ؛ يزيد بالأعمال الصالحة ، وينقص بالمعاصي ، والتفريط ، والتقصير ، ولهذا فإنَّ الناس يتفاوتون فيه (١) ؛ فأعظم الناس إيماناً بعد النبي ﷺ أبو بكرٍ ، ثمَّ عمر ، وهكذا هذا التفضيل على أيِّ شيءٍ يكون ؟ !! وهل يصحُّ أن يقول شخصٌ أنَّ إيمانه ، وإيمان جبريل سواءً ؟ الجواب : لا يصح ، فالمرجئة يقولون الإيمان هو النُّطق باللسان ، والاعتقاد بالقلب ؛ والأعمال عندهم ليست من الإيمان .

---

١) أي في الإيمان .

ونحن الآن في زمننا هذا نجد كثيراً من الناس على هذه العقيدة ، فتقول له يا ابن الحلال اتق الله ؛ قال : يا ابن الحلال الإيمان في القلب ؛ يعني معناه ؛ أنَّك إذا صدَّقت بقلبك ، فليس هناك مانعٌ أن تفعل المنكر ، فتقطع رحمك ، وتَعُقَّ الوالدين ، وتأكل السُّحت ... وهذا مذهبٌ باطلٌ ، فهذا هو مذهب المرجئة ، وهم من الفرق الضالة .

أمَّا المعتزلة ، فيقولون مثل قول أهل السنة والجماعة ؛ إلَّا أنهَّم يختلفون عن أهل السنة والجماعة ، فيقولون الإيمان تصديقٌ بالقلب ، ونطقٌ باللسان ، وعمل بالجوارح ، ويرون أنَّ مقترف الكبيرة : لا مؤمنٌ ، ولا كافرٌ ؛ فهو في منزلةٍ بين المنزلتين ، ويوافقون الخوارج في أنَّه[1] يخلَّد في النَّار ، والمرجئة يقولون عن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان ، ولايضر مع الإيمان ذنب ، وفي الآخرة مآله الجنة .

فالخوارج قالوا : أنَّ صاحب الكبيرة يخرج من الإسلام ، ويخلَّد في النَّار في الآخرة ، ولهذا السبب قد كَّفروا جميع الصحابة ؛ ما عدا أبا بكرٍ ، وعمر ، والعياذ بالله ، فهؤلاء هم الخوارج .

والمهم أنَّ هذا الباب [2]ضل فيه كثيرٌ من الناس ، فالمرجئة يُغلِّبون الوعد في الآيات ؛ التي فيها الوعد بالجنة يُغلِّبونها ، والخوارج ، والمعتزلة يُغلِّبون الوعيد ؛ ولهذا يُسمَّون الوعيدية .

---

[1] أي مرتكب الكبيرة .

[2] أي باب الإيمان والإحسان .

وعلى هذا فأهل السنة والجماعة ؛ قولهم وسطٌ بين التفريط والإفراط ، وبين الغلو ، والتساهل ؛ فهم [1]يقولون أنَّ مقترف الكبيرة تحت المشيئة ، إن شاء الله عفا عنه ، وأدخله الجنة بدون عذاب ، وإن شاء عذَّبه في النار بقدر جنايته ، ثمَّ أدخله الجنة ، فنهاية كلِّ موحدٍ ؛ مؤمن بالله ، وباليوم الآخر نهايته الجنة .

ما هي أدلة أهل السنة والجماعة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص ؟ أدلَّتُهم على زيادة الإيمان ، ونقصانه من ثلاثة أوجه : –

الوجه الأول : الآيات الدَّالة على زيادة الإيمان ؛ كما أوردها البخاري في أول كتاب الإيمان ؛ منها قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] وقال تعالى : ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر : ٣١] وغيرها من الآيات ؛ التي فيها أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة ، وإذا قلنا أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة ؛ فمن لازم ذلك أنَّه ينقص بقلة الطاعة ، وبفعل المعصية .

الوجه الثاني : أنَّ أهل الجنة يتفاوتون في دخولهم الجنة ، وفي منازلهم فيها ، وقد ثبت عن النبي ﷺ : { إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً }[2]

---

[1] أي أهل السنة والجماعة .

[2] الحديث متفقٌ عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٣٢٧ وأخرجه الإمام في صحيحه برقم ٢٨٣٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال : { إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ ، مِنَ المشْرِقِ أَوِ المغْرِبِ ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ؛ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ، قَالَ : بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المرْسَلِينَ } [1] فهذا يدلُّ على أنهَّم يتفاوتون في منازلهم ، وما تفاوتت المنازل ؛ إلاَّ بسبب تفاوت الإيمان ؛ فكلَّما كان الإيمان أعمق ، والأعمال أكبر ، والتفاني في طاعة الله أكثر ؛ كانت المنزلة [عند الله] أعلى .

الوجه الثالث : استدلوا بما ثبت في أحاديث الشفاعة ؛ للموحدين ؛ الذين يدخلون النار ، ويَشفع فيهم الشافعون ، وقد قال الله عز وجل لملائكته كما في حديث : { أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }[2] وفي رواية : { ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ،

---

[1] الحديث أيضاً متفقٌ عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٢٥٦ و ٦٥٥٥ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٢٨٣١من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٢ .

ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ }[1] وفي حديث أنس بن مالك ﷺ : { عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ }[2] إذن هذا التفاوت يدلُّ على أنَّ الإيمان كان متفاوتاً ، فهذه كلها أدلةٌ تدلُّ على زيادة الإيمان ، ونقصانه ، وأنَّ العبد يجد من نفسه أنَّ إيمانه يزيد ؛ إذا هو عمل العمل الصالح ، وأنَّ إيمانه ينقص أحياناً ؛ إذا هو فرَّط في الواجبات أو أقدم على المحرمات .

الموضع الثالث : يؤخذ من هذا الحديث :

أولاً : الحديث مداره على عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، أو يَحْيَى بْنِ يَعْمُرُ ؛ لكن بالفتح [استعمالها] أكثر .

ثانياً : هذا الحديث الذي هو حديث جبريل عليه السلام ؛ استوعب أصول الإسلام ، وأصول الإيمان ، والإحسان ؛ يعني أصول الدين كلِّها .

وقد قلنا إنَّه إذا ذكر الإسلام ، والإيمان معاً ؛ فإنَّ الإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة ، والإيمان يطلق على الأعمال الباطنة [1].

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٨٣ من حديث أبي سعيد ﷺ .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٤ .

[1] وإذا ذكر الإسلام أو الإيمان على حده في القرآن أو السنة ، فيراد به الأعمال الظاهرة ، والباطنة جميعاً .

ثالثاً : قوله : " فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ " **أقول** : أهل هذه المقالة ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول : قوم يغلون في القدر ، ويقولون إنَّ العبد بمنزلة الغصن ؛ الذي يتحرَّك ، والحجر الذي يتدحرج ؛ يعني عندما تلقي صخرةً من رأس جبل تذهب هذه الصخرة تنقلب في جانب الجبل إلى أن تصل في مستقرها ؛ كأنها مجبرة ، فقالوا إنَّ العبد كأنه مجبرٌ ، وهذا القول باطلٌ ، وهؤلاء يقال لهم القدرية المجبرة ، ويردُّ عليهم أنَّ الله أعطى للعبد خِيرةً ، ولكنَّها خِيرةٌ لا تخرج عن خِيرة الله ، وإرادته ؛ قال الله تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٨ – ٢٩] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ۞ نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَإِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلاً ۞ إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً ۞ وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الإنسان : ٢٧ – ٣٠] فالعبد مخيَّرٌ ، وله إرادةٌ ، ولكنَّها خاضعةٌ لخِيرةَ الله ، وإرادتَه ؛ فينبغي للعبد أن يكون دائماً متصلاً بربه ؛ ملِحَّاً بالسؤال ، والدعاء ؛ طالباً من الله أن يوفقه ويهديه .

القسم الثاني : هو قول القدرية النفاة ؛ وهم الذين ذُكِروا في الحديث ، والذين يقولون : لا قدر ، وأنَّ الأمر أنفٌ ؛ فهؤلاء أيضاً كذَّبوا بالقرآن ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٥٤]

فكلُّ شيءٍ قد كُتب ، وقُدِّر في اللوح المحفوظ ؛ وكلُّ حركةٍ ، وكلُّ سكونٍ ، وكلُّ كلمةٍ ، وكلُّ عملٍ ؛ لابدَّ أنَّه مكتوبٌ ، وقد عُلِمَ ، وهو أيضاً بمشيئة الله ، وإرادته ؛ قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل : ٥ – ١٠] فالله سبحانه وتعالى قد كتب هذه الأعمال ، وكلَّها بمشيئته ، وقال ﷺ : { إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ ، ثُمَّ قَالَ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[1] وعندئذٍ يقال أيضاً بأنَّ هؤلاء [2]؛ قد انقرضوا ، وخلفهم أقوامٌ ؛ قالوا أنَّ الخير مقدَّرٌ من الله ، والشَّر من الإنسان ؛ لذلك فإنَّ النبي ﷺ شبههم بالمجوس ، وجاء في الحديث : { إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ ، وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ }[1]

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٧٠٥وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ٢٦٨٧ وأخرجه الإمام الآجري في كتاب الشريعة برقم ٣٤٧ وأخرجه الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم ١٣٦٢ والحديث صحح الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم **٢٠١٧** من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

[2] أي القدرية النفاة .

[1] الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم الحديث ٩٢ وأخرجه الإمام أبي داود في سننه برقم ٤٦٩١ ، وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الوسيط برقم ٤٤٥٥ والمعجم الصغير برقم ٦١٥ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٢٠٨٦٩ ، وحسن الحديث الإمام الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٢٠٨٦٩ من حديث ابن عمر ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ومن الحقائق في هذا المعنى ؛ أنَّ عمرو بن عبيد القدري ، وواصلَ بن عطاء ؛ اعتزلا حلقة الحسن البصري رحمه الله ؛ لما زعما أنَّ الفاسق من هذه الأمة لا مؤمنٌ ، ولا كافرٌ ؛ فجعلا الفسق في منزلتي الكفر ، والإيمان ، وأن الحسن البصري رحمه الله طرد واصلَ بن عطاء ؛ لما سمع ذلك منه ، وانضم إلى صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس فيهما ؛ أنهما اعتزلا قول الأمة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة [٢] .

قال ابن المبارك رحمه الله :

أيها الطالب علما ائت حماد بن ز يد
فخذ العلم بحلم ثم قيّده بقيد
وذر البدعة من آثارِ عمروِ بن عبيد [٣]

---

[٢] انظر الفرق بين الفرق الفرق ص ٢٠ .

[٣] ذم الكلام (ق-١٩٦/أ) .

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية : " وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلْقَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ ؛ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُسْرَقَ نَاقَتُهُ فَسُرِقَتْ ، فَارْدُدْهَا عَلَيْهِ ! فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا حَاجَةَ لِي فِي دُعَائِكَ ! قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَخَافُ – كَمَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ ، فَسُرِقَتْ – أَنْ يُرِيدَ رَدَّهَا ، فَلَا تُرَدُّ!! " [1]

فقول عمرو بن عبيد هذا ؛ باطلٌ يجب على المسلمين أن يحذروه ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقدِّر هذه الأمور ؛ ويعلمها ، ولا نعلمها نحن ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] وأنَّ الإرادة تنقسم إلى قسمين :

١- إرادة قدرية كونية ٢- وإرادة شرعية .

فالإرادة القدرية الكونية ؛ هي أنَّ الله قدَّر الكفر ، وقدَّر المعاصي كوناً ، ولم يشأ أن [تقدَّر شرعاً] أي أن تُعمل في الشرع ، لأنَّ الله نهى عنها شرعاً .

فالإرادة الشرعية : هي ما شرعه الله من الأحكام الشرعية ؛ التي أمر عباده أن يفعلوها ، وأن يعملوا بها .

وأنَّ الإرادة الكونية ، والشرعية ؛ قد تحقَّقت في المؤمنين ، وأنَّ الله أراد كوناً أن يكونوا مؤمنين ، وأراد شرعاً منهم أن يمتثلوا الشرع .

وعندئذٍ ينبغي للمسلم أن يَكِلَ القدر ، وعلمه إلى الله ، وينبغي للمسلم ألاَّ يتوغل بدينه في القدر ،

---

[1] انظر ج١ / ٢٢٧ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية .

وليعلم أنَّ لله على عبادة الحجة البالغة : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] وقد جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : { خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ } [1][الأنعام : ١٥٣] وقد جاء في الحديث أيضاً : { ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا ، وَلَا تَتَعَرَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ ، قَالَ : وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ ، وَالسُّورَانِ : حُدُودُ اللهِ ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ : مَحَارِمُ اللهِ ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ : كِتَابُ اللهِ ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ : وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ }[2] .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام الدارمي في سننه برقم ا لحديث ٢٠٨ وأخر جه الإ مام أ حمد في م سنده برقم ٤١٤٢ وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ١٦٧٧ و١٦٩٤ و١٧١٨ و١٨٦٥ وأخر جه ا لمروزي في سننه برقم ١١و١٢ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٦ و٧ وأخرجه الإمام الحاكم في م ستدركه عـلى الصحيحين برقم ٣٢٤١ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٩٧وأخرجه الإمام ابن بطة في الإبا نة الكبرى برقم ١٢٧ وحسن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح برقم ١٦٦ .

[2] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٧٦٣٤ و ١٧٦٣٦ وأخرجه ابن عاصم في كتاب السنة برقم ١٨ وأخرجه الإمام المروزي في السنة برقم ١٦ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى ، وأخرجه الإمام الطحاوي في مشكل لآثار برقم ٢١٤١ وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين

فينبغي للمسلم أن يستقيم على الطاعة ، وأن يسأل الله عز وجل أن يقيمه على الحق ؛ قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُون ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ – ٣٢] .

وينبغي لك أيها المسلم أن تسأل الله دائماً أن يثبتك على هذا الصراط ، ولهذا أمر الله بقراءة الفاتحة في كلِّ ركعةٍ من صلاتنا ، ومنها قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ .

قوله ﷺ : { حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ } أي أنَّه لا يبين عليه أثر السفر ، فكأنَّه جاء من قريبٍ ، ولكن لا يعرفه منهم أحد .

قوله ﷺ : { حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ } يعني الضمير في الركبتين الأولى للرجل ، والضمير في ركبتيه في الكلمة الثانية للنبي ﷺ وهذا يؤخذ منه أدب المتعلم ، وكيف يكون جلوسه عند المعلِّم .

وقوله : { وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ } هذه حالة المتلقي ؛ الذي يأخذ عن شيخه .

برقم ٢٤٥ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الأيمان برقم ٦٨٢١ ،وصحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٣٨٨٧ من حديث النواس بن سمعان ﷺ .

قوله ﷺ : { وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ } جاء بهذا اللفظ : { يَا مُحَمَّدُ } أكأنَّه رجلٌ من الأعراب . قوله ﷺ : { فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } .

أولاً : الإسلام معناه : الاستسلام ، والانقياد.

وثانياً : إنَّ الإسلام كما قلنا سابقاً إذا ذُكر مع الإيمان ؛ فكلٌّ منهما يطلق على شيء ، فالإسلام يطلق ، ويراد به الأعمال الظاهرة ، والإيمان يطلق ، ويراد به الأعمال الباطنة .

ثالثاً : قوله ﷺ : { الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } شهادة ألَّا إله إلاَّ الله الاعتراف ، والإقرار بالوحدانية ، وبالألوهية لله وحده دون سواه ، وأنَّ كلَّ ما سواه غير صالحٍ للألوهية ، فالألوهية حقٌّ لله عز وجل لا يشترك معه أحدٌ فيها ؛ ذلك لأنَّه أياً كان لا يصلح للألوهية ، فالألوهية لابدَّ أن يكون المستحق لها غير مخلوق ، ومن هو الذي يكون غير مخلوق إلَّا الله عز وجل . وقوله ﷺ : { أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } { لا إله } تنفي [1]{ إلاَّ الله } تثبت الإلهية لله جلَّ وعلا .

[1] أي الألوهية عن غير الله عز وجل .

من هو الإله ؟ الإله هو المعبود ؛ الذي يُفْزَع إليه ، ويُرْغَبُ إليه ، ويُدْعَى عند الحاجة ، وعند الضرورة ؛ فيستجيب [1]: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

والإله هو المهيمن المطلَّع العالِم بكلِّ ما يصدر من عباده ؛ فهذه الصفات يختص بها ربنا جلّ وعلا ، وأنَّه بكلِّ شيءٍ عليم ؛ أحاط بكلِّ شيءٍ علماً ، من وساوس النَّفوس ، وخطرات القلوب ، ولحظات الأعين ، ولفظات الألسن ، وحركات الجوارح ؛ كلُّها محصاةٌ عند الله سبحانه وتعالى ، ومعلومةٌ عنده .

كذلك أيضاً له القدرة على الخلق ، وأنَّه سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يفعل بهم ما يريد جلّ وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] .

كذلك أيضاً ؛ مع القدرة ، والعلم ، والاطلاع ؛ فهو حليمٌ جلّ وعلا ، وصف نفسه بالحلم مع العلم ، والعفو مع القدرة ؛ وأنَّه إذا حصل من الإنسان شيءٌ من الخطأ ؛ فإنَّه جل وعلا يعفو إذا طلب الإنسان العفو من ربه ؛ أمَّا من تجرأ عليه ، واستهان به تعالى ؛ فإنَّه حينئذ يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر ، وقد جاء في الحديث : { إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ } قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾} [2] [هود: ١٠٢] .

---

[1] أي لمن دعاه .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في سننه رقم الحديث ٤٦٨٦ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

إذن فالله هو المتصف بهذه الصفات ؛ والمتصف بالبقاء الذي لا نهاية له ، والحياة التي لا أول لها : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] فالمتصف بهذه الصفات هو الذي يستحق الألوهية .

وإذا نظرنا إلى المعبودات جميعاً ؛ والتي يعطيها بنو آدم العبودية ، والطاعة ، ويستغيثون بها ، ويسألون منها مالا يطلب إلاَّ من الله ؛ هؤلاء كلُّهم عاجزون ؛ ضعفاء ، والله سبحانه وتعالى يقول للمشركين : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۞ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣ – ١٤] أي إن يسمعوا دعاءكم ؛ فإنهَّم لا يقدرون على الإجابة ، وإن كانوا لا يسمعون ؛ فإنهَّم من باب أولى [1]، وكلُّ إنسانٍ يعرف هذا من نفسه وكلُّ من ادعى الألوهية ؛ فهو مدَّعٍ ما ليس له ؛ وهو كذَّابٌ في هذه الدعوى .

قوله ﷺ : { وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ } الشهادة للنبي محمد ﷺ بالرسالة ؛ هذه قرينة الشهادة لله بالألوهية ؛ فإذا شهدت لله وحده بالألوهية ؛ فلا بدَّ أن تشهد للنبي بالرسالة ﷺ وإلَّا فإنَّ إسلامك غير مقبول ، وإيمانك غير صحيح إلَّا إذا شهدت للنبي ﷺ بالرسالة .وأنَّ أوَّل ما يعالج الرسل به أممهم ثلاثة أشياء ، وكلُّ رسولٍ يبدأ بها ، فما هي هذه الأشياء ؟

---

[1] أي لايقدرون على الإجابة .

أولاً : توحيد الله عز وجل ، ونبذ كلَّ ما دونه سبحانه وتعالى [1].

ثانياً : أنَّ الرسل من البشر ؛ وهم الوسطاء بين الله وبين خلقه ؛ وأنهَّم أفضل البشر .

ثالثاً : الإيمان باليوم الآخر .

فهذه الثلاثة أولُّ ما يعالج كلُّ رسولٍ أمَّته ؛ فيجب الإيمان بها :

١- الإيمان بالله ، وبوحدانيته ٢- الإيمان بالرسالات السماوية ٣- الإيمان بلقاء الله ، واليوم الآخر ؛ الذي يلقى فيه كلُّ العباد ربهَّم ؛ فيجازي كلَّ واحدٍ منهم بما عمل .

فحينما تشهد للرسول ﷺ بالرسالة ، فيلزم من ذلك التلقي ؛ بأن تكون متلقياً من الرسول ﷺ إذ هو المعلِّم ، وهو الدَّال على الله عز وجل ، وعلى الطريق الموصلة إليه ، وهو الذي ينهى ، ويأمر بالتباعد عن كلِّ طريقٍ يوصل إلى النار ، والعياذ بالله .

فمن شهد أنَّ محمداً رسولُ الله ؛ فيجب عليه أن يتلقَّى من الرسول ﷺ فلا يقدِّم على قوله قول شيخٍ ، ولا قولاً لغنيٍّ عظيم ؛ من العظماء فيما يرى الناس ، ولا كبيرٍ من الكبراء ، ولا حكيمٍ ، ولا أيِّ إنسانٍ من البشر ؛ فإنَّه لا يجوز أن يقدَّم قوله على قولِ رسولِ الله ﷺ ولا حكْمه على حكمِ رسولِ الله ﷺ سواء كان إمام مذهبٍ ؛ أو شيخَ طريقةٍ ؛ كما يقول الصوفية ؛ أو رئيس دولةٍ؛ أو زعيم شعبٍ ؛ أو ما أشبه ذلك ؛

---

[1] أي من المعبودات الباطلة .

فكلُّ هؤلاء لابدَّ أن يكونوا خاضعين لرسول الله ﷺ وهذا هو مقتضى الإيمان به عليه الصلاة والسلام ؛ فلا يجوز لك أن تعارض قولَ رسول الله ﷺ بقول أيِّ بشر يكون ؛ ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

فأنت عندما تُسْلِمْ تَسْتَسلم ، وتنقاد لله إذاً فلا يكون لك خيارٌ بعد ذلك في الذي يعجبك فتأخذه ، والذي لا يعجبك تتركه ؛ فهذا لا يكون من المؤمن أبداً .

وقد ورد حديث : { عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِي الله عَنْهَا ، قَالَتْ : خَطَبَنِي عِدَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأَرْسَلْتُ أُخْتِي حَمْنَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْتَشِيرُهُ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَيْنَ هِيَ مِمَّنْ يُعَلِّمُهَا كِتَابَ رَبِّهَا ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهَا ؟ قَالَتْ : وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ؟ قَالَ : فَغَضِبَتْ حَمْنَةُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَتُزَوِّجُ بِنْتَ عَمَّتِكَ مَوْلَاكَ ؟ قَالَتْ : جَاءَتْنِي ، فَأَعْلَمَتْنِي ، فَغَضِبْتُ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهَا ، وَقُلْتُ أَشَدَّ مِنْ قَوْلِهَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب : ٣٦] ، قَالَتْ : فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقُلْتُ : إِنِّي اسْتَغْفِرُ اللهَ ، وَأُطِيعُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، افْعَلْ مَا رَأَيْتَ ، فَزَوَّجْنِي زَيْدًا ، وَكُنْتُ أَرْثِي عَلَيْهِ ، فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَعَاتَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ عُدْتُ ، فَأَخَذْتُهُ بِلِسَانِي ، فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَا أُطَلِّقُهَا ،

قَالَتْ : فَطَلَّقَنِي ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي لَمْ أَعْلَمْ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ عَلِيَّ بِبَيْتِي ، وَأَنَا مَكْشُوفَةُ الشَّعْرِ ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ أَمَرٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ بِلَا خِطْبَةٍ ، وَلَا إِشْهَادٍ ؟ فَقَالَ: اللهُ الْمُزَوِّجُ ،وَجِبْرِيلُ الشَّاهِدُ } [1].

وقد جاء أيضاً في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : { خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا قَالَ : حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا قَالَ : فَنَعَمْ إِذًا ، فَذَهَبَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ : لَا هَا اللَّهِ إِذًا ، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا فُلَانًا ، وَفُلَانًا ؛ قَالَ : وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْمَعُ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ : أَتردُّون عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ ؛ فَأَنْكِحُوهُ ؛ قَالَ : فَكَأَنَّهَا حلَّت عَنْ أَبَوَيْهَا ، فَقَالَا : صَدَقْتِ ، فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللهﷺ فَقَالَ : إِنْ رَضِيتَهُ لَنَا رَضِينَاهُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَرْضَاهُ ، فزوَّجها ، فَفَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَتْ امْرَأَةُ جُلَيْبِيبٍ فِيهَا ، فَوَجَدَتْ زَوْجَهَا ، وَقَدْ قُتِلَ ، وَتَحْتَهُ قَتْلَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ ؛ قَالَ : أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ : فَمَا رَأَيْتُ بِالْمَدِينَةِ ثيّباً أنفق منها }[2] روى فيما أذكر ابن جرير القصتين ، وذكر ابن كثير أيضاً القصتين .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له برقم ا لحديث ١٠٩ و قال الطبرا ني رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَفِيهِ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، وَفِيهِ تَوْثِيقٌ لَيِّنٌ ، وأخرجه الإمام البيهقي في ال سنن الكبرى برقم ١٣٧٨٢.

[2] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٢٣٩٣ و١٩٨١٠ وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ٦٩٢٥ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٤٠٣٥ و٤٠٥٩ واللفظ له ، وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ١٤٤٦ وأخرجه الإمام عبد الرزاق في مصنفه برقم ١٠٣٣٣ وصحح الحديث الإمام الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم ٤٠٢٤ .

وعلى كل حال ؛ فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وهل يجوز أن أقول إن أعجبني الذي جاء به الرسول ﷺ أخذته ، فأُنْزِلُه منزلة السلع ؛ التي تتخير فيها ما تريد ؟

الجواب : لا يجوز هذا ، وأنَّ المعتزلة ، والعقلانيين ؛ الذي يعرضون السنة على العقول ، ويأخذون منها ما وافق العقل ، ويمثلهم في هذا الزمن محمد الغزالي ؛ فهؤلاء ارتكبوا خطأً عظيماً ، وجرماً كبيراً ، ونسأل الله العفو والعافية .

إذن فالشهادة للنبي ﷺ بالرسالة ؛ معناها التلقي عن رسول الله ﷺ وهو يتلقى عن جبريل ، وجبريل يتلقى عن الله ، ونحن نتلقى عن النبي ﷺ ، وفي حديث : { أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَخْبَرَهُمْ : أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمِّرِ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ ، قَالَ عُمَرُ : بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي ، قَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا ، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا ... [الحجرات : ١] حَتَّى انْقَضَتْ ﴾ وفي لفظ : { عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ – قَالَ نَافِعٌ لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ – فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي ،

قَالَ : مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ [الحجرات : ٢] الآيَةَ ؛ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ }[1] .ففي هذا الحديث كلٌّ من أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما يقول نؤمِّر فلاناً ، فكيف بمن وجد رأي إمامه ، ووجد الحديث يعارضه ، وتراه بعد ذلك يقول يمكن هذا منسوخٌ ؛ يمكن هذا كذا ، ويحتمل أنَّه كذا ، ويذهب إلى التأويل [الفاسد] ؛ الذي يردُّ به الحديث النبوي ، ويجعل رأي إمامه هو الأصل .

فيا مَنْ يؤمن بالرسول ﷺ لا يجوز أن يقول أنَّ العقل يحكم على النقل ، ولا يجوز أن نأخذ ديننا عن أناسٍ لا يعلمون شيئاً [2]، وإنَّما هي الوساوس ، والخواطر ، والظنون و، الحرص الذي ليس بمضمون .

قوله ﷺ : { وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ } ما معنى تقيم الصلاة ؟ أي تأتي بها على الوجه المطلوب ؛ الذي شرعه الله على لسان رسول محمد ﷺ وحصل به العمل من الرسول ﷺ وعلَّمه أمته ، وفي حديث أبي هريرةرضي الله عنه : { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ المِسْجِدَ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ ، فَصَلَّى ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَدَّ ، وَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ؛ ثَلاَثًا ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٣٦٧ و ٤٨٤٥ و ٤٨٤٧ و ٧٣٠٢ .

[2] أي من الأمور .

فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ ، فَعَلِّمْنِي ، فَقَالَ : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ ؛ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا } [1].

إذن فالصلاة الشرعية ؛ هي التي تأتي على حسب ما شرعه رسول الله ﷺ بأن يركع الإنسان حتى يطمئن في الركوع ، ويرفع حتى يعتدل في القيام ، ويسجد حتى يطمئن في السجود ويرفع حتى يعتدل في الجلوس ، ويسجد حتى يطمئن في السجود . فإذا كان الشخص يصلي ، ولا يُتمُّ الركوع ، ولا السجود ؛ فإنَّ صلاته مردودةٌ ، وغير صحيحةٌ ، ولو كان إمامه قد رأى أنَّ الطمأنينة ليست بواجبة ؛ كما هو قول واحد من الأئمة الأربعة ، وهو أبو حنيفة .

وتجد من يتمذهبون لمذهبه كما بلغني أنَّهم إذا ركع الإنسان ، وطول في الركوع ، ورفع ، واطمأن في الاعتدال ، وسجد ، واطمأن في السجود ، ورفع ، واعتدل في الجلوس ، فإنَّهم يغضبون من هذا ؛ أو يقولون أنَّ هذا خالف مذهبهم ، وهنا يأتي ما سبق ذكره ؛ وهو أنَّه لابد أن يكون التلقي من الرسول ﷺ

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٧٥٧ و ٧٩٣ و ٦٢٥١ و ٦٦٧ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٣٩٧ .

ولهذا يقول النبي ﷺ : { أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ ؛ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ ؟ قَالَ : لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا ، وَلَا سُجُودَهَا ؛ أَوْ قَالَ : لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ } [1].

فإقامة الصلاة هو الإتيان بها على الوجه المطلوب كاملةً : بطهارتها ، ووقتها ، وركوعها ، وسجودها ، وأذكارها ، وقراءة الفاتحة فيها ، والتسبيح في الركوع ، وذكر الاعتدال ، وذكر السجود ، وذكر الاعتدال ، والتشهد ، وكلُّ ذلك لابدَّ أن يأتي به الإنسان كاملاً ؛ حتى تكون صلاته كاملةً ، وإلاَّ فإنَّها تكون صلاة غير مقامة [على الوجه الشرعي] قال الله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

السؤال : من ترك الصلاة ماذا نقول فيه ؟ هل نعتبره مسلماً في التابعية [2]، ولو تسمَّى باسم محمدٍ ؛ أو علي ؛ أو عبد الله ؛ أو عبد الرحمن ، ولكنَّه عبدٌ للشيطان فهل نعتبره مسلماً ؟

الجواب : لا . لأنَّ الإسلامُ لا يُعتَبَرُ بالجنسية ، والتابعية ؛ بل الإسلام يعتبر بالإتيان بما أوجب الله في الإسلام ؛ من الشرائط ، والأركان ؛ التي يكون الإنسان فيها مسلماً .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٦٤٢ وأخرجه الإ مام أ بو داود الطيال سي في مسنده برقم ٢٣٣٣ وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين برقم ٢٣٤٧ ، وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٨٦ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

[2] يراد بها البطاقة الشخصية أو كرت العائلة أو حفيظة النفوس .

إذن من ترك الصلاة بالكلية ؛ فهو كافرٌ على القول الأصح .

ولا شكَّ أنَّ كثيراً من العلماء لا يرون كفره ، ولكن يرون قتله حدَّاً بعد الاستتابة ؛ والأدلة الدَّالة على كفره كثيرة ، فمنها قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] وقول النبي ﷺ : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ } [1]وكذلك قول النبي ﷺ : { إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ } [2]رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه وقوله ﷺ : { الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ }[3] عن بريدة رضي الله عنه وهو صحيح ، وفي الحديث الآخر : { مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ؛ فَذَلِكَ المسْلِمُ } [1]يعني من لم يكن كذلك ؛ فهو غير مسلمٍ . فالقول الصحيح في تارك الصلاة أنَّه كافرٌ ، وزوجته تبين منه تلقائياً ، وإذا كانت هي مصليةً ؛

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٥ و١٣٩٩ و٢٩٤٦ و٦٩٢٤ و٧٢٨٤ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٢٠ و٢١ و٢٢ من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما .

[2] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٨٢ .

[3] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٩٣٧ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ١٠٧٩ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٢٦٢١ وأخرجه الإمام النسائي في سننه برقم ٤٦٣ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين برقم ١٧٥١ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٥٣٨ وأخرجه أيضاً في السنن الكبرى برقم ٦٤٩٩ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٠٣٩٦ ، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم ٤١٤٣ .

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٩١ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

فلا يجوز لها أن تمكنه من نفسها ؛ لأنَّ هذا حرامٌ ، ولا يجوز لوليها أيضاً أن يزوجه عليها . كذلك أيضاً لا يرث من مورِّثه ، ولا يرث منه مورثه ؛ لأنَّه قد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال : { لاَ يَرِثُ المسْلِمُ الكَافِرَ ، وَلاَ الكَافِرُ المسْلِمَ }[٢] كذلك أيضاً إن مرض فلا يعاد ، وإن مات فلا يغسل ، ولا يكفَّن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين .فهذه أحكامٌ كلُّها يجب أن تجرى على تارك الصلاة . أمَّا من ترك الصلاة في الجماعة ، وصلَّى في البيت ؛ فهو يعتبر فاسقاً .

قوله ﷺ : { وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ } الزكاة قرينة الصلاة في غالب المواضع في القرآن الكريم ؛ فلا يذكر الله الصلاة إلاَّ ويذكر معها الزكاة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] وكقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۞ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۞ وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ۞ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج : ١٩ – ٢٥] وهكذا أيضاً في أول سورة البقرة [١]، وفي سورة المؤمنين [٢].

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري أيضاً في صحيحه برقم الحديث ٦٧٦٤ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٦١٤ من حديث أسامة بن زيد ﷺ .

[١] وهي قول الله تعالى : ﴿ الم ۞ ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة : ١-٣] .

[٢] وهي قول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ ۞ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١- ١١] .

وعلى هذا فمانع الزكاة ، إن كان فرداً مسلماً ؛ فهي تؤخذ منه قهراً ، وإن كانوا جماعةً لهم شوكة ؛ فإنهَّم يقاتلون ؛ كما فعل أبو بكر ﷺ حيث قال : { وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المالِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ } وفي رواية: { وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِا } [٣].

قوله ﷺ : { وَتَصُومَ رَمَضَانَ } الصيام معروفٌ ، وهو يطلق لغةً على الإمساك ، ولهذا يقول الله عز وجل عن مريم عليها السلام إن جبريل قال لها : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾ [مريم : ٢٦] فالإمساك عن الكلام يُعدَّ صوماً .

وفي عرف الشرع جاء الصوم بمعنى الإمساك عن الطعام ، والشراب ، والشهوة الجنسية ، ومقدماتها ؛ من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس ؛ وهو فرضٌ على كلِّ مكلَّفٍ من المسلمين ؛ أمَّا من كان دون التكليف ؛ فإنَّه يؤمر بالصوم ، ويعلَّم الصوم ؛ حتى إذا بلغ يكون قد تهيأ ، وتعلَّم ، وثابر ، وتمرن على الصوم ، ولهذا جاء في حديث الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ : { أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ : مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا ، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا ، فَلْيَصُمْ ، قَالَتْ : فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ ،

[٣] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٤٠٠و ١٤٥٦ و٦٩٢٥ و٧٢٨٤ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٠ من حديث أبي هريرة ﷺ .

وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا ، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ } [1]والعهن هو القطن الملون .

المهم أنَّ الصحابة كانوا يُعلِّمون أبناءهم ، ولا شك أنَّ الأطفال يُقلِّدون أهلهم إذا رأوا أنَّهم يصومون ، وأنت تجد أنَّ الأطفال يشتاقون إلى الصوم ، وهذا شيء ملموسٌ .

السؤال : متى يكلَّف المسلم بالعبادات ، ومنها الصوم ؟

الجواب : كلُّ التكاليف الشرعية ؛ يكون الإنسان مكلَّفاً بها بعد أن يبلغ سنَّ التكليف ، وهو يكون بواحدٍ من ثلاثة في حقِّ الرجال ؛ والنساء بواحدٍ من خمسة ، والتي يشترك فيها الرجال ، والنساء : الاحتلام ، وظهور المني ،

ونبات الشعر الخشن حول القبل ، وتمام خمسة عشر (١٥) عاماً .

أمَّا الاثنين التي تزيد في النساء ؛ فهي الحيض ؛ أو الحمل ، فإذا حملت المرأة ؛ أو ظهر الحيض ؛ فإنَّها حينئذ يعتبر في حقِّها بلوغاً .

قوله : { وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } الحج واجبٌ بدني ، ومالي ، وهو واجبٌ مرةً واحدةً في العمر إلى بيت الله الحرام ، وهذه هي الأسس ، والأركان التي يبني عليها الإسلام [1].

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٩٦٠وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ١١٣٦ .

[1] وهي ما جاء في قوله ﷺ : □ الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا □ ولقوله ﷺ :

ثمَّ قال المؤلف عفا الله عنَّا وعنه : قوله : { **وحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ ، قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولُ اللهِ ، مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ..... } هذا الحديث رواه مسلم كما ترون من طريق عمر بن الخطاب ﷺ ومن طريق أبي هريرة ﷺ ويحتمل أنَّ أبا هريرة ﷺ أخذه عن عمر ﷺ ورواية الصحابي عن الصحابي مأخوذةٌ ، ومقبولة ؛ لا شيء في ذلك ، لأنَّ الصحابة كلُّهم عدولٌ . وإن كانت القصة متقدمةً قبل قدوم أبي هريرة ﷺ فإنَّ أبا هريرة ﷺ قدم المدينة في السنة السابعة عند موقعة خيبر ؛ كما هو معروف عند المحدثين ، وإذا كانت هذه القصة قبل ذلك ، فيحتمل أنَّه أخذها عن عمر ﷺ أو عن غيره [من الصحابة] وأبو هريرة ﷺ سمع الحديث ، وحضرة ، ونقله كما حصل .

قال المصنف رحمه الله تعالى : " **حَدَّثَنِي** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عُمَارَةَ وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { سَلُونِي } فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : { لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ....} .

هذا الحديث ، وهو حديث أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة ، وهو يوافق حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما جميعاً ،

□ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ □ رواه البخاري برقم ٨ ، ومسلم برقم ١٦.

وفيــه : { قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : سَلُونِي ، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ } وفي حديث : { أَنَسٍ رضي الله عنه : سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ المِسْأَلَةَ ، فَغَضِبَ ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ ، فَقَالَ : لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لاَفٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي ، فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لاَحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : حُذَافَةُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ : رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا رَأَيْتُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَاليَوْمِ قَطُّ ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الحَائِطِ ،
وَكَانَ قَتَادَةُ ، يَذْكُرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِيثِ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [1][المائدة : ١٠١]

فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتحاشون الأسئلة ، ويهابون أن يسألوا رسول الله ﷺ فلذلك لما قال لهم : { سَلُونِي } فلم يسألوه ، فجاء جبريل عليه السلام في صورة سائلٍ ، والسائل هذا لم يكن معروفاً ؛ ما قد رأوه ، وليس عليه أثر السفر ؛ ولو كان من أهل المدينة لعرفه الصحابة ، ولو كان قريباً منها لعرفوه ، ولكن يدل على أنَّه لم يكن معروفاً ، وإذا لم يكن معروفاً وعليه ثياب بيضٌ ، ولم يكن عليه أثر السفر ، والمسافر لابدَّ أن يكون عليه أثر السفر ، فعند ذلك جاء معلماً ، ومبيّنا ، وسائلا ، ومسترشداً ؛ ليبين للآخرين ، فعند ذلك { أَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ }

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٣٦٢ و٧٠٨٩ ٧٢٩٤ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٣٥٩ و٢٣٥٩ .

أو { فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ } يعني أسند السائل ركبتيه على ركبتي النبي ﷺ وهذه الصفة صفة طالب العلم ، ثم قال له : { يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا } أي بدلاً من قوله : { أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ } قال له : { لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا } فدلَّ على أنَّ مقتضى شهادة إلا إله إلا الله ليس مقتضاها التلفظ فقط ؛ كما يزعمه أناس كثير ، والذين يقولون : من قال لا إله إلا الله ؛ خلاص [٢] ؛ حتى ولو ذبح لغير الله ، ولو نذر لغير الله ، ولو هتف باسم غير الله ، ولو طلب من غير الله جلب النفع ؛ أو دفع الضر وأنَّه يعلم مكان الضالة ، وأنَّه يعطي الولد ، وأنَّه يعطي الرزق ، وأنَّه يُنْصر على الأعداء ، وما أشبه ذلك .

وفيه من الناس ؛ من المتفقهة من يقول هذا ؛ ولكنَّ الحقيقة أنَّ شهادة ألا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله لا يكفي التلفظ بها ؛ بل لابدَّ أن يكون التلفظ مصحوباً بالعمل ، فمن أشرك بالله عز وجل ؛ أو فزع إلى مُنجِّم ؛ أو سافر يطلب منه السحر ؛ لأي غرضٍ كان ؛ فإنَّه حينئذ قد ذهب دينه ، وهدم إسلامه .

قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من طريق أبو بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب : { الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا □ وهذا هو مقتضى الشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمداً رسول الله .

---

[٢] أي تكفيه حتى لو وقع في الشرك وحتى لو ترك العمل صالح ؛ عياذاً بالله .

ويتبيَّن لنا من هذا أنَّ أنواع الشرك جميعها تهدم الشهادتين ؛ لأنَّ من أشرك بالله فقد كذَّب نفسه في شهادته ألا إله إلا الله ، وأنَّ من ابتدع فقد كذَّب نفسه في شهادته أنَّ محمداً رسولُ الله ، فرسولُ الله ﷺ هو المشرّع ، وهو الذي أُنزل عليه قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣] فلا يقبل الله من أحدٍ ديناً بغير ما شَرَع صلوات الله وسلامه عليه ؛ إذ أنَّ المبتدع يعتقد أنَّ الدين لم يكمل ، وأنه يحتاج إلى تكملة ، ويحتاج على زيادة .

وقوله : { أَنْ تَعْبُدَ اللهَ ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا □ هذا يقتضي ردَّ جميع أنواع الشرك ؛ علماً بأنَّ الشرك ينقسم إلى قسمين :

١- شركٌ أكبرٌ ؛ وهو الذي يهدم الإسلام .

٢- شركٌ أصغرٌ ؛ وهو الذي لا يخرج من الإسلام ، ولكنَّه يُنْقِص الإسلام نقصاً عظيماً ؛ كأن يجري الحلف على لسان الحالف بدون أن يعتقد تعظيم المحلوف به كعظمة الله ؛ أو قريباً من عظمة الله .

أمَّا إن اعتقد تعظيم المحلوف به كعظمة الله عز وجل ؛ أو مضاهياً به لله عز وجل ؛ فإنَّه حينئذ يكون شركاً أكبر ؛ مخرجاً من الملة ,

ومن أنوع الشرك الأصغر الرياء ؛ وهو الشرك الخفي ؛ الذي يقول فيه النبي ﷺ : { الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ } [1] .

ثمَّ اعلموا أنَّ الرياء ينقسم إلى قسمين :

١- باعث على العمل .

٢- عارض في العمل .

فإن كان باعثاً على العمل ؛ فهو من الشرك الأكبر ؛ المخرج من الملة ، وهو أن يصلي الإنسان مع الناس إذا صلوا ، وإذا خلا ؛ لا يصلي ، وهذا رياء المنافقين ؛

---

[1] الحديث أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين برقم الحديث ٣١٤٨ وبنحوه في الإبانة الكبرى للإمام ابن بطة ، وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٧٣٠ من حديث أبي بكر وابنته عائشة رضي الله عنهما .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هـؤُلاءِ وَلا إِلى هـؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾[النساء : ١٤٢ – ١٤٣] فالمنافقون الذين يكونون بهذه الصفة ؛ رياؤهم باعثٌ على العمل ؛ بحيث أنَّه لا يقوم إلى هذا العمل ، ولا يعمله إلَّا إذا كان بمرأى من الناس ، أمَّا إذا خلى فيما بينه وبين الله فإنَّه لا يهتم فيه ، والعياذ بالله ، وهذا شركٌ أكبرٌ مخرج من الملة .

أمَّا الرياء العارض في العمل ؛ فهذا لا يخرج من الملة ، وهو مما يتغلب به الشيطان على الإنسان ؛ فربَّما أنَّه أحبط ثواب العمل ؛ أو نقص من أجره ، وإمَّا أن يدفعه الإنسان عن نفسه ، وحينئذ فلا يضره إذا التجأ إلى الله عز وجل ، وقد أرشد النبي ﷺ أمَّته أنه إذا وجد الإنسان شيئاً من ذلك أن يقول : { اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ }(١) .

وقال معلِّماً لبعض أصحابه قل : { اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ – أَوْ قَالَ : اللهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ – رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ } (٢)

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم الحديث ٧١٦ ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ٥٨ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٢٨٦ وابن بطة في الإبانة الكبرى ، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٣٧٣١ من حديث أبي بكر الصدق رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٥١ و٦٣ و٨١ و ٦٥٩٧ و ٦٨٥١ و ٧٩٦١ وأخرجه الإمام

وقال لمن تطير يعني من وجد في نفسه شيئاً من التطير : { اللهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ }(١) .

وهكذا ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله في صرفه ، ودفعه الشرك عن نفسه ، ومن أنواع الشرك الأكبر : أن تهتف باسم المخلوق داعياً إيَّاه من دون الله عز وجل ؛ ملتجئاً إليه ؛ طالباً منه ؛ جلب النفع ؛ أو دفع الضر ؛ مقرباً إليه النذر الذي ينذره ، ومريقاً للدم على اسمه ، ومتطوِّفاً بقبره ، وطالباً منه مالا يطلب إلَّا من الله عز وجل ؛ كقوله : يا سيدي فلان افعل لي كذا ؛ يا سيدي فلان اصنع لي كذا ؛ أو ما أشبه ذلك .

وهذا كثير في الأمة ، وإن كان عندنا (٢)هنا قليل ، فاحمدوا الله ، ولكن هناك أشياء خفية عندنا منها السحر موجود فينا ، ومعروفون أهله وأصحابه ،

الدرامي في سننه برقم ٢٧٣١ وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٠٢ و ١٢٠٤ وأخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم ٥٠٦٧ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٣٩٢ و ٣٥٢٩ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ٧٦٤٤ و ٧٦٦٨ و ٩٧٥٥ و ١٠٥٦٣ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٩٦٢ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٥٢ و ٩٤ وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم ١٨٩٢ وأخرجه الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ٧٧ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٢٦٥٢٣ و ٢٩٢٧٤ وصحح الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٥٣ من حديث أبي هريرة ﷺ .

(١) الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٣٨ وأخرجه الإمام ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٢٩٢ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ١١٣٧ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٢٦٤١١ و٢٩٥٤٣ وصحح الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) أي بلادنا السعودية حرسها الله .

والذين يفعلونه معروفون ، فلماذا لا يقدَّمون إلى السلطة ، ولماذا لا يكون عليهم صولةٌ ، وجولةٌ ، وإنكارٌ شديد من المسلمين ؛ لأنَّ السكوت عليهم أشد من السكوت على فعل الفواحش إذا كانت علناً ، ولأنَّ فعل الفواحش جريمةٌ كبيرةٌ ، ولكن لا يهدم الدين بالكلية ؛ أمَّا السحر يهدم الدين بالكلية ، واقرأوا إن شئتم قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ أي من اشتراه [1]ماله في الآخرة من نصيب ؛ سواءً كان هذا المشتري الساحر نفسه ؛ أو الذي يطلب السحر ، وربما أنَّ الإنسان يذهب إلى الساحر ، ويدفع له مالاً ، ولقد عجبت أيضاً عندما علمتُ أنَّ أطفالاً يذهبون إلى الساحر يقولون : اسحر لنا على الفريق الفلاني ؛ الذي سنقيم معه المباراة ؛ حتى ننتصر عليه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنَّ هذا لمن المؤسف ، والله حقاً من المؤسف ؛ أن يكون بيننا سحرة ، ولا ننكر عليهم .

فينبغي للمسلمين ، وللدعاة إلى الله ، ولطلبة العلم أن تكون لهم شخصية ، وأن يكون لهم قولٌ ، وهم أصحاب الحق ، وأن ينكروا ، وأن يقدِّموا مثل هؤلاء للعدالة ؛ لترى فيهم رأيها ؛ هذا الذي أحببت أن أنبه عليه إخواني .

---

[1] أي السحر .

ثم هناك أشياء من الشركيات ربما أنها تجري في أوساط الناس ، ولا يهتمون فيها ؛ مع أنَّها شرك بالله تعالى فمنها " الاعتقاد في البدة [1] " ومنها " الاعتقاد في المورِّدة [2] " ومنها " الاعتقاد في النجوم [3] " ومنها شيء كثير ؛ وأنتم تعرفون هذا ؛ فالمورِّدة ؛ كانت تعرف قديماً بأنَّها امرأةٌ أرملةٌ يعلمون على تزيينها ، ووضعها في بيتٍ ، ويقفل عليها فيه إلى صباح اليوم الثاني ، فتبيت

---

[1] أي " أنَّها تميت الطفل ؛ سواءً كان ذكراً أو أنثى ، وأنَّها تخرجه من القبر ، وتقلبه دابةً ، وهذا الاعتقاد سائدٌ في بلاد اليمن ، وبعض بلدان العالم " انظر رسالة واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً لشيخنا أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله ص١٩ طبعة دار المنهاج بمصر .

[2] انظر رسالة واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ص١٩–٢٠ .

[3] " ومن ذلك الذهاب إلى الكهان والمنجمين لمعرفة اسم الولد الذي يكون سعداً عليه أو لمعرفة الليلة التي يتزوج فيها الخاطب ، ويعمل عقد القران ؛ خوفاً من أن يتزوج في ليلةٍ تكون نحساً عليه ، والليلة الفلانية سعداً عليك ، تحصل أولاداً ، وتكون زوجتك مبروكةً ، وتدخل عليك بالخير ، والثراء ، والرزق إلى غير ذلك من الأكاذيب ، والتدجيل ؛ الذي يحصل من الكهان ؛ لعوام الناس ، وضعفاء الدين ، وقد قال النبي ﷺ : □ من أتى كاهناً ، فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد □ " انظر رسالة اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ص١٧ .

وقال شيخنا أحمد النجمي رحمه الله في كتابه الشرح الموجز الممهد الذي ألفه شيخ الإسلام محمد ص١٢٧ طبعة دار المنهاج : " التنجيم : هي أمورٌ يستدل بها على وقائع الأرض ، وحوادث الكون ، وهذا العلم مأخوذٌ عن الأمم الضالة ؛ التي سلفت قبل نبوة نبينا ﷺ حيث يعتقدون أنَّ النَّجم الفلاني إذا اقترن بالقمر ، فمن تزوج في تلك الليلة حصل له كذا ، ومن سافر في تلك الليلة حصل له كذا ، والمنجمون يأخذون اسم الشخص ، واسم أمِّه ، ويجمعون حروفهما ، ولهم طريقةٌ موروثةٌ عن أهل الباطل تتضمن أموراً تنافي الشريعة " انتهى .

مع أصحابها الشياطين ، ويحدثونها عن فلانٍ ، وفلان ؛ التي ترِد عليهم ، وتصبح تكذب على الناس ، فهذا كلُّه شركٌ بالله عز وجل .

والموتى لا يصل إليهم أحدٌ في البرزخ ؛ اللهم إلَّا الرؤية الصالحة ؛ يراها المسلم ؛ أو تُرى له ، والرؤيا هي من الملَك ، وليس هو الشخص ؛ الذي أنت تلقاه ؛ إنَّما هي تصويرٌ من الملك .

إذن فلا يجوز فعل مثل هذا ، ولا يجوز الاعتقاد فيه ، كذلك أن يُعتقد أنَّ بني فلان سادةً ، ولهم مرض يغمزون منه ؛ يعني وزعوا أقدار الله بين عباد الله ! فسبحان الله العظيم ؛ الذي يملك السماوات والأرض ، وما فيهنَّ ، وما بينهما ، ويملك الجنة ، ويملك النَّار ، ويملك السعادة ، والشقاوة ، ويملك الناس ؛ وما ملكوا ؛ أيَصِحُّ أن يقال سُحِبت صلاحيته ، وأعطيت ؛ لهذا أيليق هذا يا عباد الله ! .

إذاً فأنت أيها المسلم عندما تقول أشهد ألا إله إلا الله ؛ لابدَّ أن ترفض هذه المعتقدات جميعاً ، فتعبد الله لا تشرك به شيئا ، وشيئاً نكرة في سياق النفي ، والنكرة في سياق النفي تعمُّ ؛ كما يقول أهل الأصول ، فمن أدوات العموم النكرة في سياق النفي .

إذن فأيُّ شركٍ يصير في الإسلام يدخل في قوله : { وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا □ .

قوله : { وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ } أي بأركانها ، وواجباتها ، وسننها ،ومكملاتها في أوقاتها ، فإذا أتيت بها على هذه الصفة ؛ فأنت تكون قد أقمتها . فأوجب الله عليك في بدنك أن تركع ، وتسجد له ، وأن تذكره في هذه الأوقات [1] ؛ حتماً فرضاً عليك ، فالذي خلق لك السمع ، والبصر ، وخلق لك اللسان ،

[1] أي أوقات الصلوات الخمس المفروضة .

وخلق لك العقل ، وخلق لك الجوارح ؛ أمرك أن تعبده في هذه الأوقات ؛ على الهيئة التي شرعها رسول الله ﷺ الصبح ركعتان ، والظهر أربعُ ركعاتٍ ، والعصر أربع ركعاتٍ ، والمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء أربع ركعات ، فهذه هي الصلوات المفروضة ، والسنن الراتبة [٢]، مكملات للصلاة المفروضة .

ولربما يقول قائلٌ ما دامت هذه سننٌ ؛ فأنا لست بحاجةٍ إليها ، ولماذا شرع الله هذه السنن ؟ شرع الله هذه السنن من أجل أن تكمِّل النقص كما تقدَّم ؛ ولأنَّ الصلاة [الكاملة] هي التي يترتب عليها الفلاح ، وهي الصلاة التي يحصل فيها خشوعٌ ، وهي الصلاة المكتملة لجميع الشرائط ، والأركان ، وما أشبه ذلك [٣] ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ – ٢] فمن منَّا يا جماعة يدخل في الصلاة بخشوعٍ تام ؛ بحيث أنَّه يعلم أنَّه يناجي ربه سبحانه وتعالى ؟! لأنَّا إذا قمنا في الصلاة أتى الشيطان بأشياء ، وذكَّرك في الصلاة ؛ اذكر حاجة كذا ، اذكر حاجة كذا ؛ هذا حاصلٌ ، وهذا يُشكِّل نقصاً في الصلاة المفروضة .

فهذه السنن تُكمل هذا النقص ؛ كما أنَّ الصدقة التي ليست بمفروضة تُكمل النقص في الزكاة .

---

[٢] أي قبل الفجر ركعتان ، وقبل الظهر ركعتان أو أربع ، وبعدها ركعتان أو أربع ، وبعد المغرب ركعتان ، وبعد العشاء ركعتان .

[٣] أي من الواجبات ، والسنن .

ويوم القيامة لابدَّ أن تُعْرَض هذه الصلوات منذ بلغت أيها الإنسان مضت عليك كم سنة ؟ والسنة كم فيها يوم ؟ واليوم كم فيه صلاة ؟ وهذه كلُّها لابدَّ أن تؤخذ جميعاً ، وكلُّها مكتوبةٌ في دواوين توضع في ميزانك ؛ فإن وُجِدَ شيئٌ يكمِّلها ، فعندئذ رجَحَتْ حسناتُك ، وإن كان النَّقص هذا لا يوجد له شيء يُكمِّله ؛ فصاحبها هالكٌ ؛ نسأل الله العفو والعافية ؛ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : { إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ ، قَالَ : يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ ؛ وَهُوَ أَعْلَمُ : انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ ، قَالَ : أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ }[1] أي تؤخذ الأعمال على قدر ذلك ، فالذين يقولون نحن في غنية عن السنن ؛ هؤلاء مخطئون ؛ جاهلون ؛ ينبغي أن يُفكرّوا أنهَّم في حاجةٍ يوم القيامة إلى السنن ؛ التي يدْعمون بها هذه الفرائض ؛ لتُكْمَل؛ وإن فضلَ للإنسان فضلٌ فالحمد لله ذلك ؛ فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويكون رفعة في درجاته .

---

[1] الحديث أخرجه أبو داود في سننه في أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب كلُّ صلاةٍ لايتمها صاحبها تتم من تطوعه ؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين برقم الحديث ٩٦٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى للبيهقي باب ما روي في إتمام الفريضة من التطوع في الآخرة برقم ٤٠٠٠ وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٥٧١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

نعم يلاحظ أنَّ كثيراً من الشباب ؛ يزُهِّدون في السنن ، ويتركونها ، وهذا خطأٌ فاحشٌ ، فلابدَّ من أداء السنن ، وإذا كان النبي ﷺ يقول : { رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا } [1]وقال ﷺ : { غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَغَرَبَتْ } [2]يعني أنَّ الفائدة الحاصلة منها خير مما طلعت عليه الشمس .

ويذكر أنَّ رجلاً زار المقابر ، ولما وصل إلى المقبرة تنحى ، وجلس ، فصلى ركعتين ، وبعد أن صلى ركعتين جلس في مكانه ، فنام ، وإذا به يرى بعض أهل المقابر يقول له " هنيئاً لك بهاتين الركعتين ؛ اللتين صليتهما ، فهما أفضل عندنا من كذا ، وكذا " يعني أهل المقابر الذين عرفوا التجارة الرابحة ؛ قد حيل بينهم ؛ وبين العمل ، وعندما رأوا الذي صلَّى غبطوه على كونه صلَّى هاتين الركعتين – علماً بأنَّ الرؤيا تنبيهٌ من الله عز وجل – فكيف عندئذ يزهد الإنسان في هذه السنن ؟

قوله : { وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ } أي تعطيها طيبةً بها نفسك ، ولا شكَّ أنَّ الزكاة هي حقُّ الله تعالى في المال ؛ كما أنَّ الصلاة هي حقُّ الله في البدن .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ٧٢٥ من حديث أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

[2] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ١٨٨٣ من حديث أبي أيوب الأنصار رضي الله عنه .

قوله : { وَتَصُومَ رَمَضَانَ } صيام هذا الشهر واجبٌ على كلِّ أحدٍ ، ومن أخلَّ بهذا الواجب ؛ فإنَّه يعتبر قد أساء إساءةً عظيمةً جداً .

فإذا أراد الإنسان أن يُعزِّز ، ويُدْعم صيامه ؛ فليصم من كلِّ شهرٍ ثلاثة أيامٍ ؛ حتى إذا وُضِعَ صيامه في الميزان يوم القيامة ؛ لعلَّه قد أخلَّ به ، فاغتاب ؛ أو نمَّ ؛ أو كذب ؛ أو عمل شيئاً ما يخلِّ بالصيام ، فهذا يكمِّله [1].

كذلك يقول النبي ﷺ : { مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا } [2]وفي رواية : { مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[3] .

ويتبين لنا من هذا أنَّ الصيام له فضلٌ عظيمٌ عند الله سبحانه وتعالى ، وقد قيل أنَّ معنى : { مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } يعني تطوعاً .

وقيل أنَّ هذا الفضل للمرابط ؛ الذي يكون مجاهداً ، ويصوم يوماً في سبيل الله ، وفي هذا اللفظ [1]لم يذكر الحج ، ولعله نسياناً من الراوي ؛ أو سقطاً من الكاتب ؛ أو ما أشبه ذلك [2].

---

[1] أي صيام النافلة ومنها صيام ثلاثة أيامٍ من كل شهر .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٨٤٠ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[3] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ١٦٢٤ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٣٥٧٤ و٤٨٢٦ وفي المعجم الصغير برقم ٤٤٩ وفي المعجم الكبير برقم ٧٩٢١ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٦٣ من حديث أبي الدرداء ، وأبي أمامة الباهلي رضي الله عنهما .

قوله : { ، قَالَ : صَدَقْتَ } أي في الحديث المتقدم [٣].

قوله : { فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ ، وَيُصَدِّقُهُ } لأنَّه غالباً أنَّ السائل لا يُصدِّق المسؤول ؛ إلَّا إذا كان يعلم ما سأل عنه ؛ أمَّا إذا كان لا يعلم ؛ فهو لا يحصل منه التصديق ، وإن صدَّقه بقلبه ؛ فهو لا يقول له صدقت .

قوله : { فَقَالَ : يَا رَسُولُ اللهِ ، مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : { أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ } .

الإيمان بالله يقتضي **أولاً** : الإيمان بوجوده ؛ قال تعالى : ﴿ قل أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٠] فالآيات القرآنية التي تعرض آيات الكون ؛ تدل على قدرة الله عز وجل ، وأنَّه هو المتصرف في هذا الكون ؛ لا متصرف فيه سواه سبحانه وتعالى ؛ فتعرض الآيات قدرة الله عز وجل على خلق الإنسان ، وعلى خلق ما يحتاج إليه ، وعلى خلق ما في هذا الكون ؛ فهو جل وعلا الذي خلق هذا الكون وما فيه بدون مثالٍ سابق ، فهو

المتصرف في هذا الخلق العظيم ، وأنَّه ليس لأحد تصرف معه ، وهذا الإيمان يمنعك أن تشرك بالله سبحانه وتعالى ، فلا تفزع ، ولاتلجأ إلى غيره ، ولاتطلب من أحدٍ سواه جلب نفعٍ ؛ أو دفع ضرٍّ ؛ لا يقدر عليه إلَّا الله عز وجل ؛

---

[١] أي رواية أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[٢] وجدت لفظة : ﴿ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ﴾ في سنن النسائي برقم الحديث ٤٩٩١ ، وكذا في مسند البزار برقم ٤٠٢٥ وأمَّا في الإبانة لابن مندة برقم ١٦٠ جاءت بلفظ : ﴿ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ ﴾ .

[٣] أي في الحديث الأول .

أمَّا ما يكون للإنسان عليه قدرة في السنن الإلهية ؛ التي أودعها في هذا الكون ، فهذا لا يخل بأن تعتقد بأنَّ هذا من الأسباب [1].

ثالثاً : الإيمان بأنَّه واحد أحدٌ في أسمائه وصفاته ؛ لا يشبه أحداً من خلقه : قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] فلابدَّ أن تؤمن بالأسماء التي ذكرها الله عز وجل لنفسه ، وبالصفات التي وصف الله سبحانه نفسه بها ؛ فتؤمن بها على الوجه اللائق به ؛ سواءً كانت الصفات صفاتٍ ذاتيةٍ كاليد ، والسمع ، والبصر ، والأذن ، والأصابع ، والرجل ، وما أشبه ذلك ؛ أو صفاتُ أفعالٍ كالاستواءِ ، والنزول ، والخلق ، وما أشبه ذلك من صفات الأفعال ؛ التي له جلّ وعلا ؛ فكلُّ هذا يدخل في الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

والخلاصة أنَّه لابدَّ من الإيمان بتوحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله ، وأنَّه هو الخالق ؛ الرازق ؛ المحيي ؛ المميت ؛ المدبِّر لجميع الأمور . ولابدَّ أيضاً من الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات ، وهي أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى ؛ أو الصفات العليا ؛ على الوجه اللائق بجلاله ؛ من غير تكييفٍ ، ولا تمثيلٍ ، ولا تشبيهٍ ، ولا تعطيلٍ ، ولا تأويل .

---

[1] كالتوسل بدعاء الصالحين ، وطلب العون ؛ أو الاعاذة ؛ أو الغوث ممن يقدر على ذلك .

ثالثاً : الإيمان بالله يقتضي أيضاً الإيمان بتوحيد الألوهية ؛ وهو أن نوحِّده بأفعالنا : قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ،۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون :١- ٥] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ من ربي﴾ [الأنعام : ٥٦] وقال تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر : ٦٦] وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ [الزمر : ١٤] إلى غير ذلك من الآيات .

قوله : { وَمَلَائِكَتِهِ } أي أن نؤمن بهذا الجنس من الخلق ؛ مع أنَّا لم نرهم ، ولكن نؤمن بخبر الله عز وجل ، وخبر رسوله ﷺ .

وهل أحدٌ منَّا رأى الملائكة ؟ الجواب : لا . لكنَّا نؤمن بهم على ما جاءنا في كتاب الله ، وعلى ما جاء في سنة رسوله ﷺ .

ونؤمن بأنَّ هؤلاء الخلق أهل خيرٍ ؛ مطيعون لله عزَّ وجل ؛ كما أخبرنا الله عزَّ وجل عنهم بذلك في قوله تعالى : { لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم : ٦] .

كما نؤمن بالجن ، ونحن لم نرهم ، فنؤمن بخبر الله ، وخبر رسوله ﷺ ولا نقول كما قال الغزالي : أنَّ مسَّ الجن للإنسان ليس بحقيقةٍ ؛ وهذا كذبٌ على الشرع ، بل المسُّ حقيقةً ، والله عزَّ وجل هو الذي يُسلِّط هذا الجنس من الخلق ؛ على هذا الجنس من الخلق إذا شاء ، وهذا قد حصل في زمن النبي ﷺ وفي زمن الصحابة ، والتابعين ؛ ولم ينكر أحدٌ المسَّ ، وإنكار المسِّ هو مذهب المعتزلة ؛ الذي يريد أن يشيعه فينا هذا الرجل ؛ محمد الغزالي [المعاصر] ؛ هدانا الله وإياه .

قوله : { وَكِتَابِهِ } أي نؤمن بجنس الكتب المتقدمة على العموم ، ونؤمن بكتابنا على الخصوص ؛ نؤمن بتلك الكتب إجمالاً ، ونؤمن بكتابنا تفصيلاً .

قوله : { وَلِقَائِهِ } يعني البعث بعد الموت ، وهو يوم القيامة .

قوله : { وَرُسُلِهِ } نؤمن بالرسل المتقدمين أولاً إجمالاً ، ونؤمن برسولنا محمدٍ ﷺ تفصيلاً .

قوله : { وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ } أي نؤمن بالقدر كلِّه خيره ، وشره ؛ لا كما تقوله القدرية ؛ أنَّ الخير من الله ، والشر من الإنسان ؛ بل كلُّ ذلك قدرٌ من الله .

قوله : { مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : { أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } الإحسان يُتأَوَّل بالإتقان ؛ يعني أنَّك تتقن العمل ؛ لأنَّك تعلم أنَّ الله يراك في عملك هذا ، فإن لم تكن أنت تراه ، فإنَّك تؤمن أنَّه يراك ، وهذه الدائرة ؛ هي أعلى مستوى في الإيمان ، ولا يصل إليها ؛ إلَّا من وفقهم الله عز وجل ، كما عرفنا أنَّ الإسلام دائرةٌ واسعةٌ ، وأنَّ دائرة الإيمان في وسط دائرة الإسلام أضيق منها ، وأنَّ دائرة الإحسان في وسط دائرة الإيمان أضيق من دائرة الإيمان .

قوله : { قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَ ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : { مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا } وهي العلامات التي تُرى قبلها .

قوله : { إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا } يعني أنَّ السَّراري يَكْثُرْنَ في آخر الزمان لوجود الجهاد ، فيتزوج الإنسان سريته ، فتلد ابناً لها ، وهو يعتبر سيداً لها ؛ لكونها مملوكةً لأبيه .

قوله : { وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا } أي إذا رأيت الحفاة ؛ العراة ؛ الصم ؛ البكم ؛ ملوكُ الأرض يعني قليلٌ فقههم .

قوله : { وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا } البهم هي صغار الغنم أو المعز ، وقيل أنَّه صغار الضأن ، والقول بأنَّه صغار المعز ؛ هذا أقرب لعرفنا ، وقد قاله أهل اللغة .

قوله : { فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ تَلَا ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] } أي لا يدري الإنسان ما هو الذي سيطعمه غداً ، ولا يدري الإنسان أين سيذهب غداً ، وإن كان يدري في العادة ؛ لكن هل سيُمكِّنه الله عز وجل ؛ ليمشي في هذه العادة ؛ أم سيمنعه عنها ، ويحوله إلى جهة أخرى .

وهذه الخمس المذكورة في الآية معروفة : ﴿ إِنَّ اللهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي استأثر بها ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ أي المطر ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ أي الحبالى

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ أخيرٌ أمْ شرٌّ ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ أي من الذي يدري أين يموت ؟ لا أحد يدري ﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ أي عليمٌ بكم ، خبيرٌ بأمركم [1].

وعلى كلِّ حال أنا شرحت هذا الحديث ؛ من أجل أنَّه من أصول الدِّين ، ومن أجل أنَّا نمر عليه مرور الكرام كما يقال ، وبالله التوفيق .

سؤال : اختلاف ألفاظ حديث جبريل ؛ هل يدلُّ على تكرار القصة ؟ أم يدلُّ على أنَّ رواية الحديث كانت بالمعنى ؟ .

الجواب : الظاهر أنَّ القصة حصلت مرةً واحدةً ، ولكن حفظ الناس [2] اختلف ؛ حيث كانوا يعتمدون على الحفظ ، فاختلفت الألفاظ قليلاً ؛ مع أنهَّا في معظمها تتفق ، وبالله التوفيق .

٣ - بَابُ بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ

٨ - (١١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَمِيلِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ ،

---

[1] انظر تفسير ابن كثير على سورة الحجرات آية ١٣ .

[2] المقصود بهم الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ، والله أعلم .

نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ ، وَاللَّيْلَةِ } فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ ؟ قَالَ : { لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ } فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ : { لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ } وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ ، فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : { لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ } قَالَ : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ } .

٩ – (١١) حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ رضي الله عنه غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَفْلَحَ ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ } .

(التعليق)

قوله : { قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَمِيلِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ } أورد نسبه كاملاً ؛ كأنَّه أول مكان جاء فيه [١].

قوله : { عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ } قال النووي رحمه الله : " اسم أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، ونافعٌ عمُّ مالك بن أنس الإمام ، وهو تابعيٌّ سمع أنس بن مالك " .

---

[١] أي في الباب ، والله أعلم .

قوله : { أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ ﷺ } طلحة بن عبد الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

قوله : { جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ } يعني علامة أنَّه بدوي جاء من سفر ؛ قال النووي : " ثائر الرأس : قائمٌ شعره منتفشه " .

قوله : { نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ } لأنَّ لغة أهل نجدٍ أهل باديةٍ غالباً ؛ وأنهَّا يكون فيها التعقيد عن لغة أهل الحجاز .

وقوله : { وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ } أي لا نفهم ما يقول ؛ لأنَّهم يُغيِّرون بعض الحروف .

قوله : { حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ } أي قَرُبَ من رسول الله ﷺ ؛ فإذا هو يسأل عن الإسلام .

قوله : { فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ } يؤخذ منه أنَّ الصلوات المفروضة المتكررة ؛ هي خمسٌ في اليوم والليلة .

ويؤخذ منه أنَّ الصلوات ؛ التي اختلف فيها أهل العلم هل هي واجبةٌ ؛ أو ليست بواجبةٍ ؟ أخذ من هذا الحديث أنهَّا ليست بواجبة ، والأظهر ، والله أعلم أنَّ هذا لا ينفي وجوب صلوات معينةٍ لأسبابٍ معينة .

ثمَّ إنَّ الوجوب على الأصح أنَّه درجةٌ دون الفرضية ، فالفرضية من تركها كفر ؛ لكن الوجوب من تركه أثم ، وإسلامه صحيحٌ ، فمثلاً هناك صلواتٌ اختلف في وجوبها ؛ كتحية المسجد ، وركعتي الفجر ، وصلاة العيدين ، وقيام الليل ، وما أشبه ذلك ، والأصحُّ في هذه ؛ وإن كان الجمهور يذهبون على أنَّ هذه سننٌ ،

ويستدلون بهذا الحديث ، وفي هذا نظرٌ فيما يظهر لي ، وأنَّ الفرضية آكد من الوجوب على القول الصحيح ، وأنَّ الوجوب غير المتكرِّر ؛ أو المترتب على سببٍ هذا مختلفٌ عن الوجوب ؛ الذي يكون مطلقاً ، ففرضية الصلوات الخمس ؛ لا تُرَتَّب على سبب ، ولا تزول بزوال السبب ؛ يعني أنَّ وجوبها ؛ أو فرضيتها منعقدةٌ على الإنسان ؛ ما دام عقله فيه .

أمَّا تحية المسجد ، فتُرَتَّب على دخول المسجد ، وكذلك سائر الصلوات المختلف عنها ؛ تترتب على السبب ؛ الذي قيل في الوجوب .

وعلى هذا ؛ فإنَّه هناك فرقٌ بين قوله : { خمس صلواتٍ كتبهن الله على العباد } [1]وبين أن يكون هناك وجوب لبعض الصلوات التي وردت ؛ كتحية المسجد ؛ ففي حديث { جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : جَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا سُلَيْكُ : قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا . ثُمَّ قَالَ : إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا } [1]وفي حديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ : { أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَعَدَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب السهو باب الأمر بالوتر ؛ وأبو داود في سننه في أبواب تفريع الوتر باب فيمن لم يوتر ؛ وأحمد في مسنده برقم ٢٢٦٩٣ و٢٢٧٢٠ و٣٦٣٥٩ والدارمي في سننه في كتاب الصلاة باب في الوتر ؛ والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم الحديث ٣٢٤٣ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

[1] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم الحديث ٩٣٠ وأخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ١٠٢ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

لِأَبِي ذَرٍّ : هَلْ رَكَعْتَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : قُمْ ، فَارْكَعْ ، فَقَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ }[٢] فدلَّ هذا على أنَّ تحية المسجد واجبةٌ ، وبأي شيء تجب ؟ تجب بدخول المسجد ، وقد ذهب إلى الوجوب جماعةٌ ؛ من المحدثين ، ورجَّحه الصنعاني في العُدَّة ، وتبعه على ذلك الألباني .

وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ صلاة العيد فرض كفاية .

وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ قيام الليل واجبٌ ، ولكن الصحيح أنَّه منسوخٌ ، ونحن نعرف ، وغيرنا يعرف ؛ أنَّ الوجوب بعضه آكد من بعض ؛ حتى الشافعية ؛ الذين يجعلون الفرض ، والواجب سواء ؛ يقولون : إنَّ هذا الفرض ؛ أو هذا الواجب بعضه آكد من بعض ، والحنفية ورواية عن الإمام أحمد عند الحنابلة : أنَّ هناك فرقاً بين الفرض ، والواجب ، وهذه هي التي يظهر أنهَّا هي الصواب .

قوله : { وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ } هذا أيضاً يدلُّ على صيام عاشوراء ، وأنَّه سنةٌ ، وليس بواجب ، ويظهر من الأمر أنَّه للوجوب بدليل حديث : { الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ : مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا ، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا ، فَلْيَصُمْ ، قَالَتْ : فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا ، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط برقم الحديث ٤٧٢١ والحديث صحيح بمجموع طرقه كما ذكر ذلك الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٣٥١.

الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ}[1] والحديث في صحيح البخاري ؛ وهو من ثلاثياته ، وبعد فرض صيام رمضان صار صيام عاشوراء على الندب ، وليس على الوجوب .

ومثله قوله : { وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ ، فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ } وهذا ورد أيضاً في حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند الترمذي ، وعند غيره ، وفيه لفظان ؛ لفظ يقول : { لَيْسَ فِي الْمَالِ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ } [2]ولفظ يقول : { لَيْسَ فِي الْمَالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ } " [3]وهذا مقيدٌ بالنوائب التي تنوب الناس أحيانًا ؛ كأوقات المجاعات ، ووقت الدعوة إلى الجهاد ، والحاجة إلى بذل المال فيه ، وما أشبه ذلك ، فهنا يتعلق بالمال حقٌّ سوى الزكاة ؛ لهذه الأمور التي تعرض ، والله أعلم " [1].

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٩٦٠ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ١١٣٦ .

[2] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ١٧٨٩ ، وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٧٢٤٢ من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

[3] الحديث أخرجه الإمام الدارقطني في سننه برقم الحديث ١٨٨٩ ، وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٧٣١٥ ، وأخرجه ابن أبي شيبة برقم ١٠٢١٥ ، وضعف الحديث الألباني في ضعيف الجامع برقم ٤٩١٠ ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ٤٩٠٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

[1] انظر شرح شيخنا أحمد النجمي رحمه الله على سنن الإمام الترمذي برقم ٦١٩ مخطوط .

قوله : { أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ } الفلاح هنا هو الفوز ، وهو الظفر بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب أي فاز بالجنة ، ونجى من النار، وبالله التوفيق .

وفي الرواية الثانية قوله : { أَفْلَحَ ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ } " لفظةٌ فيها نظر ؛ بل قال ابن عبد البر : (إنَّ هذه اللفظة غير محفوظة) قال الصنعاني : (وقد جاءت عن راويها : { أفلح ، والله إن صدق } بل زعم بعضهم أنَّ راويها صحَّفها ؛ أي صحَّف لفظة : { والله } إلى : { وأبيه }) **قلت** : لكن لما كان الأولون لا ينقطون ظنَّها أحد الناقلين { وأبيه } وذلك أنَّ اللامين قَصُرتا ؛ فظنَّ الناقل أنهَّا { وأبيه } فنقلها كذلك ، وهذا تصحيف " [٢].

٣- بَابُ السُّؤَالِ عَنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ

١٠ - (١٢) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُكَيْرٍ النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو النَّضْرِ . حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ ، فَيَسْأَلَهُ ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ . قَالَ : { صَدَقَ } ، قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ قَالَ : { اللهُ }

---

[٢] انظر تنبيه الأنام على ما في كتاب سبل السلام من الفوائد والأحكام ج٨ / ٦ برقم الحديث ٢ / ١٢٨١ مخطوط .

قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : { اللهُ } قَالَ : فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ ؟ قَالَ : { اللهُ } قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : { نَعَمْ } قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا ، وَلَيْلَتِنَا ، قَالَ : { صَدَقَ } ، قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : { نَعَمْ } ، قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا ، قَالَ : { صَدَقَ } ، قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : { نَعَمْ } قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا ، قَالَ : { صَدَقَ } قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : { نَعَمْ } قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ : { صَدَقَ } قَالَ : ثُمَّ وَلَّى ، قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ } .

١١- (١٢) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ ، حَدَّثَنَا بَهْزٌ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، قَالَ : قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : كُنَّا نُهِينَا فِي الْقُرْآنِ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ .

(التعليق)

أقول : هذا الحديث يدل على حسن تصرف هذا الرجل ، وعقله ، وكيف رتَّب هذه الأسئلة بهذا الترتيب العجيب ، فسبحان الله العظيم .

أمَّا الصلوات الخمس ، والزكاة ، والصوم ، فهذا قد تقدَّم الكلام فيه [1] .

٤ - بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ

١٢ - (١٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ - أَوْ بِزِمَامِهَا - ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ : فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : { لَقَدْ وُفِّقَ ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ } قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ : فَأَعَادَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، دَعِ النَّاقَةَ } .

١٣ - (١٣) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا بَهْزٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ ، وَأَبُوهُ عُثْمَانَ ، أَنَّهُمَا سَمِعَا مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ .

---

[1] سبق الحديث عنه في الحديث رقم ٨ .

١٤ – (١٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ ، **ح وحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ : { تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ } فَلَمَّا أَدْبَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ } وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ : { إِنْ تَمَسَّكَ بِهِ } .

١٥ – (١٤) وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولِ اللهِ ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، قَالَ : { تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ } قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا } .

١٦ – (١٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ ، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { نَعَمْ } .

١٧ – (١٥) وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ شَيْبَانَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، وَأَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بِمِثْلِهِ ، وَزَادَا فِيهِ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا .

١٨ – (١٥) وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ ؛ وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : { نَعَمْ } قَالَ : وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا .

(التعليق)

أقول : الحديث الأول : { حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ فِي سَفَرٍ ... } يؤخذ من هذا الحديث :

أولاً : أنَّ هذه الرواية هي الصواب بخلاف رواية شعبة التي قال فيها : { وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا بَهْزٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ } فقد حكموا على شعبة بالوهم في هذه الرواية ، وقالوا : إنَّ الرواي في

هذه الرواية هو عمرو بن عثمان ، وليس محمد بن عثمان ، وأنَّ شعبة وهم ، وأنَّ رواية عبد الله بن نمير ، وتسميته عمرو بن عثمان [1]هي الصحيحة .

ثانياً : شعبة يعتبر متابعاً لعمرو بن عثمان في الرواية عن موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ فشعبة يعتبر متابعاً لعمرو بن عثمان أي متابعاً لشيخ شيخ مسلم . كذلك أيضاً أبو إسحاق التميمي هو يعتبر متابعاً له [1] عن موسى بن طلحة .

ثالثاً : قوله : { حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ – أَوْ بِزِمَامِهَا – } هناك فرقٌ بين الخطام والزمام ؛ فالخطام هو الحبل الذي يلوى على رأس البعير ، ورقبته . وأمَّا الزمام فهو الحبل الذي يجعل في أنف البعير .

رابعاً : قوله : { ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ – أَوْ يَا مُحَمَّدُ – أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ : فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ [2]، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ وُفِّقَ ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ } أي لكونه اختصر الطريق ، وقال : { أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ } فعلم النبي ﷺ من سؤاله ، ووجازته ، وبلاغته كونه عرض فيه الأمر المهم .

---

[1] أي في السند .

[1] أي لشعبة ، والله أعلم .

[2] أي منع ناقته من السير ؛ ليتمكّن من سماع سؤاله ، وأن لا يتعدّاه دون الإجابة عما سأله . انظر البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ج١ / ٢٤٨ .

خامساً : قال له النبي ﷺ بعد ذلك : { كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ : فَأَعَادَ [٣]} من أجل أن يُسمع أصحابه كلام هذا الرجل العجيب .

سادساً : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا } أي أنَّ التوحيد هو الأساس لهذا الدين ، وأنَّ أيَّ إنسانٍ أتعب نفسه في العمل ، وهو مخلِّط ، بحيث أنَّه يعبد الله ، ويعبد غيره ؛ أو يسأل الله ، ويسأله غيره ؛ ويخاف من الله ، ويخاف من غيره ، ويزعم أنَّ لغيره سلطاناً غيبياً ، وأنَّه يقدر على بعض الأشياء التي لايقدر عليها إلَّا الله ، فمن عمل ذلك مهما عمل ، وخلَّط هذا التخليط ؛ ولو صلَّى حتى يتقوَّس ظهره ، وصام الدهر أجمع ، وتصدَّق بجميع ماله ، ما قبل منه شيءٌ ، حتى يكون عمله خالصاً لله { تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا } عبادةً ليس فيها وليٌّ ، ولا واسطةٌ ، ولا صوفيٌّ ، ولا ساحرٌ ، ولاكاهنٌ ، ولا منجِّمٌ ، ولاكشاحةٌ [١]، ولا ضَرَّابةٌ [٢]، ولاشيءٌ من هذه

---

[٣] أي أعاد الأعرابي سؤاله . انظر المصدر السابق .

[١] هي التي تتخذ لها سبعة حباتٍ من البن ، فيأتيها الواحد ، فيقول لها : اكشحي عن ضالتي أو غائبي ، فتنظر في هذه الحبات ، فتقول له : ضالتك في المكان الفلاني ، وغائبك في مكان كذا ، وكذا ، فإذا كانت حبة البن منبطحة ، فهو كذا ، وكذا ، وإن كانت على شكل كذا ؛ فهو كذا ، وكذا ؛ فهي يُزعم أنَّها تدلُّ على مكان الضالة أو حال الغائب ؛ وما أشبه ذلك من علم الغيب ؛ الذي اختصَّ الله به ، ومن جعله لمخلوق ؛ فقد أشرك بالله شركاً أكبر ؛ يستحقُّ عليه الخلود في النار إن مات على ذلك . انظر رسالة " واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً " لشيخنا أحمد النجمي رحمه الله ص١٨ .

[٢] وهي أن يعتقد أنَّ فلاناً يلدح امرأته ، بمعنى أنَّه يضرب بيده في ظهرها ؛ عندما تغتسل من الحيض ، فتحمل في ذلك الطُّهر ، فإذا حملت في ذلك الطُّهر ، وجاءت بولدٍ سمَّوه باسمه ، ورأوا أنَّه هو الذي أعطاهم الولد . انظر رسالة " واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً " ص١٤ .

الأمور التي يعتقدها الناس ، فإذا كان المرء المسلم نظيفاً من هذه الاعتقادات ، فذاك هو المسلم النظيف ؛ حتى ولو ألمَّ صاحبه بالكبائر والعياذ بالله ، فإنَّه ترجى له الجنة ما دام موحداً ؛ أمَّا من خلطَّ في العقيدة ، فإنَّ عمله مردودٌ عليه ؛ لايغفر له ذنبٌ ، ولاتقبل منه حسنة ، أمَّا الحسنات ، فقد أخبرنا الله عن نهايتها بقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] وأمَّا السيئات ، فإنَّ الله قد أخبرنا عن نهايتها أيضاً بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٨] فالله الله في التوحيد ، والله الله في إخلاص الأعمال لله سبحانه وتعالى ، وفي صفاء العقيدة ، وأن نعلم بذلك أبناءنا ، ونساءنا ، وتلاميذنا ، وكلَّ من يتصل بنا ؛ حتى تكون عقيدتنا صحيحة .

سابعاً : قوله ﷺ : { وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ } إقامة العبد الصلاة بأن يأتي بها على الوجه المشروع الذي شرعه الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ وهذا هو الإسلام الحق .

ثامناً : قوله ﷺ : { وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ } أي تعطيها طيبةً بها نفسك .

هذه الثلاث [1]هي التي رتب الله عز وجل عليها حكمة الحبس ، والقتل ؛ لقول الله تعالى : { فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] ،

---

[1] وهي ما جاء في قوله ﷺ: □ تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ □ .

والنبي ﷺ يقول : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ، وَنَفْسَهُ ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } وفي الحديث الثاني : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ }.[٢]

تاسعاً : ثمَّ قال : { وَتَصِلُ الرَّحِمَ } يعني القرابة ، وهذه هي الجملة الرابعة ، وصلة الرحم ؛ هي بإيصال المعروف ، وترك الإساءة أيًّا كان نوعها ، ويخرج عن ذلك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ فإنَّه لا يعتبر إساءةً ؛ بل هو إحسانٌ إلى من أمرته بمعروف ؛ أو نهيته عن منكر .

عاشراً : قوله : { دَعِ النَّاقَةَ } قال الإمام النووي رحمه الله : " إنَّما قاله ، لأنَّه كان ممسكاً بخطامها أو زمامها ؛ ليتمكن من سؤاله بلا مشقةٍ ، فلمَّا حصل جوابه قال دعها .

فإذا أتيت بهذه الأربع ؛ والتي هي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ؛ وهذه واحدة ، وإقامة الصلاة الثانية ، وإيتاء الزكاة الثالثة ؛ وصلة الرحم الرابعة ؛ وفِّق ، وهدي ، وهي جوابٌ على قوله : { أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ } .

ثمَّ أورد الحديث الثاني ؛ قال : { **وحَدَّثَنِي** أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ

[٢] انظر في الحديث رقم ٢٠ و٢١ من صحيح الإمام مسلم ، والذي سيأتي التعليق عليهما .

أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولِ اللهِ ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، قَالَ : { تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ } قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { مَنْ سَرَّهُ أَنَّ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا } **أقول** : لعلَّ النبي ﷺ اطَّلع بواسطة الوحي أنَّه سيفي بما أُمر به ، فإذا أوفى بما أمر به سيكون من أهل الجنة ، ولهذا قال : { مَنْ سَرَّهُ أَنَّ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا } .

ثم أورد الحديث الثالث ؛ قال : { **حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ } واسمه عبد الله بن عثمان { وَأَبُو كُرَيْبٍ } محمد بن العلاء { وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ } محمد بن خازم { عَنِ الْأَعْمَشِ } سليمان بن مهران { عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ ، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { نَعَمْ } يعني إذا فعلت ذلك ، وصليت المكتوبة ، وحرَّمت الحرام ، ابتداءً من الشرك بالله ، ونهايةً بأي حرامٍ آخر ، وأحللت الحلال ، سواءً كان من المأكولات أو من الملبوسات ، ونحو ذلك ، فإنَّك تدخل الجنة .

ثمَّ أورد الرواية الأخيرة ، عن الرجل ، والذي هو محمولٌ على النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ ، وبالله التوفيق .

٥ باب بيان أركانَ الإسلام، ودعائمه العظام

١٩ – (١٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ الْأَحْمَرَ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : { بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَالْحَجِّ } فَقَالَ رَجُلٌ : الْحَجُّ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، قَالَ : { لَا ، صِيَامُ رَمَضَانَ ، وَالْحَجُّ } هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

٢٠ – (١٦) وحَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَسْكَرِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ ، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ السُّلَمِيُّ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : { بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ } .

٢١ – (١٦) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ ؛ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ } .

٢٢ - (١٦) وحَدَّثَنِي ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ ، يُحَدِّثُ طَاوُسًا ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : أَلَا تَغْزُو؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : { إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ } .

(التعليق)

أقول : هذا الباب أورد فيه الأركان الخمسة ؛ التي بني عليها الإسلام ؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ؛ وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج .

ويؤخذ من هذا الحديث أنَّه ليس المراد التلفظ بالشهادتين فقط ، كما تزعمه المرجئة ، وكما يقوله كثيرٌ من العلماء المعاصرين في غير هذا البلد [١] أو قبل المعاصرين ؛ الذين لم يعرفوا التوحيد ؛ والذين يقولون إذا قال : لا إله إلا الله كفى ، ولو لم يَكْفُر بما يعبد من دون الله ، ولو لم يوحد الله عزَّ وجل ، وقد جاء في الطريق الأول من هذا الحديث : { بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ } وفي الطريق الثاني : { بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ } عبادةٌ لله أي توحيد لله ، وكفرٌ بالطاغوت ؛ لايصحُّ الإسلام إلَّا بهذا .

---

[١] أي المملكة العربية السعودية .

قوله : { وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَالْحَجِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : الْحَجُّ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، قَالَ : لَا ، صِيَامُ رَمَضَانَ ، وَالْحَجُّ ؛ هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ } المهم أنَّه قد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الروايتان ؛ رواية بتقديم الحج على صوم رمضان ، ورواية بتقديم صوم رمضان على الحج ، وكلتاهما ثابتةٌ ، وإن كانت الرواية التي فيها تقديم الصوم على الحج أشهر ، وأكثر .

كذلك أيضاً أخذ من الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ الجهاد ليس بفرض عين ، وذلك : { أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : أَلَا تَغْزُو؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ } يعني أنَّ النبي ﷺ ذكر هذه الخمس ، ولم يكن الجهاد منها ، ولكن بعض الناس غفر الله لنا ولهم ، وعفا عنا وعنهم يقلدون بدون تفكير ، وقد وجدنا من أهل العلم من قلد بعضاً ؛ على أنَّ الجهاد فرض عين .

بل قال واحدٌ من المتكلمين ، والمحاضرين أنَّ الجهاد ركنٌ سادس ؛ فهل هو مستدركٌ على الله ، وعلى رسوله ﷺ ؛ عندما يقول هذا القول ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

وبدأ بعض الناس يقتنعون بأنَّ الجهاد فرض كفاية ، وليس بفرض عين ، ولكن النشرات تتوالى بمثل هذا القول ، وقد رأيت نشرةً يُعزِّز قائلها قول من يقول إنَّ الجهاد فرض عينٍ على جميع المسلمين ، والعجيب على كثرة كلامه ، لم يأت بحديث واحدٍ يستدل به على صحة كلامه ، ولا حول ولاقوة إلاَّ بالله[1] .

---

[1] وقد ردَّ شيخنا أحمد النجمي رحمه الله على من يقول بأنَّ الجهاد فرض عين في كتابه المطبوع " رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد " .

٦ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ، وشرائع الدين ، والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وحفظه ، وتبليغه من لم يبلغه

٢٣ – (١٧) حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ . **ح وحَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ يَحْيَى – وَاللَّفْظُ لَهُ – أَخْبَرَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنهم عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا ، وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ ، فَلَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، قَالَ : { آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : الْإِيمَانِ بِاللهِ } ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ ، فَقَالَ : { شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالنَّقِيرِ ، وَالْمُقَيَّرِ } زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ : { شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } وَعَقَدَ وَاحِدَةً .

٢٤ – (١٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، وَقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ ، قَالَ : كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ ، فَقَالَ : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنهم أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنِ الْوَفْدُ ؟ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ ؟ } قَالُوا : رَبِيعَةُ ، قَالَ : { مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ ، أَوْ

بِالْوَفْدِ ، غَيْرَ خَزَايَا ، وَلَا النَّدَامَى } قَالَ : فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ ، وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ ، وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، قَالَ : { أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ } وَقَالَ : { هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ ؟ } قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ } وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمُزَفَّتِ – قَالَ شُعْبَةُ : وَرُبَّمَا قَالَ – النَّقِيرِ ، قَالَ شُعْبَةُ : وَرُبَّمَا قَالَ : الْمُقَيَّرِ ، وَقَالَ : { احْفَظُوهُ ، وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ } وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ : { مَنْ وَرَاءَكُمْ } وَلَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ الْمُقَيَّرُ .

٢٥ – (١٧) وحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي . **ح وحَدَّثَنَا** نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَا جَمِيعًا : حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، وَقَالَ : { أَنْهَاكُمْ عَمَّا يُنْبَذُ فِي الدُّبَّاءِ ، وَالنَّقِيرِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمُزَفَّتِ } وَزَادَ ابْنُ مُعَاذٍ ، فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَبِيهِ . قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : { إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الْحِلْمُ ، وَالْأَنَاةُ } .

٢٦ - (١٨) **حَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَنْ لَقِيَ الْوَفْدَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، قَالَ سَعِيدٌ : وَذَكَرَ قَتَادَةُ أَبَا نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، فِي حَدِيثِهِ هَذَا : أَنَّ أُنَاسًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّا حَيٌّ مِنْ رَبِيعَةَ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ ، وَلَا نَقْدِرُ عَلَيْكَ إِلَّا فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ إِذَا نَحْنُ أَخَذْنَا بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : اعْبُدُوا اللهَ ؛ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَصُومُوا رَمَضَانَ ، وَأَعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنِ الدُّبَّاءِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمُزَفَّتِ ، وَالنَّقِيرِ } قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، مَا عِلْمُكَ بِالنَّقِيرِ ؟ قَالَ : { بَلَى ، جِذْعٌ تَنْقُرُونَهُ ، فَتَقْذِفُونَ فِيهِ مِنَ الْقُطَيْعَاءِ - قَالَ سَعِيدٌ : أَوْ قَالَ : مِنَ التَّمْرِ - ثُمَّ تَصُبُّونَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا سَكَنَ غَلَيَانُهُ شَرِبْتُمُوهُ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَكُمْ ، أَوْ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَضْرِبُ ابْنَ عَمِّهِ بِالسَّيْفِ } قَالَ : وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ كَذَلِكَ قَالَ ، وَكُنْتُ أَخْبِؤُهَا حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : فَفِيمَ نَشْرَبُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : { فِي أَسْقِيَةِ الْأَدَمِ الَّتِي يُلَاثُ عَلَى أَفْوَاهِهَا } قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَرْضَنَا كَثِيرَةُ الْجِرْذَانِ ، وَلَا تَبْقَى بِهَا أَسْقِيَةُ الْأَدَمِ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : { وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ } قَالَ : وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : { إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الْحِلْمُ ، وَالْأَنَاةُ } .

٢٧ – (١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ لَقِيَ ذَاكَ الْوَفْدَ ، وَذَكَرَ أَبَا نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ ، غَيْرَ أَنَّ فِيهِ { وَتَذِيفُونَ فِيهِ مِنَ الْقُطَيْعَاءِ ، أَوِ التَّمْرِ وَالْمَاءِ } وَلَمْ يَقُلْ : قَالَ سَعِيدٌ ، أَوْ قَالَ مِنَ التَّمْرِ .

٢٨ – (١٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ . **ح وحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ – وَاللَّفْظُ لَهُ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو قَزَعَةَ ، أَنَّ أَبَا نَضْرَةَ ، أَخْبَرَهُ وَحَسَنًا ، أَخْبَرَهُمَا ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا نَبِيَّ اللهِ ﷺ ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، جَعَلَنَا اللهُ فِدَاءَكَ مَاذَا يَصْلُحُ لَنَا مِنَ الْأَشْرِبَةِ ؟ فَقَالَ : { لَا تَشْرَبُوا فِي النَّقِيرِ } قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، جَعَلَنَا اللهُ فِدَاءَكَ ، أَوَ تَدْرِي مَا النَّقِيرُ ؟ قَالَ : { نَعَمْ ، الْجِذْعُ يُنْقَرُ وَسَطُهُ ، وَلَا فِي الدُّبَّاءِ ، وَلَا فِي الْحَنْتَمَةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمُوكَى } .

(التعليق)

أقول : أتى المؤلف رحمه الله بحديث وفد عبد القيس بطرقٍ متعددة ، وهذا الحديث تكاد ألفاظه أن تتفق . عبد القيس حيٌّ من ربيعة ، كانوا يسكنون البحرين ، والظهران ، والقصيم ، والأحساء ؛

وقد جاء رجل منهم يجلب بعض البضائع إلى المدينة بملاحف ، وتمرٍ من هجر بعد هجرة النبي ﷺ [1]، فبينما هو قاعدٌ ؛ إذ مرَّ به النبي ﷺ فنهض منقذٌ إليه ، فقال النبيﷺ : { أمنقذ بن حيان ، كيف جميع هيئتك ، وقومك ؟ } ثم سأله عن أشرافهم ؛ رجلاً ، رجلاً يسميهم بأسمائهم ، فأسلم منقذٌ ، وتعلم سورة الفاتحة ، و{ اقرأ باسم ربك } ، ثم رحل قِبَل هجر ، فكتب النبي ﷺ معه إلى جماعة عبد القيس كتابًا ، فذهب به ، وكتمه أيامًا ، ثم اطَّلعتْ عليه امرأتُه ، وهي بنت المنذر بن عائذ بن الحارث ، والمنذر هو الأشج عبد القيس ، سماه رسول الله ﷺ به ؛ لأثر كان في وجهه ، وكان منقذٌ رضي الله عنه يصلِّي ، ويقرأ ، فأنكرت امراتُه ذلك ، فذكرتْه لأبيها المنذر، فقالت : أنكرت بَعْلِي منذ قدم من يثرب أنَّه يغسل أطرافه ، ويستقبل الجهة ؛ تعني : القبلة ، فيحني ظهره مرةً ، ويضع جبينه مرةً ، ذلك ديدنه منذ قدم ، فتلاقيا ، فتجاريا ذلك ، فوقع الإسلام في قلبه ، ثم ثار الأشج إلى قومه بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه عليهم ، فوقع الإسلام في قلوبهم ، وأجمعوا على السير إلى رسول الله ﷺ واختاروا أربعة عشر منهم وفداً لمقابلة النبي ﷺ .

---

[1] قال شيخنا أحمد النجمي رحمه الله : " وهذا الرجل يقال عنه منقذ بن حيان ، وكان متزوجاً بابنة أشج عبد القيس " .

هذا الحديث تضَّمن أموراً :

أولاً : أورد الحديث مسلم من طريق عَنْ أَبِي جَمْرَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، وأبي جمرة نصر بن عمران الضُّبَعي قَالَ : { تَمَتَّعْتُ ، فَنَهَانِي نَاسٌ ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَأَمَرَنِي ، فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ رَجُلًا يَقُولُ لِي : حَجٌّ مَبْرُورٌ ، وَعُمْرَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ ، فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : سُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي : أَقِمْ عِنْدِي ، فَأَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي ، قَالَ شُعْبَةُ : فَقُلْتُ : لِمَ ؟ فَقَالَ : لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتُ } [1] .

ثانياً : قوله : { آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : الْإِيمَانِ بِاللهِ } ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ ، فَقَالَ : { شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ } سبق الكلام عليها في الأبواب السابقة .

ثالثاً : قوله : { وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ } " أي أيَّما غنمتم ؛ فيجب عليكم أن تعطوا منه الخمس ، والخمس مالي يعني واجبٌ في المال ، وتلك من واجبات الذات ، وإن كانت الزكاة أيضاً في المال .

رابعاً : قوله : { وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ } الدباء : الآنية المتخذة من الدباء .

خامساً : قوله : { وَالْحَنْتَمِ } المراد بالحنتم قال في النهايـــة في غريب الأثر (١ /٤٤٨) : الحَنْتَم : جِرَار مدْهُونةٌ خُضْرٌ كانت تُحْمَل الخمر فيها إلى المدينة ، ثم اتُّسِع فيها ؛ فقيل لِلْخَزَف كلّه حنّتم , واحدّتها حَنْتَمة . وإنما نُهى عن الانْتِباذ فيها

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٥٦٧ و ١٦٨٨ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ١٢٤٢ .

لأنَّها تُسْرِع الشّدّةُ فيها لأجْل دّهْنها ؛ وقيل لأنهَّا كانت تُعْمل من طين يعجن بالدَّم ، والشَّعر ؛ فَنهيٍ عنها ؛ ليُمْتَنع من عَملها ، والأوّل أوجه . اهـ .

سادساً : قوله : { وَالنَّقِيرِ } النقير قال في النهاية (٥ /١٠٤) : أصلُ النَّخْلة يُنْقَر وسَطه ، ثم يُنْبَذُ فيه التَّمر ، ويُلْقَى عليه الماء ليَصِير نَبِيذاً مُسْكراً ، والنَّهي واقِعٌ على ما يُعْمل فيه ؛ لا عَلى اتِّخاذ النَّقير ؛ فيكون على حَذَفَ المضاف ؛ تقديره : عن نَبِيذ النَّقِير ، وهو فعيل بمعنى مفعول . اهـ . **قلت** : وهذه الآنية نهاهم عن الانتباذ فيها ؛ لأنهَّا سريعة التَّخمر .

سابعاً قوله : { وَالْمُقَيَّرِ } المقير المزفت ؛ والمزفَّت قال في النهاية (٢ / ٣٠٤) : هو الإناء الذي طُلِي بالزِّفْت ؛ وهو نوعٌ من القَارِ ، ثم انْتُبِذ فيه . اهـ .

ثامناً : يستفاد من هذا الحديث التبرع لمن عمل شيئاً على موجبات السنة .

تاسعاً : وفيه ما كان عليه النبي ﷺ في الزمن الأول قبل الفتح أنَّه كان محصوراً من الكفار ، وأنَّ الأميين كانوا لا يصلون إليه إلَّا بمشقة .

عاشراً : قوله : { فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ } أي أخبرنا بالواجبات علينا حتى نمتثلها ، و المنهيات حتى نجتنبها.

الحادي عشر : قوله : { قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، جَعَلَنَا اللهُ فِدَاءَكَ مَاذَا يَصْلُحُ لَنَا مِنَ الْأَشْرِبَةِ ؟ } هذه الأشياء كان النَّهي عن الإنتباذ فيها في أول الإسلام ، ثم جاء في الحديث : { وانتبذوا في كلِّ إناءٍ ، ولا تشربوا مسكراً } رواه مسلمٌ في صحيحه [1].

---

[1] برقم الحديث ٩٧٧ و١٩٧٧ من حديث بريدة رضي الله عنه .

الثاني عشر : يؤخذ من الحديث أيضاً إعطاء الخمس من المغنم لمن جاهد في سبيل الله .
الثالث عشر : قوله : { احْفَظُوهُ ، وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ } يعني أنَّ المؤمنين ينبغي أن يخبروا من ورائهم بما يكون فيه نفعٌ لهم ، وينهوهم عمَّا عليهم مضرةٌ منه " [٢]وبالله التوفيق .

٧ – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام

٢٩ – (١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَيْفِيٍّ ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : رُبَّمَا قَالَ وَكِيعٌ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ مُعَاذًا رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : { إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ } .

---

[٢] انظر شرح شيخنا أحمد النجمي على رحمه الله على صحيح البخاري على الحديث رقم ٥٣ . مخطوط . بتصرف .

٣٠ – (١٩) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَاقَ . ح **وحَدَّثَنَا** عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَيْفِيٍّ ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : { إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا } بِمِثْلِ حَدِيثِ وَكِيعٍ .

٣١ – (١٩) حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَيْفِيٍّ ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، قَالَ : { إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا فَعَلُوا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ ؛ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا ، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ } .

(التعليق)

أولاً : يؤخذ من هذا الحديث مشروعية الدعوة إلى الله عز وجل ، وأن ينبغي أن يخصَّص للدعوة أقوام يقومون بها ، ولا شكَّ أنَّ إرسال النبي ﷺ للرسل إلى القبائل ، وإلى الملوك ، والأمراء ، وما أشبه ذلك ؛ ما هي إلا دعوة .

وإذن فإنَّه يجب على المسلمين أن يعنوا بالدعوة إلى الله عز وجل .

ثانياً : يؤخذ من قوله ﷺ : { إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } أنَّ القوم المدعوين ؛ أهل علمٍ ، وينبغي أن يرسل إليهم من يستطيع أن يُحاجَّهم ، ومن يستطيع أن يقوم بدعوتهم ؛ حتى يكون انهزامٌ للدعوة الإسلامية ، ومن أجل ذلك ينبغي أن يختار لدعوة هؤلاء ؛ من يستطيع القيام بها ، وقد اختار النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي يقول عنه صلوات الله وسلامه عليه : { وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ }[1] ، وفي رواية : { وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ؛ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ }[2][3].

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده برقم الحديث ٢٢١٠ وأخرجه الإمام سعيد بن منصور في سننه برقم ٤ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٣٩٩٠وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ١٥٤ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٧٩٠ ، وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ٦٧٨٦ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ٨١٨٥ و٨٢٢٩ وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٨٠٨ ، وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٧١٣١ و٧١٣٧ و٧٢٥٢ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٥٧٨٤ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٣٩٣٠ وأخرجه الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ٥٧٦٣ وأخرجه الإمام البيهقي في معرفة السنن والآثار برقم ١٢٥١٥ ، والحديث صحح ه الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٢٢٤من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[2] قال القاسم بن سلام رحمه الله في غريبه في ج٤ / ١٣٨ : " فِيهَا أَقْوَال : فبعضهم يَقُول : الرَتْوَه الخطوة .. وَيُقَال : الرَتْوة الرَّمية ، وَيُقَال الرتوة البَسْطة ، وَيُقَال الرتوة نَحْو ميل " انتهى مختصراً .

[3] الرواية أخرجها الإمام الطبراني في المعجم الصغير برقم الحديث ٥٥٦ وفي المعجم الكبير برقم ٤٠ و٤١ ، وبنحوه عند الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٥١٧٠ و٥١٧٥ ، وصحح الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢ ، وفي صحيح الجامع برقم ٥٨٨٠ من حديث جابر بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأنس بن مالك رضي الله عنه .

ثالثاً : يؤخذ من قوله : { فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ } أنَّه يبدأ الداعية بالأهم ؛ فالأهم ، ولا شكَّ أنَّ الأهم في الإسلام ؛ هو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ؛ التي هي المدخل إلى الإسلام .

فالتوحيد ؛ هو أساس الإسلام ، وقاعدته التي عليه يبنى ، ولهذا قال : { فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } وشهادة أنَّ محمداً رسول الله لايكون العبد مسلماً ؛ إلَّا بالإقرار بها ، فمن أقر بشهادة أنَّ لا إله إلا الله ، ولم يقرْ بشهادة أنَّ محمداً رسول الله ؛ فإنَّ هذا لا يدخله في الإسلام ؛ حتى لو وحَّد الله .

رابعاً : يؤخذ من قوله : { فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ } أنَّه لا ينتقل من الأصل الأول ؛ الذي هو الشهادتان ؛ إلى الأصل الثاني[1] إلَّا بعد قبول الأصل الأول ؛ فمن لم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ؛ فلا يصِحُّ أن تأمره بالصلاة ؛ ولو شهد أن لا إله إلا الله بلسانه ، ولكنَّه لم يقربها بعمله ؛ بحيث أنَّه شهد شهادةً تقريرية ، ولكنَّه يقول : على الله وعليك يا فلان ، ويقول لصاحب قبر : يا فلان أنا داخلٌ عليك أن تشفي مريضي ، أو أن تعطيني ولد ؛ أو أن تهدي زوجتي ، أو تنزل المطر ؛ أو أن تصرف الجراد عن أرضي ؛ أو ما أشبه ذلك من الأمور ؛ التي لا يقدر عليها إلَّا الله .

---

[1] وهو الذي هو القيام بالصلوات الخمس على الوجه المطلوب شرعاً .

فكم من أناسٍ في زمننا هذا يتطوفون بالأضرحة ؛ كالطواف على الكعبة ، ويتمرَّغون على ترابها ، ويُقبِّلون أعتابها ، ويطلبون من أصحابها ما لا يقدر عليه إلَّا الله ، فهل هؤلاء عرفوا معنى لا إله إلا الله ؟ إنَّهم لم يعرفوها ، بل هدموها عندما يفعلون هذا ؛ فلا تكون هذه الشهادة معتبرةً إلَّا أن يعرف الشاهد معناها ، ويعمل بمقتضاها ، ويَكْفُرْ بما يناقضها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] وفي الحديث : { مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } [1] يعني لا يكفي أن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ حتى يكفر بما يعبد من دون الله ؛ سواءً كان هذا المعبود ولياً ؛ أو نبياً ؛ أو ملكاً ؛ أو ذمياً ؛ أو شجراً ؛ أو حجراً ؛ أو أيَّ شيءٍ يكون ؛ لابدَّ أن يَكْفُرْ بما يُعْبَدُ من دون الله .

ويؤخذ من قوله : { فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ } الدعوة إلى الصلاة ؛ التي فرضها الله على عباده ، وهي خمس صلواتٍ في كلِّ يومٍ ، وليلةٍ ، وحَصْرُ الفرائض في خمسِ صلواتٍ ؛ لأنَّه لا يكون العبد مسلماً ؛ إلَّا بفعلها ، وهل هناك غيرها ؟ [1] ذهب الجمهور إلى أنَّ كلَّ ما ورد الأمر به يفهم منه الوجوب ؛ كقيام الليل ، وركعتي الفجر ، وتحية المسجد ، والوتر ، وما أشبه ذلك من الصلوات ؛ التي قد تأتي بصيغة يفهم منها الوجوب ، والصواب فيما يبدو لي أنَّ الوجوب يختلف عن الفريضة ؛ فالفريضة شيءٌ ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٣ .

[1] أي شيءٌ مفروض غير الصلوات الخمس .

والوجوب شيءٌ آخر ، فالواجب إن تركه أثم ، ولا يُخرج من الإسلام ؛ لكن هذه الخمس ؛ التي هي متكرّرة كلُّ يومٍ وليلةٍ ؛ من تركها ؛ فقد خرج من الإسلام .

خامساً : يؤخذ من قوله : { فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ } أنَّ الصدقة هنا هي الزكاة ، فتؤخذ من الأغنياء ، وتدفع للفقراء . وأنَّ من أخذت منه الزكاة ؛ فهو غنيٌّ ، ولا يجوز أن تدفع له الزكاة .

وقوله : { تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ } الضمير يعود على المسلمين ؛ فلا تدفع الزكاة ؛ إلَّا إلى مسلمٍ ، ولا يجوز أن تدفع إلى الكفَّار.

وعلى احتمال أنَّ الضمير يعود على أهل البلد ؛ فالصدقة تؤخذ من أغنيائهم ؛ فترد على فقرائهم ، وعلى هذا الاحتمال ؛ فإنَّه لا يجوز أن تنقل الزكاة إلى غير أهل البلد ؛ إلَّا بعد كفايتهم .

سادساً : قوله ﷺ : { فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ } في هذا ردٌّ على من يقول بالاشتراكية ، والنبي ﷺ جعل أخذ الكرائم في الزكاة المفروضة ظلماً ؛ يتقيه الجابي ؛ الذي يجبي الزكاة ؛ يعني إياك أن تأخذ كرائم أموالهم ؛ فإنَّك إذا أخذتها ظلمتهم ، وإذا ظلمتهم ؛ لا تأمن أن يدعوا عليك .

ويؤخذ منه أنَّ أخذ الكرائم ظلمٌ ؛ يوجب قبول دعوة صاحبه ، والكرائم جمع كريمة ؛ وهي الجيدة من الموجود ؛ كالسمينة ، وما أشبه ذلك ، وأنَّ الكرائم لا يجوز أن تؤخذ من الزكاة ؛ بل يؤخذ من الوسط .

سابعاً : قوله ﷺ : { وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ } أنَّ الله عز وجل يسمع دعوة المظلوم ، وينصره ممن ظلمه ؛ سواءً في الدنيا ؛ أو في الآخرة ، وأنَّه ليس بين دعوة المظلوم ؛ وبين الله حجاب .

ويؤخذ منه أنَّ غير دعوة المظلوم قد لا تقبل ، وقد تُرَد ، وتحجب عن الله عز وجل ؛ لكن دعوة المظلوم ؛ لا تحجب ، ولو كان كافراً ، وفي الحديث : { ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ }[1]وبالله التوفيق .

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٨٠٤٣ و٩٧٤٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ١٧٥٢ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه أيضاُ برقم ٢٥٢٦ و٣٥٩٨ وأخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحه برقم ١٩٠١ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٨٧٤ و٧٣٨٧ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٣٧١٨ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٦٦٩٩ ، وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ١٣٩٥ ، وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٦٣٩٣ و١٦٦٤٨ و٢٠١٦٣ وصحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم الحديث ٨٧٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٨ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ ، وأنَّ من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلَّا بحقها ، ووكلت سريرته إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام

٣٢ – (٢٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ، وَنَفْسَهُ ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَوَاللهِ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ .

٣٣ – (٢١) وحَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى – قَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا ، وقَالَ الْآخَرَانِ – أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : { أُمِرْتُ أَنْ

أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } .

٣٤ – (٢١) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ ، عَنِ الْعَلَاءِ . **ح وحَدَّثَنَا** أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : { أُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي ، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ } .

٣٥ – (٢١) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ . وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ } بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . **ح وحَدَّثَنِي** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ . **ح وحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ ، قَالَا جَمِيعًا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَإِذَا قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ } ثُمَّ قَرَأَ : { إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ } .

٣٦ – (٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الصَّبَّاحِ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ } .

٣٧ – (٢٣) وحَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِيَانِ الْفَزَارِيَّ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : { مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } .

٣٨ – (٢٣) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ . **ح وَحَدَّثَنِيهِ** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : { مَنْ وَحَّدَ اللهَ } ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ .

(التعليق)

أورد المؤلف رحمه الله تعالى حديث أبي هريرة ﷺ في جهاد الردة ، وحديث أبي هريرة ﷺ في قصة جهاد الردة مختصر ؛ لأنَّه لم يقصد منه أبو هريرة ﷺ إلا الحوار بين أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأنَّ أبا بكر أصرَّ على قتال المرتدين ، وكان عمر ﷺ يراجعه ، وبعد ذلك انشرح صدر عمر ﷺ بما انشرح له صدر أبي بكر رضي الله عنهما .

أمَّا أهل الردة فهم فيما يظهر قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام :

قوم منهم كان لهم نبيٌّ ؛ فيما يُزعم ؛ يدعي النبوة ، وهم قد اقتنعوا بما يقول ؛ فهؤلاء مؤمنون بنبيهم الجديد ، وهؤلاء في ثلاثة مواضع : في صنعاء وما حولها

الأسود العنسي ، وهو الذي أوقد النار على أبي مسلم الخولاني ﷺ فدخل النار ، ولم تأكله النار ، ولما وفد إلى المدينة بعد وفاة النبي ﷺ قدم على عمر بن الخطاب ﷺ وقاله له " أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ أَبُو مُسْلِمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عُمَرُ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَسُرَّا بِذَلِكَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ أُحْرِقَ فَلَمْ يَحْتَرِقْ ، مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ " [1]وهذا الرجل الذي ادعى النبوة في اليمن قد قُتل قبيل وفاة النبي ﷺ دليل ذلك أنَّه تزوج امرأةً كانت مؤمنةً ، وكان زوجها مؤمناً ، والظاهر أنه قُتِلَ ، ولما تزوجها هذا الرجل ، أخبرت عنه أنَّه إذا شرب الخمر ينام ، فلما شَرب الخمر ؛ ونام ، فتحت للصحابة الباب ، لما دخلوا عليه قتلوه ، وكان ذلك قبيل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أيام أو حولها .

أمَّا بنو تميم ، وهم قبيلة في ربيعة ، فقد ظهر فيهم مسيلمة الكذاب ، وادعَّى النبوة ، فأجابه كثيرٌ منهم ؛ وقد جاء في الأثر : { عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } [الأنعام : ٩٣] قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ مُسَيْلِمَةَ قَالَ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا أَتَى مُسَيْلِمَةَ فَقَالَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ : أَسِرٌّ أَمْ عَلَانِيَةٌ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ سِرٌّ ، فَدَنَا مِنْهُ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ الَّذِي يَأْتِيكَ ، أَفِي ضَوْءٍ يَأْتِيكَ أَمْ فِي ظُلْمَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ فِي أَضْوَاءٍ

[1] الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم الحديث ٥٧٧ وصحح الحديث الإمام الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم ٥٧٦ من حديث معاذ بن جبل ﷺ .

مِنَ النَّهَارِ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ : فَعَرَفْتُ أَنَّ الْهُدَى فِي ضَوْءٍ ، وَأَنَّ الضَّلَالَةَ فِي ظُلْمَةٍ } [٢] **قلت** : وقالوا : كاهن ربيعة أحبُّ إلينا من صالح مضر ؛ انظروا إلى العصبية ؛ إلى أين بلغت ؟ !! وعند ذلك تابعهم ؛ رغم أنَّه قد عرف أنَّ مسيلمة كذَّاب .

كذلك أيضا سِجاح ؛ خرجت من المنطقة الشرقية ، وادَّعت النبوة ، وبعد ذلك انضمت إلى مسيلمة ؛ ومن معه .

فلذلك أرسل أبو بكر ﷺ إليهم ، وقاتلهم بأصحاب رسول الله ﷺ حتى كفى الله المؤمنين شرهم ، والحمد لله .

والشاهد أنَّ أهل الرِّدة انقسموا إلى ثلاثة أقسام :

١- قومٌ لهم نبيٌّ فيما يزعمون ؛ فهم تابعون لنبيهم ، وهؤلاء كفَّارٌ لا شك فيه .

٢- وقوم ارتدُّوا على الإسلام ، ورجعوا إلى وثنيتهم .

٣- وقوم آخرون بقوا على الإسلام ، وعلى الإيمان بالنبي ﷺ ولكنَّهم رأوا أنَّهم لا يعطون أبا بكر ﷺ الزكاة ؛ وهؤلاء هم الذين حصل فيهم الخلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

أمَّا القسمان المقدمان ؛ فكلُّ الصحابة مجمعون على أنَّهم كفَّارٌ يقاتلون ؛ لكي يقولوا : لا إله إلا الله ، ويصلُّوا . لكن الزكاة قال فيها أبو بكر ﷺ كلمة حازمة : { وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المالِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ }

[٢] انظر إلى الأثر تاريخ المدينة لابن شيبة ج٢/ ٥٧٤ .

وفي رواية : { وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا }[1]واختلف في

هذا ؛ [1] لما قال أبو بكر هذا الكلام .

والحقيقة أنَّ المبالغة يمكن أن يُتسامَح فيها كقول النبي ﷺ : { مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ شَرْطُ اللَّهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ }[2] فالمبالغة يتسامح فيها .

والعِقَال : وهو حبلٌ يُقرنُ فيه بين اثنين من الأبعرة ؛ التي تؤخذ من الصدقة ومن صاحب المال .

والمهم أن الذي يُخرَّج عليه كلام أبي بكر أنَّه مبالغةٌ ، وأخبر أنَّه لابد أن يقاتلهم ؛ حتى ولو منعوا شيئاً قليلاً من الزكاة ؛ لابد أن يقاتلهم عليه .

نرجع إلى أشياء في السند قال النووي : " وفيه حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ، وعن أبي صالح عن أبي هريرة . فقوله : عن أبي صالح يعني رواه الأعمش أيضاً عن أبي صالح . وتقدَّم اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الأصح من نحو ثلاثين قولاً ، وأنَّ اسم أبي صالح ذكوان السَّمان ، وأنَّ اسم أبي سفيان طلحة بن نافع ، وأنَّ اسم الأعمش سليمان بن مهران ...الخ " انتهى .

---

[1] الحديث سبق تخريجه في الباب الأول من هذا الكتاب .

[1] أي في حكم قتال ما نعي الزكاة ؛ هل هذا يوجب الكفر أو لا ؟ والله أعلم .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢١٥٥ و٢١٦٨ و٢٥٦٠ و٢٥٦٣ و٢٧٢٩ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٥٠٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .

قوله : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } هل يعني أن تقال هذه الكلمة بدون معرفة معناها ، والعمل بمقتضاها ؟ الجواب : هذه الكلمة لا يكفي التلفظ بها ؛ دون معرفة معناها ، واعتقاد العمل بها ، والعمل بها ينقسم إلى قسمين : -

القسم الأول : من قال : لا إله إلا الله ؛ عارفاً لمعناها ؛ عاملاً بمقتضاها ؛ معتقداً لها غير شاكٍّ فيها ، ووحَّد الله على مقتضى هذه الكلمة ، وكفر بما يعبد من دون الله عز وجل على ما تقتضيه هذه الكلمة ، فذاك هو الموحِّد ؛ الذي تمنعه لا إله إلا الله ؛ من دخول النار ، أو من الخلود فيها ؛ كما جاء ذلك في بعض الروايات ؛ التي يفسر بعضها بعضاً ، ونحن لا نقول كما تقول المرجئة ؛ إنَّ الإسلام هو النطق ، والاعتقاد فقط ، ولا نقول كما يقول المعتزلة [1]؛ أو الماترودية [2]؛ أو ما أشبههم ؛ والذين يقولون خلاف ما يقوله سلف الأمة ؛ فهؤلاء عندهم أخطاء ، والقول الحق هو ما كان يعتبره أصحاب رسول الله ﷺ واعتقده سلف الأمة من الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم ، ومشى عليه أئمة الحديث ، وعظماء الأمة ، وأئمتهم من أنَّ الإيمان اعتقاد بالقلب ، وقولٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

---

[1] الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر، فمن قارف شيئاً كبيراً زال عنه الإيمان ، ولم يلحق بالكفر فسمي فاسقاً ليس بمؤمن ولا كافر ، إلا أن أحكام الإيمان جارية عليه .

[2] الإيمان هو التصديق وأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان قالوا: بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وبنوا ذلك على أن التصديق لا يتصور فيه الزيادة والنقص .

وقوله : { أُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي ، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ } أي أنَّ الأمور السلبية ؛ التي لا يطلع عليها إلَّا الله عز وجل ؛ هذه لا دخل للإنسان فيها ؛ كذلك في حديث أبي مالك سعد بن طارق عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول : { مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } ؛ **إذن** : فمن قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ سواءً الأصنام ؛ أو الأولياء ، والملائكة ؛ أو الجن ؛ أو الأحجار ؛ أو الأشجار ؛ أو ما هو متعارف في هذه الأزمنة ؛ من السحرة ، والكهنة ، والمنجمين وما إلى ذلك ، فيكفر بهذا كلِّه ، ولابدَّ أن نكون حرباً على من يعتقد هذا الاعتقاد ؛ أو يعمل هذا العمل ؛ لأنَّ السحر كفرٌ ، ولا يجوز أن نُقِرَّ الكفر بيننا ، ويجب أن ننكر على من يفعله ، وأن نكون حرباً عليه جميعاً ونُقدِّم به إلى المحاكم الشرعية ؛ بعد أن نأخذ الاحتياطات ، والمحاذير ضدَّه ، ونقوم عليه كلُّنا ، ونعتبره عضواً مسموماً ؛ مثل العضو الذي فيه سرطان ؛ إذا تُرك أكل الجسم كلُّه ؛ كذلك عندما يُتْرك الكهنة ، والمنجِّمون ؛ يتركون في جسم الأمة ؛ فهم بمنزلة العضو الذي فيه سرطان ؛ يترك في الجسم حتى يقضي عليه ، فيجب علينا جميعاً أن نكون حرباً على هؤلاء .

قوله : { مَنْ وَحَّدَ اللهَ } هذا معنى قوله : { مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } وينبغي لنا أن نكثر من قراءة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [1].

قوله : { فَإِذَا قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ } يعني لو قال أحدهم : لا إله إلا الله ، ووحَّد الله عندئذ تقبل توبته .

ونأخذ من هذه الأحاديث التي تقدمت فضل أبي بكر ﷺ وقوته في الحق وشجاعته عليه رضوان الله عليه وعلى أصحابه جميعاً يقول النووي : " ففيه أدلُّ دليلٍ على شجاعة أبي بكر ﷺ وتقدُّمه في الشجاعة ، والعلم على غيره . فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم ؛ الذي هو أكبر نعمةٍ أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ واستنبط ﷺ من العلم بدقيق نظره ، ورصانة فكره ؛ مالم يشاركه في الابتداء به غيره ؛ فلهذا وغيره مما أكرمه الله تعالى به عليه أجمع أهل الحق على أنَّه أفضل أمة رسول الله ﷺ . وقد صنَّف العلماء رحمهم الله في معرفة رجحانه ؛ أشياءُ كثيرةٌ ؛ مشهورةٌ في الأصول وغيرها . ومن أحسنها كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم للإمام أبي المظفَّر منصور بن محمد السمْعاني الشافعي . وفيه جواز مراجعة الأئمة ، والأكابر ، ومناظرتهم في إظهار الحق . وفيه أنَّ الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين ؛ مع اعتقادهما ، واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ .

---

[1] حيث وضح الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الأدلة على فضل لا إله إلا الله ، وبين في كتاب التوحيد ما يناقض هذه الكلمة من الشركيات والبدع التي يجب الحذر منها .

وقد جمع ذلك ﷺ بقوله : { أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به } وفيه وجوب الجهاد . وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ، ونفسه ، ولوكان عند السيف . وفيه أنَّ الأحكام تجري على الظاهر ، والله تعالى يتولى السرائر . وفيه جواز القياس ، والعمل به . وفيه وجوب قتال مانعي الزكاة ؛ أو الصلاة ؛ أو غيرهما من واجبات الإسلام ؛ قليلاً كان ؛ أو كثيراً ؛ لقوله ﷺ : { لو منعوني عقالاً ؛ أو عناقاً } . وفيه جواز التمسك بالعموم ؛ لقوله : { فإنَّ الزكاة حقُّ المال } . وفيه وجوب قتال أهل البغي . وفيه وجوب الزكاة في السخال ؛ تبعاً لأمهاتها . وفيه اجتهاد الأئمة في النوازل ، وردُّها إلى الأصول ، ومناظرة أهل العلم فيها ، ورجوع من ظهر له الحق إلى قول صاحبه . وفيه ترك تخطئة المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم بعضاً . وفيه أنَّ الإجماع لا ينعقد إذا خالف أهل الحل والعقد واحد ، وهذا هو الصحيح المشهور ، وخالف فيه بعض أصحاب الأصول . وفيه قبول توبة الزنديق ، وقد قدمت الخلاف فيه واضحاً ، والله سبحانه تعالى أعلم بالصواب ، وله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة " انتهى .

٩ باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، ما لم يشرع ، وهو الغرغرة ، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين ، والدليل على أنَّ من مات على الشرك ، فهو في أصحاب الجحيم ، ولاينقذه من ذلك شيءٌ من الوسائل

٣٩ – (٢٤) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِيهِ : قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَا عَمِّ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ } فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ } فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

٤٠ – (٢٤) وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ . **ح وحَدَّثَنَا** حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ؛ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ ، غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ صَالِحٍ انْتَهَى عِنْدَ قَوْلِهِ : فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْآيَتَيْنِ ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : وَيَعُودَانِ فِي تِلْكَ الْمَقَالَةِ ، وَفِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ فَلَمْ يَزَالَا بِهِ .

٤١ – (٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ ، عَنْ يَزِيدَ ؛ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ : { قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَبَى } فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] الْآيَةَ .

٤٢ – (٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ : { قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } قَالَ : لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ ، يَقُولُونَ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

(التعليق)

أقول : استنباط الإمام النووي رحمه الله أنَّ أبا طالب كان كلامه لهم قبل الغرغرة ؛ وهذا يحتمل أن يكون كذلك ، ويحتمل أن يكون شيئاً خُصَّ به ؛ لأنَّه جاء في بعض ألفاظ الحديث أنَّ النبي ﷺ قال له : { أَيْ عَمِّ ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ }[1] والذي يظهر في هذا اللفظ أنَّ النبي ﷺ أراد أن يقول في ذلك الموقف : {كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ } ولكن جلس له الشيطانان أو الرجلان [2]وأحدهما صار صحابياً ، وهو عبد الله بن أبي أمية رضي الله عنه أخو أمِّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ؛ وهو ابن عمة النبي ﷺ وابن عم أبي جهل ؛ وهو ابن أخت أبي طالب .

فجلسا يقولان له : { يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ ؛ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } حملته العصبية أو الحمية أن يمتنع عن قول لا إله إلا الله ؛ مع أنَّه في حياته كان يقول عن دعوة نبينا محمد ﷺ :

ولقد علمت بأن دين محمدٍ ** من خير أديان البرية ديناً

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٨٨٤ و٤٦٧٥ و٤٧٧٢ و٦٦٨١ من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه .

[2] وهما أَبَا جَهْلٍ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه .

لولا الملامة أو حذارِ مسبةٍ ** لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

ويؤخذ من هذا الباب عدة مسائل :

المسألة الأولى : يؤخذ منه حرص النبي ﷺ على عمِّه أن يقول : لا إله إلا الله ؛ لعل الله عز وجل أن يتقبلها شفاعةً له ، ولكنَّه أبى أن يقولها .

المسألة الثانية : يؤخذ منه أنَّ أبا طالب قد مات على الكفر ، والشرك ؛ خلاف ما تعتقده الرافضة ، والشيعة ؛ الذين يقولون : أنَّه مات على الإسلام ، ويرْوُون في ذلك أحاديث مكذوبة ، ويقولون : أنَّ الله أحيا أبوي النبي ﷺ ، وأسلما ؛ كلُّ ذلك يعتمدون فيه على أحاديث موضوعةٍ ؛ لا صحة لها ؛ مع العلم أنَّ أبوي النبي ﷺ لو قدِّر بأنَّهما أحياءً يَسمعان النبي ﷺ قد تجاوزا الاختبار ، والامتحان ، والإيمان بالغيب ؛ فإنَّ إيمانهما لا يصح ؛ لأنَّ الإيمان لا يؤخذ إلَّا ما دام إيماناً بالغيب ؛ قال الله عز وجل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾ [البقرة : ١- ٣] فالإيمان بالغيب شرطٌ في صحة الإيمان ؛ أمَّا بعد أن تجاوز العبد مرحلة الدنيا ، وأفضى إلى ما قدَّم ، ورأى ما رأى من الأمور [١]؛ ولا شكَّ أنَّ هذا لا يعتبر إيماناً ؛ فكلٌّ قد جاءه الموت ، ولا يصِحُّ إيمانه بعد ذلك .

وحينئذ دعوى الشيعة ؛ التي يدَّعونها على أحاديث موضوعة ؛ دعاوى باطلةٌ لا تصح أبداً .

---

[١] أي من أمور الآخرة وأحوالها .

كذلك أيضاً يؤخذ منه أنَّ الانتساب إلى الأنبياء ؛ أو الصالحين لا يكفي أحداً ؛ فما نفع ابن نوحٍ انتسابه إلى نوحٍ عليه السلام ؛ الذي جلس مجاهداً تسع مئةٍ وخمسين عاماً ؛ وهو يدعو إلى الله ؛ صباح ؛ مساء ، فما نفعه بالانتماء إليه ؛ بل قال الله عز وجل لنوحٍ عليه السلام لما قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هود : ٤٥]

فقال الله عز وجل ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦] وهكذا إبراهيم أيضاً لم ينفع أباه بانتسابه إليه ، وقد جاء : { أَنَّ إِبْرَاهِيمَ – عليه السلام – رَأَى أَبَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ الْغَبَرَةُ ، وَالْقَتَرَةُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا فَعَصَيْتَنِي ، قَالَ : لَكِنَّنِي الْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ وَاحِدَةً ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ، وَعَدْتَنِي أَلَّا ﴿ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء : ٨٧] فَإِنْ أَخْزَيْتَ أَبَاهُ ؛ فَقَدْ أَخْزَيْتَ الْأَبْعَدَ ، قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِّي حَرَّمْتُهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ، فَأُخِذَ مِنْهُ , فَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَخَذْتَهُ مِنِّي ، قَالَ : انْظُرْ أَسْفَلَ مِنْهُ ، فَنَظَرَ فَإِذَا ذِيخٌ يَتَمَرَّغُ فِي نَتَنِهِ ، فَأُخِذَ بِقَوَائِمِهِ , فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ } [1] والعياذ بالله ؛ وهكذا حماية أبي طالب للنبي ﷺ لن تنفعه إلَّا في كونه خُفِّف عنه العذاب ؛ أمَّا رفع العذاب فلا ، وقد قال : { الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم الحديث ١١٣١١ وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٤٨٣٩ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٤٣١٠ وقال حديثٌ صحيح ، وقال : الذيخ : الضبع الذّكر ، وصحح أيضاً الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم ٨١٥٨ من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنها .

وَيَغْضَبُ لَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ }[1]

وفي رواية : { إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ ، عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ }[2] نسأل الله العفو والعافية .

كذلك أيضاً يؤخذ منه أنَّ الهداية ، والضلال بيد الله عز وجل ؛ ليس بيد أحدٍ ، فينبغي للعبد أن يسألها من الله عز وجل .

كذلك أيضاً ينبغي للعبد ألَّا ينظر إلى كثرة العمل ؛ أو صلاح العمل ، فهذا أبو طالب حمى الرسول ﷺ لكن لم ينفعه حمايته له .

إذن ، فالذي ينبغي للمسلم أن يضرع دائماً إلى الله عز وجل ، ويلجأ إليه دائماً ؛ للهداية ، والتوفيق ، ولهذا كان النبي ﷺ دائماً يلهج بهذه الكلمات : { اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[3] و

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٠٩ وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم ٣٨٨٣ .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٥٦٢ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢١٣ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم الحديث ٦٨٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٨٣٤ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٥٢٢ وصححه الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٠٩١ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

في رواية : { إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا
عَلَى طَاعَتِكَ }[1] .

كذلك أيضا يؤخذ منه أنَّ الشياطين دائماً تعارض أعمال الخير ؛ كأولئك الرجلين : أبي جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، حيث جعلا يقولان لأبي طالب : { أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ } مع حرص النبي ﷺ على عمه حيث كان يدعوه حتى في آخر لحظة ، وكان يقول { أَيْ عَمِّ ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ } .

وكذلك أيضا يؤخذ منه أنَّ الحمية ، والعصبية قد تحمل الإنسان على الوقوع في نار جهنم ؛ عياذاً بالله ؛ من حيث لا يشعر ، ونسأل الله العفو والعافية ، وبالله التوفيق .

١٠

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٦٥٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً

٤٣ – (٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ خَالِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ حُمْرَانَ ، عَنْ عُثْمَانَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ } **حَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ ، عَنِ الْوَلِيدِ أَبِي بِشْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ حُمْرَانَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عُثْمَانَ ﵁ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : مِثْلَهُ سَوَاءً .

٤٤ – (٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ الْأَشْجَعِيُّ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ ، قَالَ : فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ ، قَالَ : حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ ، فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا ، قَالَ : فَفَعَلَ ، قَالَ : فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ ، قَالَ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ : وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ ، قُلْتُ : وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى ؟ قَالَ : كَانُوا يَمُصُّونَهُ ، وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، قَالَ : فَدَعَا عَلَيْهَا قَالَ حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ ، قَالَ : فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : { أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ } .

٤٥ – (٢٧) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ ، قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – شَكَّ الْأَعْمَشُ – قَالَ : لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا ، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { افْعَلُوا } قَالَ : فَجَاءَ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { نَعَمْ } قَالَ : فَدَعَا بِنِطَعٍ ، فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، قَالَ : فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ ، قَالَ : وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ ، قَالَ : وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ : { خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ } قَالَ : فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ ، قَالَ : فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ } .

٤٦ – (٢٨) حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ ، عَنْ ابْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، حَدَّثَنَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى

عَبْدُ اللهِ ، وَابْنُ أَمَتِهِ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ } .

(٢٨) **وحَدَّثَنِي** أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، حَدَّثَنَا مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ ، فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : { أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ } وَلَمْ يَذْكُرْ { مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ } .

٤٧ – (٢٩) **حَدَّثَنَا** قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ ، فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : مَهْلًا ، لِمَ تَبْكِي ؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ ، وَقَدِ أُحِيطَ بِنَفْسِي ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : { مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ } .

٤٨ – (٣٠) **حَدَّثَنَا** هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ ، فَقَالَ : { يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ } ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ ، وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : { يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ } قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ،

ثُمَّ قَالَ : { يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ } قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : { هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟ } قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { فَإِنَّ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : { يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ } قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ ، وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : { هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ } .

٤٩ – (٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ سَلَّامُ بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ ، يُقَالُ لَهُ : عُفَيْرٌ ، قَالَ : فَقَالَ : { يَا مُعَاذُ ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ؟ } قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا } ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ، قَالَ : { لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا } .

٥٠ – (٣٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، وَالْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ ، أَنَّهُمَا سَمِعَا الْأَسْوَدَ بْنَ هِلَالٍ ، يُحَدِّثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَا مُعَاذُ ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟ } قَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ } ،

قَالَ : { أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؟ ، فَقَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ } ,

٥١ – (٣٠) حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاذًا ﷺ يَقُولُ : دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَقَالَ : { هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى النَّاسِ ؟ } نَحْوَ حَدِيثِهِمْ .

٥٢ – (٣١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا ، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا ، وَفَزِعْنَا ، فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا ؟ فَلَمْ أَجِدْ ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ – وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ – فَاحْتَفَزْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : { أَبُو هُرَيْرَةَ } فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : { مَا شَأْنُكَ ؟ قُلْتُ : كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا ، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا ، فَفَزِعْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي ، فَقَالَ : { يَا أَبَا هُرَيْرَةَ } وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ ، قَالَ : { اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ ؛ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ ،

فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ } ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ رضي الله عنه ، فَقَالَ : مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ؟ فَقُلْتُ : هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي ، فَقَالَ : ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً ، وَرَكِبَنِي عُمَرُ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ } قُلْتُ : لَقِيتُ عُمَرَ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي ، قَالَ : ارْجِعْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَا عُمَرُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ } قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ ، وَأُمِّي ، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ قَالَ : { نَعَمْ } ، قَالَ : فَلَا تَفْعَلْ ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا ، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { فَخَلِّهِمْ } .

٥٣ – (٣٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ، قَالَ : { يَا مُعَاذُ } قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : { يَا مُعَاذُ } قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : { يَا مُعَاذُ } قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : { مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ } ،

قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا ، فَيَسْتَبْشِرُوا ، قَالَ : { إِذًا يَتَّكِلُوا } ، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا .

٥٤ – (٣٣) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ؛ يَعْنِي ابْنَ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ ﷺ فَقُلْتُ : حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ ، قَالَ : أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي ، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى ، قَالَ : فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ ، قَالُوا : وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ ، وَقَالَ : { أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ } ، قَالُوا : إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ ، قَالَ : { لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَيَدْخُلَ النَّارَ ، أَوْ تَطْعَمَهُ } ، قَالَ أَنَسٍ : فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقُلْتُ لِابْنِي : اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ ,

٥٥ – (٣٣) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ ، حَدَّثَنَا بَهْزٌ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ عَمِيَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : تَعَالَ فَخُطَّ لِي مَسْجِدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَجَاءَ قَوْمُهُ ، وَنُعِتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ : مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ .

(التعليق)

قوله : { مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ } ما معنى دخل الجنة ؟ هل معنى ذلك أنَّه دخل الجنَّة بدون عذاب ؟ الجواب : لا . ولهذا تجد أنَّ أقوال أهل العلم قد يكون فيها شيءٌ من التآلف في هذه المسألة ؛ لكن أهل السنة والجماعة قولهم هو الحق .

وهذا الحديث ، وأمثاله فيه إخبارٌ عن المآل ، وأنَّ مآل كل موحدٍّ إلى الجنَّة ، وهذا لا ينبغي أن يقع عليه ما يقع ؛ إن كان مقترفاً للكبائر ، فإن كان مقترفاً للكبائر ؛ ربما أنَّه يدخل النار ، ويعذب فيها بقدر جنايته ، ثم بعد ذلك يخرج منها ، ويدخل الجنة .

وهذا الحديث فيه معجزة للنبي ﷺ .

وفيه أيضاً فضلٌ لعمر رضي الله عنه : { لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا ، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { افْعَلُوا } الحديث .

قد قلنا أنَّ هذه الشهادة لا تنفع إلَّا من قالها ؛ معتقداً بمعناها ؛ عاملاً بمقتضاها ؛ مثبتاً لما أثبتت ؛ نافياً لما نفت .

وخلاصة ذلك أن النبي ﷺ قال فيما سبق : { أُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي ، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ } وفي رواية ثانية : { مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ } وفي رواية : { مَنْ وَحَّدَ اللهَ }

فهذه الروايات تُفسِّر قوله : { أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ } وفي رواية : { ... فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ } .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، والدولة السعودية في دورها الأول قاتلوا من كانوا يقولون : لا إله إلا الله ، وفيهم الأضرحة ، وقبور الأولياء ؛ تعبد من دون الله ، والذين تساق إليهم النذور ، ويذبح لهم من دون الله ، ويدعون من دون الله ، ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلَّا الله ، وأفتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في ذلك الزمان ؛ بأنَّ قولهم : لا إله إلا الله ؛ لاينفع ، ولايفيد [1] ؛ وأنَّه يحل قتالهم ، وفعلاً قاتلوهم .

فمن خطَّأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذه المسألة ؛ فهو المخطئ ؛ حيث يقولون من قال : لا إله إلا الله ، وقال : يا سيد البدوي : أعطني كذا ؛ يا سيدي الحسين : أعطني كذا ؛ يا ابن علوان : اصرف عني الشر ؛ أو أشفِ لي مريضي ؛ أو أعد لي زوجتي ؛ أو أعطني ولداً ؛ أو اصرف الجراد عن مزرعتي ؛ أو أنزل لي المطر ؛ مما لا يقدر عليه إلَّا الله عز وجل ، فمن قال : لا إله إلا الله ، وهو يقول مثل هذا ، ويعتقد مثل هذا ، ويفعل مثل هذا ، فإنَّ كلمة لا إله إلا الله لا تنفعه ، ولو قالها في اليوم سبعين ألف مرة ، ولو صلى إلى أن يتقوَّس ظهره ، ولو صام الدهر جميعاً ، ولو حجَّ كلَّ عامٍ ، ولو عمل كلَّ خيرٍ ، فكلُّه مردودٌ عليه ؛ حتى يوحِّد الله عز وجل .

---

[1] لوقوعهم في الشرك الأكبر ؛ المخرج من الإسلام .

هذه هي الحقيقة ، وهذا هو الدِّين الإسلامي ؛ اقرأ كتاب الله من أوله إلى آخره ؛ تجده ردّاً على ما كان يعمله ، ويعتقده المشركون ؛ قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٣-٧٤] وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۞ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] .

كذلك أيضا يؤخذ منه ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجهد ، والمشقة ، وصيروا الدليل على ذلك ؛ لقول أبي هريرة رضي الله عنه : { كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ ، قَالَ : فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ ، قَالَ : حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ ، فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا ، قَالَ : فَفَعَلَ ، قَالَ : فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ ، قَالَ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ : وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ ، قُلْتُ : وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى ؟ قَالَ : كَانُوا يَمُصُّونَهُ ، وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، قَالَ : فَدَعَا عَلَيْهَا قَالَ حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ ، قَالَ : فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : { أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ } .

قوله : { فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ ، قَالَ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ : وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ ؛ قُلْتُ : وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى ؟ قَالَ : كَانُوا يَمُصُّونَهُ ،

وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ } انظر إلى هذا سبحان الله العظيم ؛ ما قالوا : نحن يا ربِّ أصحاب رسولك : ما أغدقت علينا الرزق ، وما فعلت كذا .

وربَّما أنَّ قائلاً يقول : إن كانت هذه الفِرقة على الحق ، فما لهم ؛ ما ينصرهم الله ؛ وما لهم ما يعطيهم الله مالاً ؟ الجواب : إنَّ الله عز وجل يبتلي أولياءه ؛ فقد يبتليهم بالحاجة ؛ وقد يبتليهم بالضعف ، وقد يبتليهم بأشياء كثيرة ، فينظر هل يصبرون أم لا ؟

إذن : فالذي ينبغي للمسلم ؛ ألَّا يقول : نحن على الحق ، فما لنا ؛ ما أعطانا الله كذا ؛ بل يجب عليه أن يصبر ؛ قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

نعم هذه الخاطرة ؛ ربما تجري على خاطر بعض الناس ، فيقول لماذا أهل الحق ما ينصرهم الله ؟ لماذا أهل الحق ما يكون لهم كذا ؟ فربما أن لا يحصل هذا ، وإن حصل شيء من هذه الابتلاءات ، فلنظنَّ بأنفسنا القصور .

قوله : { مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ } إمَّا أن يكون المعنى حرم الله عليه الخلود في النار ، وإمَّا أن يكون المعنى حرم الله عليه دخول النار ، وإن كان من أصحاب الكبائر ، فإن شاء الله أن يعفو عنهم عفا عنهم بدخول الجنة ، وإن شاء الله أن يعذبهم بقدر جناياتهم ، ثم بعد ذلك يدخلهم الجنة ، وبالله التوفيق .

١١ باب الدليل على أنَّ من رضي بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ ﷺ رسولا ، فهو مؤمن ، وإن ارتكب المعاصي الكبائر

٥٦ – (٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ ، وَبِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : { ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا } .

(التعليق)

في هذا الباب ردٌّ على المعتزلة ، والخوارج الذين يقولون أنَّ صاحب الكبيرة يخلد في النار .

وقول النبي ﷺ : { ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ } قال الإمام النووي : " أي خلصت حلاوة الإيمان في قلبه .

وقوله : { مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا } قال النووي : " معنى رضيت بالشيء قنعت به ، واكتفيت به ، ولم أطلب غيره " وأن تقدم طاعة الله على هواك ، وعلى هوى من يعزُّ عليك ، ولاتقدم رغبة أحدٍ على مراد الله عزَّ وجل ؛ بل يكون مراد الله عز وجل هو المقدم عندك ، فتكون بعيداً عن الكفر ، والخطايا ، والكبائر ؛ لأنَّ الإنسان تدفعه الشهوة إلى الوقوع في المعاصي ، ولكنه يستشعر الخوف من الله ، بعد معرفته بما يرضاه ربه مما يسخطه ، فإذا حصل له هذا في قلبه ، فإنما هذا يدل على إيمانه .

قوله : { وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا } أي بأنَّ تعتقد بأنَّ الإسلام أفضل دين ، وهو الدين الحق ، وأنَّ غيره من الأديان باطلة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران : ٨٥]

وأنَّك في نعمةٍ عظيمة أن جعلك الله من أهل الإسلام ، وممن يعملون به ،[1] فإذا حصل لك هذا فقد رضيت بالإسلام دينا .

قوله : { وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا } بأن نحتكم إليه فيما شجر بيننا ، ولابد من الرضا بذلك ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩] وقال تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] وفي الحديث : { أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ ؛ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ : اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ ، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : يَا زُبَيْرُ اسْقِ ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ [النساء : ٦٥] [2]

---

[1] قال الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣] .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٣٥٩و٢٣٦١ و٢٣٦٢ و٢٧٠٨ و٤٥٨٥ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٣٥٧ واللفظ له .

وفي حديث : { ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ رحمه الله قَالَ : كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِغَيْرِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلاَفِي ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٣] }[1]

الله أكبر ، إذا كان أبو بكر وعمر كادا أن يهلكا في مرةٍ واحدةٍ ، تقدما على النبي ﷺ فيها ، فأرادا أن يفرضا رأيهما ؛ ظنَّاً منهما أنَّ رأيهما هو الحق ؛ والذي فيه المصلحة ، فكيف بنا نحن ؛ كم مرةٍ في اليوم تحصل منا المخالفة لأمر الرسول ﷺ فعندئذٍ ينبغي أن نخاف ، وينبغي أن نحذر ، وينبغي أن نرضى بحكم رسول الله ﷺ ، وأن نقف عند أوامر الرسول فنفعلها ، وأن نقف عند نواهيه ، فنجتنبها ، فإذا فعلنا ذلك ؛ فقد رضينا بمحمدٍ ﷺ رسولا ، وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٣٦٧ و٤٨٤٥ و٤٨٤٧ و٧٣٠٢ بهذا اللفظ .

١٣ باب بيان عدد شعب الإيمان ، وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء ، وكونه من الإيمان

٥٧ – (٣٥) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : { الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ } .

٥٨ – (٣٥) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ } .

٥٩ – (٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَعَمْرٌو النَّاقِدُ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ ، فَقَالَ : { الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ } .

(٣٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَقَالَ : مَرَّ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَعِظُ أَخَاهُ .

٦٠ – (٣٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا السَّوَّارِ ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

أَنَّهُ قَالَ : { الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ } ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا ، وَمِنْهُ سَكِينَةً ، فَقَالَ عِمْرَانُ ﷺ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ . **حَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ وَهُوَ ابْنُ سُوَيْدٍ ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ ، وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ } قَالَ : أَوْ قَالَ : { الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ } فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ – أَوِ الْحِكْمَةِ – أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ ، قَالَ : فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ ، وَقَالَ : أَلَا أَرَى أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَتُعَارِضُ فِيهِ ، قَالَ : فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ ، قَالَ : فَأَعَادَ بُشَيْرٌ ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ ، قَالَ : فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعَامَةَ الْعَدَوِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ حُجَيْرَ بْنَ الرَّبِيعِ الْعَدَوِيَّ ، يَقُولُ عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ .

(التعليق)

في هذا الباب ردٌّ على المرجئة الذين يقولون أنَّ الأعمال ليست من الإيمان ، لأنَّهم يقولون إنَّ الإيمان هو النطق باللسان والتصديق بالقلب ، ويكفي ، فمن قال : لا إله إلاَّ الله ، فهو مؤمنٌ ، وإيمانه مثل إيمان جبريل ، ولايضر مع

الايمان معصية ، لأنَّ العمل منفكٌّ عن الإيمان ، وعندئذٍ هذا الباب ردٌّ عليهم ، وأنَّ الأعمال من الإيمان .

أورد فيه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : { الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ } أي شعبة من شعب الإيمان .

الشعب جمع شعبة ، والشعبة هي القطعة من الشيء ؛ يعني هناك أعمالٌ هي من الإيمان ، وهذه الأعمال إمَّا أنَّها ذكرت في كتاب الله ، وإمَّا أنَّها ذكرت في سنة رسول الله ﷺ .

وفي حديث : { زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سُهَيْلٍ } سهيل بن أبي صالح { عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ — شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ } .

وهذا الحديث جاء بالقطع بأنَّ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة ، وجاء بالشك بأنَّه بضعٌ وستون شعبة ؛ قال النووي : " قال الإمام الحافظ أبو حاتم بن حِبان بكسر الحاء : تتبعتُ معنى هذا الحديث مدةً ، وعددتُ الطاعات ، فإذا هي تزيد على هذا العدد كثيراً ، فرجعتُ إلى كتاب الله تعالى ، فقرأته بالتدبر ، وعددتُ كلَّ طاعةٍ عدَّها الله تعالى من الإيمان ، فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين ، فضممت الكتاب إلى السنن ، وأسقطتُ المعاد — أي المكرر - ، فإذا كلُّ شيءٍ عدَّه الله تعالى ، ونبيه ﷺ من الإيمان تسعٌ وسبعون

شعبة لاتزيد عليها ، ولاتنقص ، فعلمت أنَّ مراد النبي ﷺ أنَّ هذا العدد في الكتاب والسنن " يعني هو الحق .

يتبين لنا من هذا على أنَّ الأعمال التي ذكرها الله عز وجل ، وذكرها النبي ﷺ من الأعمال الخيرة التي يتقرب بها إلى الله عزَّ وجل أنَّها هي شعب الإيمان التي أرادها رسول ﷺ في هذا الحديث .

قوله : { فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } أي أعلى هذه الشعب قول : لا إله إلا الله ، ولماذا كانت هي أعلى الشعب ؟ لأنَّ هذه الكلمة هي التي يدخل بها في الإسلام ، فلايكون الإنسان مسلماً إلا بها ؛ علماً بأنَّ لا إله إلا الله هي أعلى كلمة ، وأفضل كلمة ، وقد جاء في الحديث : { عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ : كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَ ا، قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصَّنِي بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ }[1] وفي رواية : { وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا حَلْقَةً ، فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ

[1] الحديث أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم الحديث ١٠٦٠٢ و١٠٩١٣ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ١٩٣٦، وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ١٢٧٣ وأخرجه الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ١٣٩٣ ، وضعف الحديث الألباني في تحقيق كلمة التوحيد ج١/ ٥٨ .

إِلَّا اللهُ عَلَيْهِمَا ، لَفَصَمَتْهَا ، أَوْ لَقَصَمَتْهَا }[٢] وعندئذٍ يتقرر لنا عظم هذه الكلمة ، فهي التي من أجل هذه الكلمة أرسلت الله الرسل ، ومن أجلها أنزلت الكتب ، وشرعت الأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وأرسى الله قواعد العدل ، وخلقت الجنة والنار من أجل هذه الكلمة ، فأعلى هذه الشعب ، وأفضلها قول لا إله إلا الله .

قوله : { وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ } أي أدنى هذه الشعب إماطة الأذى عن الطريق ؛ سواء حجر أبعدته عن الطريق ؛ أو شوك أبعدته عن الطريق [أو غيره] والمهم أنَّ هذا من أدنى الحسنات ، وقول لا إله إلا الله من أعلى الحسنات ، والشعب فيما بين ذلك ، وقد ورد في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : { أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا ، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ }[١] .

ثمَّ قال : { وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ } ومثله قوله ﷺ في حديث الباب : { عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ ، فَقَالَ : الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ } ولاشكَّ أنَّ الإنسان إذا أعطاه الله خليقة الحياء ، فهذا من الإيمان ، لكن الإنسان الذي يسلب منه الحياء ، ويكون وقحاً

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٧١٠١ قال في تخريج أحاديث الإحياء في كتاب ذم الكبر والعجب ج١/ ١٢٥١ برقم الحديث ١ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : " أخرجه أَحْمد وَالْبُخَارِيّ فِي كتاب الْأَدَب وَالْحَاكِم بزِيَادَة فِي نَقله قَالَ صَحِيح الْإِسْنَاد " انتهى .

[١] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٦٣١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

لايبالي بما أتى ، ونسأل الله أن يعيذنا من ذلك ، فإذا كان كذلك ، فقد ذهب دينه ، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال : { إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ }وفي رواية : {فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ }[٢] فالحياء حائل بين الإنسان وبين المعاصي ، وعندما يذهب الحياء عندئذٍ يذهب الدين كله ، ونسأل الله العفو والعافية ، وبالله التوفيق .

١٣ - بَابُ جَامِعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ

٦٢ - (٣٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، **ح وحَدَّثَنَا** قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، جَمِيعًا عَنْ جَرِيرٍ ، **ح وحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ : { قُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ ، فَاسْتَقِمْ } .

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٤٨٣ و٦١٢٠ من حديث عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه .

(التعليق)

قوله : { فاسْتَقِمْ } ، وفي رواية : { ثم استقم } [1]ما معنى الاستقامة ؟ هو الثبات على الطريق الذي رسمه رسول الله ﷺ ، والله تعالى يقول : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] والله سبحانه وتعالى بين ثواب أهل الإستقامة فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [الحجرات ٣٠-٣١] والنبي ﷺ يقول : { افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ } وليس معنى ذلك أنَّهم كلهم في النار مخلدين ، ولكن يكون منهم من هو في النار ، ثم بعد ذلك

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٥٤١٦ و ١٥٤١٧ و ١٩٤٣١ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ١١٤٢٥ و ١١٧٧٦ وأخرجه الإمام ابن حبان ف صحيحه برقم ٩٤٢ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٦٣٩٨ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٤٥٧٨ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ١٦وأخرجه الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم ١٥٤ و١٥٥ والرواية صحيحه صححها الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٣٩٥ .

يكون مآله إلى الجنة { قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : الْجَمَاعَةُ }[1] وفي رواية : { لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي }[2] أي على الإيمان الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، الوارد في كتاب الله ، والذي هو نهمهم ، ورغبتهم ، وشرفهم ؛ الذي يقومون به آناء الليل ، وآناء النهار ، فلايقدمون عليه شيئاً ، وفي الحديث : { أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ ؛ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ ، فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ }[1]

---

[1] الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم الحدييث ٣٩٩٢ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ١٢٩ ، وصحح الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٩٢ من حديث عوف بن مالك

[2] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سسنه برقم الحديث ٢٦٤١ وأخرجه الإمام المروزي في السنة برقم ٥٩ وأخرجه الآجري في الشريعة برقم ٢٣و٢٤ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٦٢ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٤٤٤ وحسن الحديث الألباني في الجامع الصغير برقم ٥٣٤٣ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٧٣٧٥ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٨١٣ من حديث عائشة رضي الله عنها .

وفي رواية : { أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] يُرَدِّدُهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ }[٢].

إذن فأنت يا أيها الإنسان إذا كنت على مثل ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من الإيمان ، والاستقامة ، والعمل بطاعة الله ؛ فأبشر بما جاء في قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ ۞ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ۞ لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ ﴾ [الزمر : ١٧-٢٠] فالمؤمنون حقاً هم الذين رجعوا إلى الله ، وعملوا بطاعته ، واحتكموا إليه ، ورضوا بحكمه ؛ فهذه هي الاستقامة ؛ والتي هي الثبات على دين الله ، وقد قال النبي ﷺ : { إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ، وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٦٤٣ و٧٣٧٤ .

يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ }[1]إذن أيها الإنسان ما علمته من حلالٍ فأته ، وما علمته من حرامٍ فاجتنبه ، وما خفي عليك أمره ، فارجع فيه إلى أهل العلم ، بناء على ما قال الله ، وقال رسوله ﷺ ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء :٨٣] ، وبالله التوفيق .

١٤ - بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيٌّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ

٦٣ - (٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، **ح وحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : { تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ } .

٦٤ - (٤٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ الْمِصْرِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ الله

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحيه برقم الحديث ٥٢و٢٠٥١ وأخرجه الإماام مسلم في صحيحه ، واللفظ له برقم ١٥٩٩من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

عَنْهُمَا يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ قَالَ : { مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ } .

٦٥ – (٤١) حَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي عَاصِمٍ ، قَالَ : عَبْدٌ ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ جَابِرًا رضي الله عنه يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : { الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ } .

٦٦ – (٤٢) وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنهما قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : { مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ } وَحَدَّثَنِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ ؟ فَذَكَرَ مِثْلَهُ .

(التعليق)

قوله : { أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : تُطْعِمُ الطَّعَامَ } أي بمعنى أنَّك تبذله لمن يريده { وَتَقْرَأُ السَّلَامَ } أي تردُّه { عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ } هذا هو الحق .

وقد يتعارض مع هذا الحديث أحاديث منها قول النبي ﷺ : { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }[1] وما أشبه ذلك من الأحاديث التي أخبر النبي ﷺ فيها

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٥٠٢٧ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

بأنَّ تلك الأعمال أفضل ؛ والجمع بين هذه الأحاديث أنَّ النبي ﷺ يجيب كلَّ إنسانٍ بحسب ما يراه مناسباً له ، فالرجل الجلد القوي الشجاع المقْدَام الأجدر في حقِّه الجهاد في سبيل الله ، والرجل الذي عنده حفظ وفهم للعلم ، فالأفضل في حقِّه أن يطلب العلم ، وصاحب المال الأفضل في حقِّه أن يطعم الطعام ، وهكذا في سائر الأعمال .

قوله : { مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ } الاسلام معناه المسالمة ، فإذا لم تؤذ مسلماً بقول ولا فعل ، فعندئذ فأنت مسلمٌ حقاً ، أي كامل الإسلام ، وليس المراد بنفي أصل الإسلام عمن لم يكن بهذه الصفة ؛ كما قاله النووي رحمه الله ، وبالله التوفيق .

١٥ - بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ

٦٧ - (٤٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، جَمِيعًا عَنْ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ } .

٦٨ - (٤٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَتَادَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ : { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ } .

(٤٣) **حَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَنْبَأَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، أَنْبَأَنَا حَمَّادٌ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : { مِنْ أَنْ يَرْجِعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا } .

(التعليق)

قوله { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا } وهنا يتبين الصادق في محبته من المدعي لها : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران : ٣١] محبتنا لله أعظم إلينا من كل محبوب ، لأنَّ الله قد أحسن إلينا بعظيم الإحسان ؛ الذي لانستطيع وصفه وإنَّ من أعظم النعم :

أولاً : أن هدانا الله إلى عقيدة التوحيد ، أن هدانا لشريعة محمدٍ ﷺ فهذه أعظم نعمة ، وهذا أكبر معروفٍ أسداه الله عز وجل إلينا ؛ أرأيتم لو أنَّ واحدٍ منَّا ولد في مجتمعٍ كافرٍ ، ووجد بين ولاةٍ كافرين ؛ كيف يكون حاله ؟!! فنحمد الله أن هدانا للإسلام ، وعلمنا كتابه ، وعرفنا بسنة رسوله ﷺ ، وجعلنا من أمة محمدٍ ﷺ أمة الإجابة ، ونسأله أن يتم علينا هذه النعمة ، نعمته ، وأن يجعل نهايتها الجنة ؛ فهو سبحانه وتعالى أهل العفو والإحسان ، ونسأله أن يوفقنا ، وأن يهدينا إلى ما فيه صلاحنا ، ومنفعتنا ، أمَّا الله فهو

غنيٌّ عنَّا ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] .

ثانياً : ومن النعم نعمة الأمن التي نحن نتقلب فيها ، فانظروا يا إخوة إلى من حولنا من الناس الذين يتخطفون ، ويقتلون ، والخوف مسيطرٌ على كثيرٍ من الناس ، لكن نعمة الأمن عندنا والحمد لله متوفرة .

ثالثاً : نعمة رغد العيش ، فالحاجيات ، والكماليات ، كلها متيسرة ، ونحمد الله على تيسرها ، ونسأله تبارك وتعالى أن يوزعنا شكر نعمته ، وألا يؤاخذنا بما فعله السفهاء منا .

أمَّا محبة الرسول ﷺ فهي المحبة الثانية بعد محبة الله عزَّ وجل ، فمن كان يدعي محبة الرسول ﷺ فليقرأ سنته وسيرته ، وليترسم طريقته ، وليأخذ على نفسه وعلى غيره بمتابعته ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١]

قوله : { وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ } يعني أن تكون محبته خالصةً الله عزَّ وجل ، لاتشوبها دنيا ، ولاتشوبها رغبة ضلالة ، وإنَّما محبته لله ، ومن أجل لله ، لاتحبه لقرابة ، ولاتحبه لمصلحة ، ولاتحبه خوفاً أو رهبةً من مضرةً يخافها ، فإذا أحبَّ لله ، ومن أجل الله ، فذلك علامة الإيمان ، والله سبحانه قد قال في كتابه : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ

خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] كذلك يقول الله عز وجل : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾ وقد سجل الصحابة رضوان الله في هذا الباب أعظم أسوة ، فبعضهم قتل أباه[1]، وبعضهم أسر أخاه [2] من أجل أنَّه

---

[1] أخرج الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم الحديث ٣٦٠ بلفظ : " عن عبد الله بن شوذب ﷺ قَالَ : □ جَعَلَ أَبُو أَبِي عُبَيْدَةَ يَتَصَدَّى لِأَبِي عُبَيْدَةَ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ ﷺ يَحِيدُ عَنْهُ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ ، قَصَدَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ ﷺ فَقَتَلَهُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المجادلة : ٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ □[1] وأخرج نحوه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٥١٥٢ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٧٨٣٥ .

[2] قال ابن الزيلعي رحمه الله في نصب الراية لأحاديث الهداية ج٤٠٣/٣ باب الغنائم وقسمتها : " رَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي "كِتَابِ الْمَغَازِي" حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفِدَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ لِكُلِّ رَجُلٍ، انْتَهَى . حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، سَأَلْت نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ، كَيْفَ كَانَ الْفِدَاءُ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: أَرْفَعُهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ إلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ، إلَى أَلْفَيْنِ، إلَى أَلْفٍ، إلَى قَوْمٍ لَا مَالَ لَهُمْ، مَنَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ الْمُطَّلِبَ بْنَ أَبِي وَدَاعَةَ، أُسِرَ أَبُوهُ أَبُو وَدَاعَةَ يَوْمَئِذٍ، فَفَدَاهُ ابْنُهُ الْمُطَّلِبُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، مُخْتَصَرٌ. حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ: وَأُسِرَ يَوْمَئِذٍ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي وَجْزَةَ، أَسَرَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَدِمَ فِي فِدَائِهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَافْتَدَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، انْتَهَى. وَحَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: وَأُسِرَ يَوْمَئِذٍ أَبُو عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَهُوَ أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ،

كافر ، ومن أجل أنَّهم عصوا الله ورسوله ، وأنَّه ينبغي لكل مؤمنٍ أن يحب في الله ، وأن يبغض في الله عزَّ وجل .

قوله : { وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ } أي لو ألقي في نار الدنيا ، فما هي ألاَّ لحظاتٌ ويموت ، لكن نار الآخرة لايموت الذي يدخل فيها ولايحيا ، ونسأل الله العفو والعافية ، قال النووي رحمه الله : " لايصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقةً ، وحبُّ الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه ، واطمأنت به نفسه ، انشرح له صدره ، وخالطه لحمه ودمه ، وهذا الذي وجد حلاوته " انتهى .

إذن فإنَّ الذي يجب على المؤمن أن يكون هذا الحديث دائماً على خاطره ونصب عينيه ، من أجل أن يتأدب به ويحكِّمه في أقواله وأفعاله ، وما ينفعه ويضره ، وبالله التوفيق .

وَأُمِّهِ، وَقَعَ فِي يَدِ مُحْرِزِ بْنِ فَضْلَةَ، فَقَالَ مُصْعَبٌ لِمُحْرِزٍ: اُشْدُدْ يَدَيْك بِهِ، فَإِنَّ لَهُ أُمًّا بِمَكَّةَ كَثِيرَةَ الْمَالِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَزِيزٍ: هَـــذِهِ وَصَاتُك بِي يَا أَخِي؟ فَقَالَ: إنَّ مُحْرِزًا أَخِي دُونَك، فَبَعَثَتْ أُمُّهُ عَنْهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ " انتهى .

١٦ – بَابُ وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْوَالِدِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ

٦٩ – (٤٤) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ ، وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ – وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ : الرَّجُلُ – حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَمَالِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } .

٧٠ – (٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَتَادَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } .

(التعليق)

أقول : هناك محبتان : محبةٌ دينية ، ومحبةٌ عاطفية ؛ المحبة الدينية هي التي يقدم فيها محبة رسول الله ﷺ على محبة أهله ووالده وولده ، يتبين هذا فيما إذا تعارضت مرادات ؛ مراد رسول الله ﷺ ، ومراد الوالد أو مراد ولده أو مراد زوجته والذي يخالف مراد الرسول الله ﷺ فإن كان مؤمناً حقاً قدَّم مراد الرسول ﷺ ، وإن كان الإيمان فيه ضعف ، فلابدَّ أن يستجيب لمراد والده ؛ أو ولده ؛ أو زوجته ؛ على مراد الله أو مراد الرسول ﷺ .

أمَّا المحبة العاطفية فليست مرادةً هنا في هذا الحديث ، وإنَّما المراد هنا المحبة الدينية ، وبالله التوفيق .

١٧ – بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ

٧١ – (٤٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَتَادَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ – أَوْ قَالَ : لِجَارِهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } .

٧٢ – (٤٥) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ – أَوْ قَالَ : لِأَخِيهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } .

(التعليق)

قوله : { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ } ليس المراد هنا نفي مطلق الإيمان ، ولكن المراد به هنا نفي كماله .

وقوله : { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ – أَوْ قَالَ : لِجَارِهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } وفي الرواية الثانية :{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ – أَوْ قَالَ : لِأَخِيهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } وذلك بأن تحبَّ لأخيك من الخير ما تحبه لنفسك ، وأن تكره لأخيك من الشر ما تكرهه لنفسك ، هذا هو الإيمان الكامل ، وهذه هي صفات المؤمنين الكملَّ في الإيمان ؛ نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وبالله التوفيق .

١٨ – بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ

٧٣ – (٤٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ رضي الله عنه : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ } .

(التعليق)

أقول : سبحان الله العظيم لما ذكر المؤلف رحمه الله حقَّ الجار ، وحقَّ الأخ القريب جاء بهذا الحديث ليدل على نفي كمال الإيمان عمَّن لم يأمن جاره بوائقه ، وما بوائقه ؟ أي مصائبه وأذاه بحيث أنَّ الجار لايأمن جاره على نفسه ، ولا يأمنه على أهله ، ولايأمنه على ماله ؛ فهذا جارٌ لاخير فيه ، ومن كان كذلك فهو مسلم فاسق ، لانقول إنَّ الإيمان منتفٍ عنه بالكلية ، لكنه مؤمنٌ بإيمانه ، فاسقٌ بكبيرته ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة

ومعنى قوله : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ } لها تفسيران :

١– أنّه لايدخل الجنة مع الداخلين الأولين .

٢– أنَّه لايدخل جنة مخصَّصة ، وهي جنة المؤمنين الكمَّل ، وهي جنة السابقين ، وأصحاب اليمين ؛ بل إنَّه يدخل جنة متدنية بسبب جرائمه وبوائقه ، وضعف إيمانه ، وبالله التوفيق .

١٩ - بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ

٧٤ - (٤٧) **حَدَّثَنِي** حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ } .

٧٥ - (٤٧) **حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ } .

٧٦ - (٤٧) **وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي حُصَيْنٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : { فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ } .

٧٧ - (٤٨) **حَدَّثَنَا** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَمْرٍو ، أَنَّهُ سَمِعَ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ يُخْبِرُ ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : { مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ } .

(التعليق)

أقول : قوله : { مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ } القول إما أن يكون في خير أو شرٍّ أو مباح ، فلينظر ما يترتب على هذا المباح ؛ فإن كان يترتب عليه خير ، فهو يقوله ؛ وإن كان الذي يترتب عليه شرٌّ ؛ فينبغي أن يمسك عنه ، ونحن مأمورون بالإمساك عما علمنا أنَّه شرٌّ محض ، وعما تبين لنا أنَّه يؤول إلى شر ، وأمرنا بالإلتزام بما فيه خيرٌ محضٌ ، وما كان من المباحات التي تؤدي إلى خير .

قوله : { وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ } والإكرام للجار يكون بكف الأذى ، وإسداء المعروف ، واحتمال الأذى من جاره ، فإذا فعلت هذه الثلاثة ، فقد أديت المعروف لجارك ؛ وإذا كانت أذية جارك لاتحتمل ، فلك أن تطالبه بالطرق الشرعية المعلومة ، وأن تكون بأدب ، ولين وصبر ، واحتمال ، وهذا الذي ينبغي .

قوله : {وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ } إكرام الضيف ليس معناه لابدَّ أن تذبح له ؛ أو لابدَّ أن تأتي بشيء كبير ؛ بل إكرام الضيف أن تقدم له المستطاع ، ولو أن تتبسط في وجهه ، وهذا هو الإكرام .

علماً بأنَّ الضيافة ليست بواجبة ، وإن كان من أهل العلم من يقول إنَّ الضيافة واجبةٌ على أهل البوادي فقط ؛ أمَّا المدن فلا ؛ لأنَّ الناس يجدون فيها المأوى ، أي الأماكن المعدة لهذا كالفنادق ؛ لكن قد يكون هذا الشخص ليس عنده مال للدخول في هذه الأماكن المعدة للمأوى

أو لعلَّه لايحب هذه الفنادق ، ولهذا قال النبي ﷺ كما في حديث الباب : { مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ ؛ قَالَ : وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ }[1] إذن فكوننا نقول إنَّ أهل المدن لاتجب عليهم الضيافة ؛ هذا ليس له دليلٌ إلا حديث موضوع ذكره النووي بلفظ : { الضيافة على أهل الوبر ، وليست على أهل المدر }[1]، وبالله التوفيق .

٣٠ - بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ

٧٨ - (٤٩) **حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، ح **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كِلَاهُمَا ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ - وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ : أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ ، فَقَالَ : قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ : أَمَّا

---

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٠١٩ و٦١٣٥ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٦١٣٥ من حديث أبي شريح العدوي ﷺ .

[1] أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده برقم ٢٨٤ من رواية ابن عمر رضي الله عنهما .

هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ } .

٧٩ – (٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَعَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، فِي قِصَّةِ مَرْوَانَ ، وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، وَسُفْيَانَ .

٨٠ – (٥٠) حَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَاللَّفْظُ لِعَبْدٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنِ الْحَارِثِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ } قَالَ أَبُو رَافِعٍ : فَحَدَّثْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ؛ فَأَنْكَرَهُ عَلَيَّ ، فَقَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ ؛ فَنَزَلَ بِقَنَاةَ ؛ فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَعُودُهُ ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ؛ فَلَمَّا جَلَسْنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ

عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَحَدَّثَنِيهِ كَمَا حَدَّثْتُهُ ابْنَ عُمَرَ ، قَالَ صَالِحٌ : وَقَدْ تُحُدِّثَ بِنَحْوِ ذَلِكَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ .

(٥٠) **وَحَدَّثَنِيهِ** أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ الْفُضَيْلِ الْخَطْمِيُّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ } مِثْلَ حَدِيثِ صَالِحٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ قُدُومَ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَاجْتِمَاعَ ابْنِ عُمَرَ مَعَهُ .

(التعليق)

أقول : هذه الأبواب التي يسردها المؤلف فيها ردٌّ على المرجئة الذين يقولون إنَّ الأعمال ليست من الإيمان ، وهنا يقول : بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ .

قوله : {**حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ } معروف هذا ؛ وهو صاحب المصنف { حَدَّثَنَا وَكِيعٌ } وهو ابن الجراح { عَنْ سُفْيَانَ } لا أدري هل هو الثوري أو ابن عيينة ؟ ، ثم قال { ح **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ } الذي يقال له غندر { حَدَّثَنَا شُعْبَةُ } وهو ابن الحجاج { كِلَاهُمَا } أي سفيان ، وشعبة { عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ – وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ – قَالَ : أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ

الصَّلَاةِ مَرْوَانُ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ ، فَقَالَ : قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ } .

يؤخذ من قوله : { أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ } أنَّ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجبٌ ، وأنَّ هذا الرجل قد خرج من الإثم .

ثم قال : { سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ،وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ } حيث جعل النبي ﷺ النهي عن المنكر على ثلاثة درجات :

١- إمَّا أن يكون باليد ممن تكون له اليد كالسطان ؛ أمَّا غيره ، فإنَّ اليد لاتكون إلا للوالد مع ولده ، والسيد مع عبده ، والزوج مع زوجته ، وهكذا ، أمَّا من عداهم فإنَّ اليد مرفوعة ، ولكن ينبغي إن لم ينته أن يوصله إلى السلطة إن كان هناك سلطة ؛ أمَّا إذا كان إيصاله إلى السلطة يزيد في عناده ، وكانت السلطة إنصافها ضعيف ؛ فالأولى عدم إيصاله إليها ، وخير له أن يأخذ بطريق الوعظ والإرشاد لعل الله عزَّ وجل أن يقذف في قلبه الخير .

٢- فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، إذا لم يستطع [تغيير المنكر] بيده ؛ فهو يتعين عليه بلسانه ، لكن إذا كان يخاف من نتائج القول ، لأنَّه يترتب عليه شيءٌ أعظم ، فإنَّه ينتقل إلى :

٣- وهو الانكار بالقلب ، والإنكار بالقلب ؛ هو أن تنكر هذا المنكر على فاعله بقلبك ،

ولذلك قال النبي ﷺ في حديث الباب : { فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ } .

قوله : { مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ } ما معنى حواريون ؟ يعني أنصار { وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ } أي من بعد هؤلاء الأصحاب { يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ } والعياذ بالله .

وقوله : { يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ } يعني كثيرٌ قولهم ، قليلٌ فعلهم ، والعياذ بالله { وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ } أي يفعلون أفعالاً ليسوا مأمورين بها .

قوله : { وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ } ولا شك أنَّ هذا يدل على تفاوت الإيمان ، وفيه دليلٌ للرد على المرجئة ، وأنَّ الإيمان يزيد ، وينقص ، ولولا أنَّه يزيد ، وينقص لما حصلت المجاهدة للفساق باليد كرجال الحسبة ، وباللسان كحملة العلم ، ورجال الدين ، فإذا لم يستطع فهو ينتقل إلى ما أضعف الإيمان ، وهو أن إنكار المنكر بقلبه ، لضعف إيمان المنكِر ، وإما لكون المجتمع يسيطر عليه أهل الباطل ، هذا تأويل لهذا الحديث ، وبالله التوفيق .

٣١ - بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ، وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ

٨١ - (٥١) **حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ كُلُّهُمْ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، **ح وَحَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَيْسًا يَرْوِي عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ ، فَقَالَ : { أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ هَهُنَا ، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ ، وَمُضَرَ } .

٨٢ - (٥٢) **حَدَّثَنَا** أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ ، أَنْبَأَنَا حَمَّادٌ ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ } .

٨٣ - (٥٢) **حَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، **ح وَحَدَّثَنِي** عَمْرٌو النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقُ كِلَاهُمَا ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ .

٨٤ - (٥٢) **وَحَدَّثَنِي** عَمْرٌو النَّاقِدُ ، وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا ، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً ، الْفِقْهُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ } .

٨٥ – (٥٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ ، وَالْفَخْرُ ، وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ ، وَالْإِبِلِ الْفَدَّادِينَ ، أَهْلِ الْوَبَرِ ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ } .

٨٦ – (٥٢) وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ ، وَابْنُ حُجْرٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْكُفْرُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ ، وَالْفَخْرُ وَالرِّيَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْوَبَرِ } .

٨٧ – (٥٢) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { الْفَخْرُ ، وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ } .

٨٨ – (٥٢) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ ، وَزَادَ : { الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ } .

٨٩ – (٥٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : { جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَضْعَفُ قُلُوبًا ،

الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ ، أَهْلِ الْوَبَرِ ، قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ } .

٩٠ – (٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ } .

(٥٢) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ . وَلَمْ يَذْكُرْ : رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ .

٩١ – (٥٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، **ح وَحَدَّثَنِي** بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ قَالَا : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، مِثْلَ حَدِيثِ جَرِيرٍ وَزَادَ : { وَالْفَخْرُ ، وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ ، وَالسَّكِينَةُ ، وَالْوَقَارُ فِي أَصْحَابِ الشَّاءِ } .

٩٢ – (٥٣) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ الْمَخْزُومِيُّ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { غِلَظُ الْقُلُوبِ ، وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ } .

(التعليق)

أقول : قوله : { أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ هَهُنَا } ليس معناه حصر الإيمان في أهل اليمن ، والمراد باليمن ما كان جنوب الكعبة ، أو يمين الكعبة ، فهو من أهل

اليمن ، وجاء في الرواية الأخيرة أنَّ أهل اليمن هم أهل الحجاز ، والمراد بهم أهل الجبال ؛ وهذا تفضيلٌ ؛ لجهةٍ على جهة ، وليس حصراً للإيمان في أهل اليمن ، لأنَّ أهل اليمن أكثر إيماناً ، وأرحم قلوباً ، أمَّا أهل المشرق فيغلب على طبيعتهم الكبر ، والرياء ، والنفاق ، وهذا إخبارٌ من المعصوم ﷺ الذي لاينطق عن الهوى ، وكلام الرسول ﷺ وحيٌ ، ومن تأمل الأحاديث وجد هذه الأوصاف ظاهرةً في أهل اليمن ، فتجد عندهم السكينة ، وتغلب عليهم الرحمة ، وتجد أهل المشرق تغلب عليهم القسوة ، وغلظ القلوب .

أمَّا قوله : { وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ } الفدادين هم الذين يرفعون أصواتهم فخراً وخيلاء .

والشاهد من الحديث أنَّ المؤلف رحمه الله يرد به على المرجئة الذين يقولون إنَّ الإيمان واحد ، والتفسيق لا يتعدد ، وأنَّ النبي ﷺ فضل قوماً عن قومٍ بالإيمان والحكمة ، ولا شك أنَّ الكبر ، والبطر ، والخيلاء ، والرياء ؛ أمور تبث في صاحبها الغي ، والاستعلاء بغير حق ، وأنَّ الذين يغلب عليهم الإيمان ، والحكمة ، والتواضع ؛ أقرب إلى الحق ، وإلى الخير ؛ وهذا دليلٌ واضحٌ على تفاوت أهل الإيمان فيه ، فقول المرجئة بأنَّ الإيمان واحدٌ لايتفاضل ، وأنَّ إيمان أفسق الناس كإيمان جبريل ، وهذا افتراء ، وكذب ؛ لاينبغي أن يصدر من عالمٍ [فضلاً عمن دونه] ونسأل الله أن يهدينا ، ويبصرنا بالحق ، ونعوذ به من الضلال والبدع .

قوله : { وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ } السكينة معناها السكون والطمأنينة كما قاله النووي رحمه الله ، ومن حكمة الله عز وجل أنَّه ما من نبيٍّ إلاورعى الغنم ، من أجل أن يتعامل مع هذه الحيوانات الضعيفة ، ثمَّ إذا انتقل من رعاية الحيوانات إلى رعاية البشر تجده يستعمل الصبر ، والرفق ، والرحمة أكثر من غيره ، لأنَّه قد تعود على ذلك بسبب رعاية الغنم ، أمَّا أهل الإبل ، فتجد عندهم القسوة ، وغلظ القلوب ، وقلة الرحمة ، وما أشبه ذلك ؛ لأنَّهم يتعاملون مع حيواناتٍ كبيرة ، ولهذا تجد أهل الإبل معهم عصي كبيرة ، فإذا أراد أحدهم أن يردَّ واحدةً من الإبل ضربها ضرباً قوياً بلا رحمة ، وصاحب الغنم بخلاف ذلك ، وبالله التوفيق .

٣٣ - بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا

٩٣ - (٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ } .

٩٤ – (٥٤) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، أَنْبَأَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا } بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٍ .

(التعليق)

أقول : قوله : { لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا } هذا نفي ، والنفي يقتضي ألا يدخل الجنة إلَّا من كان مؤمناً ، وقد جاء في صحيح مسلم من حديث : { سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالُوا : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ ، قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا : أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو

لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ }[1] وفي رواية للبخاري في صححه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : { شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ : هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ اليَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِلَى النَّارِ ، قَالَ : فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ قِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلًا فَنَادَى بِالنَّاسِ : إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ }[2]

والشاهد منه : { إِنَّه لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ } وأنَّ الذين يخرجون من النار على قدر إيمانهم ، وقد قال الله عز وجل لملائكته كما في حديث : { أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }[3]

---

[1] برقم الحديث ١١٢ .

[2] برقم الحديث ٣٠٦٢ .

[3] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٢ .

وفي رواية : { ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ }[٣] وفي حديث أنس بن مالك ﷺ : { عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ

خَيْرٍ }[١] وفي حديث أنس بن مالك ﷺ : { فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ }[٢]وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : { يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ ،

---

[١] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٤ .

[٢] الحديث أخرجه البخار في صحيحه برقم الحديث ٧٥١٠ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٩٣ .

[٣] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٨٣ من حديث أبي سعيد ﷺ .

فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبّـةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ }[٣] وهذه الأحاديث في الحقيقة تبشر المؤمن بالخير ، ولكن الشأن كلَّ الشأن الثبات على الإيمان حتى يتوفانا الله تعالى عليه ، وقد كان النبي ﷺ يقول : { اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[٣] وفي رواية : { إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ } [١] وهذا معناه أنَّ الإنسان بحاجة إلى أن يثبته الله عزَّ وجل على الإيمان .

وقوله : { لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا } ليس معناه نفي الإيمان لمن يكون عنده ضغينة أو حسد أو ما أشبه ذلك ، وأنَّ الإيمان الحقيقي هو الذي تكون فيه المحبة بين المؤمنين ، وتكون فيه الألفة بينهم ، وما هو السبب الأعظم في المحبة والألفة بين المؤمنين ؟ السبب في ذلك هو إفشاء السلام ، لقوله ﷺ : { أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ } وإفشاء السلام هو أن تسلم على من لقيته تعرفه أو لا تعرفه ، وعلى كل حال إفشاء السلام فيه إشاعة الطمأنينة ، والثقة بين المؤمنين ، ونشر المودة وإعلانها بينهم ، وما أشبه ذلك من المصالح ، وبالله التوفيق .

---

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم الحديث ٦٨٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٨٣٤ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٥٢٢ وصححه الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٠٩١ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[١] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٦٥٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

[٣] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ١٨٣ .

٣٣ - بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ

٩٥ - (٥٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : قُلْتُ لِسُهَيْلٍ : إِنَّ عَمْرًا حَدَّثَنَا عَنِ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِيكَ ، قَالَ : وَرَجَوْتُ أَنْ يُسْقِطَ عَنِّي رَجُلًا ، قَالَ : فَقَالَ : سَمِعْتُهُ مِنَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْهُ أَبِي كَانَ صَدِيقًا لَهُ بِالشَّامِ ، ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : { الدِّينُ النَّصِيحَةُ } قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : { لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ } .

٩٦ - (٥٥) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ .

وَحَدَّثَنِي أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ ، سَمِعَهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَبَا صَالِحٍ ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ .

٩٧ - (٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ قَيْسٍ ، عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه ، قَالَ : { بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ } .

٩٨ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَابْنُ نُمَيْرٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ ، سَمِعَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه يَقُولُ : { بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ } .

٩٩ – حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ سَيَّارٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ : { بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ – فَلَقَّنَنِي – فِيمَا اسْتَطَعْتُ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ } قَالَ يَعْقُوبُ فِي رِوَايَتِهِ : قَالَ : حَدَّثَنَا سَيَّارٌ .

(التعليق)

أقول : قول النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : { الدِّينُ النَّصِيحَةُ } قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : { لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ } .

يؤخذ منه أنَّ الدين قام على النصيحة .

وفيه بيانٌ لأهمية النصيحة ، وأنَّ أفضل الدين هو النصيحة ، ولذلك جعل النبي ﷺ الدين محصوراً فيها قال النووي رحمه الله : " وَأَمَّا شَرْحُ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ ؛ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ . قَالَ : وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ ، وَمُخْتَصَرِ الْكَلَامِ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ : لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ . قَالَ : وَقِيلَ النَّصِيحَةُ : مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ ؛ إِذَا خَاطَهُ ، فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ ؛ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ ؛ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ . قَالَ : وَقِيلَ إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحْتَ الْعَسَلَ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ ؛ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ ؛ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ . قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : عماد الدين ، وقوامه النصيحة ؛ كَقَوْلِهِ : الْحَجُّ عَرَفَةُ ؛ أَيْ عِمَادُهُ ، وَمُعْظَمُهُ عَرَفَةُ .

وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ ، وَأَنْوَاعُهَا ، فَقَدْ ذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِيهَا كَلَامًا نَفِيسًا ؛ أَنَا أَضُمُّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ مُخْتَصَرًا .

قَالُوا : أَمَّا النَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ فَمَعْنَاهَا مُنْصَرِفٌ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، وَنَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْهُ ، وَتَرْكِ الْإِلْحَادِ فِي صِفَاتِهِ ، وَوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ كُلِّهَا ، وَتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَالْحُبِّ فيه ، والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة مَنْ عَصَاهُ ، وَجِهَادِ مَنْ كَفَرَ بِهِ ، وَالِاعْتِرَافِ بِنِعْمَتِهِ ، وَشُكْرِهِ عَلَيْهَا ، وَالْإِخْلَاصِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَالدُّعَاءِ إِلَى جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا ، وَالتَّلَطُّفِ فِي جَمِيعِ النَّاسِ ؛ أَوْ مَنْ أَمْكَنَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا . قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ : وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ ، فَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ نُصْحِ النَّاصِحِ .

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى : فالإيمان بأنه كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَنْزِيلُهُ ؛ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ، ثُمَّ تَعْظِيمُهُ ، وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَتَحْسِينُهَا ، وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا ، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ ، وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ ، وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ ، وَالتَّصْدِيقُ بِمَا فِيهِ ، وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ ، وَتَفَهُّمُ عُلُومِهِ ، وَأَمْثَالِهِ ، وَالِاعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ ، وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ ، وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ ، وَالْبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ ، وَنَشْرُ عُلُومِهِ ، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ ، والى ما ذكرناه مِنْ نَصِيحَتِهِ .

وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَتَصْدِيقُهُ عَلَى الرِّسَالَةِ ، وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ، وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة عن عَادَاهُ ، وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ ، وَإِعْظَامُ حَقِّهِ ، وَتَوْقِيرُهُ ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَبَثُّ دَعْوَتِهِ ، وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ ، وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا ، وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا ، وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا ، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا ، وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا ، وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا ، وَالتَّأَدُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا ، وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الكلام فيها بغير علم ، واجلال أهلها لانتسابهم إِلَيْهَا ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ ، وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَمُجَانَبَةُ مَنِ ابْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ ؛ أوتعرض لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ : فَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ ، وأمرهم به ، وتنبيهم ، وَتَذْكِيرُهُمْ بِرِفْقٍ ، وَلُطْفٍ ، وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ ، وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ ، وَتَأَلُّفُ قُلُوبِ النَّاسِ لِطَاعَتِهِمْ .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمِنَ النَّصِيحَةِ لَهُمُ ؛ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ ، وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ ، وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ ، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ ؛ أَوْ سُوءُ عِشْرَةٍ ، وَأَنْ لَا يُغَرُّوا بِالثَّنَاءِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ ، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ؛ الْخُلَفَاءُ ، وَغَيْرُهُمْ ممن يقوم بأمور المسلمين ؛ مِنْ أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ ، وَحَكَاهُ أَيْضًا الْخَطَّابِيُّ .

ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ يُتَأَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاءُ الدِّينِ ، وَأَنَّ مِنْ نَصِيحَتِهِمْ قَبُولُ مَا رَوَوْهُ ، وَتَقْلِيدُهُمْ فِي الْأَحْكَامِ ، وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ .

وَأَمَّا نَصِيحَةُ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ : وَهُمْ مَنْ عَدَا وُلَاةِ الْأَمْرِ ، فَإِرْشَادُهُمْ لِمَصَالِحِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ ، وَدُنْيَاهُمْ ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ ، فَيُعَلِّمُهُمْ مَا يَجْهَلُونَهُ مِنْ دِينِهِمْ ، وَيُعِينُهُمْ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ ، وَالْفِعْلِ ، وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَسَدُّ خَلَّاتِهِمْ وَدَفْعُ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ ، وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ لَهُمْ ، وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِرِفْقٍ ، وَإِخْلَاصٍ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ ، وَرَحْمَةُ صَغِيرِهِمْ ، وَتَخَوُّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَتَرْكُ غِشِّهِمْ ، وَحَسَدِهِمْ ، وَأَنْ يُحِبَّ لهم ما يحب لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَالذَّبُّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَعْرَاضِهِمْ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ بِالْقَوْلِ ، وَالْفِعْلِ ، وَحَثُّهُمْ عَلَى التَّخَلُّقِ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْوَاعِ النصيحة ، وتنشيط هممهم إِلَى الطَّاعَاتِ ؛ وَقَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَنْ تَبْلُغُ بِهِ النَّصِيحَةُ إِلَى الْإِضْرَارِ بِدُنْيَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى .

الحقيقة هذا الكلام عجيبٌ جداً في تفسير هذا الحديث ؛ وهذا الكلام يستحق أن يكتب بماء الذهب .

ولاشكَّ أنَّ من تفرغ من أعمال الدنيا ، وتفرغ للدعوة إلى الله عزَّ وجل، وتعليم الناس ، وما أشبه ذلك ؛ فإنَّ هذا من أفضل النصيحة ، وعلى كلٍّ نسأل الله جميعاً أن يوفقنا للنصيحة لأنفسنا قبل كلِّ شيء ، وأن نخلص عملنا لله رب العالمين ، وبالله التوفيق .

٣٤ - باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله

١٠٠ - (٥٧) **حَدَّثَنِي** حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ ، يَقُولَانِ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ } قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُحَدِّثُهُمْ هَؤُلَاءِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ثُمَّ يَقُولُ وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُلْحِقُ مَعَهُنَّ : { وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ } .

١٠١ - **وَحَدَّثَنِي** عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا يَزْنِي الزَّانِي } وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ يَذْكُرُ ، مَعَ ذِكْرِ النُّهْبَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَاتَ شَرَفٍ ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ هَذَا إِلَّا النُّهْبَةَ .

١٠٢ – وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ ، وَأَبِي سَلَمَةَ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ عُقَيْلٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وَذَكَرَ النُّهْبَةَ وَلَمْ يَقُلْ ذَاتَ شَرَفٍ .

١٠٣ – وَحَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَى مَيْمُونَةَ ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، **ح وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، كُلُّ هَؤُلَاءِ بِمِثْلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ، غَيْرَ أَنَّ الْعَلَاءَ ، وَصَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ ، لَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا : { يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ } ،

وَفِي حَدِيثِ هَمَّامٍ: { يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنَهُمْ فِيهَا وَهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ } وَزَادَ : { وَلَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغُلُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ } .

١٠٤ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَنْ ذَكْوَانَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : { لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ } .

١٠٥ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ ذَكْوَانَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ رَفَعَهُ قَالَ : { لَا يَزْنِي الزَّانِي } ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ .

(التعليق)

أقول : هذه الأحاديث التي أوردها المؤلف رحمه الله جاءت عن أَبُي هُرَيْرَةَ ﷺ من طرق متعددة : { أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ } هل المراد بنفي الإيمان نفي الإيمان عنه بالكلية ؟ الجواب : لا ؛ إنَّما النفي بتوجه على كمال الإيمان ؛ يعني أنَّ إيمانه ضعف ، وكاد يتلاشى حينما تسلط عليه الشيطان ، ففعل هذه الأمور مقدماً شهوته ، ورغبته ، وانساق مع الشيطان ؛ تاركاً ما أمر به ، فهذا يجعل الحكم على إيمانه منعدماً ، ولكن عندما نعرف أنَّ الإيمان مرتبةٌ أعلى ، وأكمل من الإسلام ، فإذا بقي الإيمان من الشخص بقي إسلامه ،

والله تعالى يقول عن الأعراب : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] .

إذن الإيمان هو التصديق الذي يحمل صاحبه على فعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، راجياً وعد الله ؛ خائفاً من عقابه ، فإن ضعف الإيمان عن هذه المرتبة ، وتحكم الشيطان بواسطة الشهوة أو الهوى أو الطمع ؛ حتى قاد العبد إلى المعصية ، وأوقعه فيها ، فلا شكَّ أنَ إيمانه ضعف حتى كاد يمَّحي ، وبقي معه الإسلام ،

فالاسلام لايخرج منه إلَّا إلى الكفر ، والإحسان دائرةٌ أعلى من الإيمان ، والإيمان مرتبةٌ دون الإحسان ، والإسلام مرتبةٌ دون الإيمان ، وإذا خرج من الاحسان بقي في دائرة الإيمان ، ومن خرج من دائرة الإيمان بقي في دائرة الإسلام حتى يحكم عليه بالكفر ، ويخرج من الإسلام بالكلية .، وعندئذٍ فإنَّه يعتبر قد كفر .

فمن أشرك بالله شركاً أكبر ، أو أنكر ركناً من أركان الإيمان أو ترك الصلاة عامداً متعمداً أو حرم حلالاً مجمعاً عليه ، أو أحلَّ حراماً مجمعاً عليه ، فإنَّه يعتبر قد كفر بهذا .

قوله : { وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ } النهبة هو أخذ مال الآخرين بالقوة .

قوله : { وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ } أي للعبد أن يتوب إلى الله ، ولايمنع أحداً من ذلك ، ولو عمل ما عمل من المعاصي ، لأنَّ ربنا حليم رحيم ﴿ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] فإذا جاء العبد نادماً ؛ منطرحاً بين يديه ، فإنَّه لايردُّه مهما كان الأمر ، وبالله التوفيق .

٣٥ - بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ

١٠٦ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ

خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ } غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ : { وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ } .

١٠٧ – (٥٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى ، قَالَا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ } .

١٠٨ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ مَوْلَى الْحُرَقَةِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ } .

١٠٩ – حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ أَبُو زُكَيْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْعَلَاءَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ﷺ يُحَدِّثُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَقَالَ : { آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ } .

١١٠ – وَحَدَّثَنِي أَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ ، وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ ، ذَكَرَ فِيهِ : { وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ } .

(التعليق)

أورد فيه حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ } وفي رواية : { وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ } هذه الصفات من اتصف بها كان متصفاً بصفات المنافقين ، ذلك لأنَّ النفاق إظهار شيءٍ ، وإبطان شيءٍ آخر أي بخلافه .

قوله : { إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ } أي أنَّ السامع يعتبر حديثه صدقاً ، ولكنَّه في الحقيقة كذب ، فهو يظهر لك صدقه ، وفي نفس الوقت هو كاذبٌ .

قوله : { وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ } أي يظهر لك الوفاء [بالعهد] ، وهو نفس الوقت غادرٌ وخائن [له] وقال النووي : " قوله : { وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ } هو داخلٌ في قوله : { وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ } .

قوله : { وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ } أي يظهر لك بأنَّه سيفي بوعده ، ولكنَّه في نفس الوقت ، وهو بنيته الإخلاف .

قوله : { وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ } أي يظهر بأنَّ خصامه كان على حق ، وهو على باطل ؛ بحيث يدعي ما ليس له ، وينكر الحقَّ الذي عليه ، ويحلف فجوراً ، ويُشْهِد زوراً .

فمن اتصف بهذه الصفات ، فإنَّه يعتبر منافقاً ، وليس المقصود هنا النفاق الذي يخرج من الإسلام ، ولكن المراد به النفاق العملي ، لأنَّ النفاق ينقسم إلى قسمين : ١) نفاق اعتقادي ٢) نفاقٌ عملي .

النفاق الاعتقادي أن يقول بأنَّه مسلمٌ ، وهو في نفس الوقت كافر ، يظهر التصديق بالدِّين ، وهو في نفس الوقت مكذِّبٌ به ، والعياذ بالله ، فهؤلاء هم المنافقون الذين كانوا على عهد النبي ﷺ ويقع النفاق في سائر الأزمنة كثير ، لأنَّ صفات المنافقين تنطبق عليهم ، فهم يفرحون باستعلاء أهل الباطل ، ويكتئبون من استعلاء أهل الحق ، ويحبون أن يظهر الباطل على الحق ، ويكرهون أن يظهر الحق على الباطل ، والعياذ بالله ، فهذه صفاتهم .

وهناك صفاتٌ أخرى للمنافقين ؛ منها التكاسل عن الصلاة ، وعدم المبالاة بها ، ومن صفاتهم أنَّهم يصفون أهل الحق ، وحملة العلم ، ودعاة الدين والمتدينين ؛ بصفاتٍ قبيحة ، ويسخرون منهم ؛ هذه بعض صفات أهل النفاق الاعتقادي ، وبالله التوفيق .

٣٦ - بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ

١١١ - (٦٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : { إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا } .

وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ ، وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ } .

(التعليق)

قول النبي ﷺ : { إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا } معنى { بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا } أي استحقها ، فإن كان المكفَّر مستحقاً للكفر وقع عليه ، وإن لم يكن مستحقاً للكفر ، فإنَّ هذه الكلمة تعود لقائلها بدليل قوله ﷺ : { أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ } وللحديث الآخر : { وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ } .

وهذا فيه ترهيبٌ من التكفير ، إذ إنَّ تكفير المسلمين لايجوز إلاَّ بأمرٍ واضح ، وبشيءٍ يعتبر من المكفِّرات كالشرك الأكبر يعتبر مكفِّراً لمن وقع فيه ، فمن أشرك مخلوقاً من دون الله ، واعتقد فيه النفع والضر ، واعتقد أنَّ له سطاناً غيبياً يطلع فيه على المغيبات ، فإنَّ هذا يعتبر كفراً ، وقد بيَّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [في رسالته] نواقض الاسلام العشرة ؛ التي تهدم الإسلام ، وتوجب الكفر والعياذ بالله [فليرجع إليها] .

ومن لم يكن كذلك ، لايجوز أن يكفَّر بذنبٍ ، حتى ولو كرَّره عدَّة مراتٍ ، وقد جاء في حديث : { أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ؛ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ : مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ }[1]وفي رواية : { عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : اللَّهُمَّ العَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[2]وقد جاء في الحديث : { سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ }[3] فقتال المسلم عند أهل السنة والجماعة من كفرٍ دون كفر كما سيأتي [1]، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ٩ - ١٠] فسمَّى الله المتقاتلين إخوة ، وإن كان في الحديث

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٧٨١ .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٧٨٠ .

[3] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٨ و٦٠٤٤ و٧٠٧٦ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٦٤من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .

[1] في الباب الذي بعده .

كما سيأتي : { لَا تَرْجِعُوا بَعْـدِي كُفَّـارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ }[٣] وحديث : { سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ } فكلٌّ هذا متأوَّل بأنَّ المراد به كفرٌ دون كفر ، وبالله التوفيق .

٣٧ - بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ

١١٢ - (٦١) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ } .

١١٣ - (٦٢) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرٌو ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ } .

---

[٣] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٢١ و ١٧٣٩ و ٤٤٠٥ و ٦١٦٦ و ٦٨٦٨ و ٧٠٧٧ و ٧٠٨٠ و ٧٤٤٧ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٦٥ و ١٦٧٩ من حديث أبي بكرة وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم

١١٤ – (٦٣) حَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، قَالَ : لَمَّا ادُّعِيَ زِيَادٌ لَقِيتُ أَبَا بَكْرَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ ؟ إِنِّي سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ يَقُولُ : سَمِعَ أُذُنَايَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : { مَنِ ادَّعَى أَبًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ أَبِيهِ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ } فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

١١٥ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، عَنْ سَعْدٍ ، وَأَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كِلَاهُمَا ، يَقُولُ : سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ : { مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ } .

(التعليق)

قوله في حديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ : { أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ } ما معنى كفر ؟ هل معناه أنَّه خرج من الإسلام بالكلية ؟ الجواب : لا . فلو أنَّ إنساناً انتسب إلى غير أبيه ، وتولَّى غير مواليه هل نقول أنَّه كفر ، وخرج من الإسلام بالكلية ؟ الجواب : لا ، ولكن من كفرٍ دون كفر . ومعـــنى ذلك أنَّه كفر بنعمة الأبوة التي أعطاه إياها .

وكذلك قوله : { وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا } أي ليس منَّا في هذه الخصلة .

قوله : { وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } أي فليتخذ مكاناً له في النار ، وليس معناه أنَّه يبقى في النار مخلداً تخليد الكفار .

قوله : { وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ } أي رجع على القائل به ، والعياذ بالله ، ومن هنا يجب أن نتحاشا عن تكفير المسلمين إلاَّ بأمرٍ واضح .

قوله : { لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ } رغب عن الشيء بمعنى تركه ، وزهد فيه ، ورغب في الشيء بمعنى أحبَّه ، ومال إليه ، ومعنى هذا أنَّه من ادعى إلى غير أبيه ، فقد رغب عنه ؛ كما حصل بزياد بن عبيد الثقفي ؛ وعبيد هو مولى الحارث بن كَلَدة ، كذلك أمُّه سمية مولاة الحارث بن كلَدَة ؛ والحارث بن كلَدَة معروفٌ بالطب في زمن الجاهلية .

والمهم أنَّ زياد بن عبيد كان في غزوةٍ من الغزوات ، وكانت تغلب عليه الفصاحة ، واللباقة ، والحنكة ؛ وعندما انتصروا في موقعةٍ من المواقع التي في بلاد فارس وهي موقعة نهاوند أو غيرها ، وكان ذلك في زمن عمر بن الخطاب ﷺ وأنَّ الأمير أرسله ليبشر بالفتح ، فأمره الخليفة [عمر بن الخطاب] أن يرقى المنبر ، ويحدث المسلمين بالفتح كما حدَّثه ، فحدثهم زياد بذلك ، وكان في كلامه بلاغة وفصاحة ، وكان تحت المنبر أبو سفيان بن حرب وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ادعاه أنَّه أخٌ له ، وكان هذا من الأمور التي أُخذت على معاوية ﷺ أمَّا زياد ، فهو ليس بصحابي .

والمهم أنَّ أبا بكرة أخوه صحابي ، وأنَّه نزل إلى النبي ﷺ في بكرةٍ من حصن الطائف عندما كان النبي ﷺ محاصراً للحصن ، وبعد ذلك صار صحابياً ، وأنَّ هذا الرجل أخو زياد من أمِّه وأبيه ، ولهذا جاء في حديث الباب قال : { أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، قَالَ : لَمَّا ادُّعِيَ زِيَادٌ لَقِيتُ أَبَا بَكْرَةَ ، فَقُلْتُ

لَهُ : مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ ؟ إِنِّي سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ يَقُولُ : سَمِعَ أُذُنَايَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : { مَنِ ادَّعَى أَبًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ أَبِيهِ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ } فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

ويؤخذ من قوله ﷺ : { فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ } أنَّ هذا من كفرٍ دون كفر ، ولو كان كفراً مخرجاً من الملة لصاح بقية الصحابة في ذلك الوقت على معاوية في هذا الأمر ، وفيه ردٌّ على الخوارج الذين يزعمون أنَّ الكبيرة تكفِّر صاحبها ، وتدخل صاحبها النار ؛ وفيه ردٌّ على المعتزلة الذين يقولون أنَّ فاعل الكبيرة لا كافرٌ ولا مسلم ، وأنَّه في منزلةٍ بين المنزلتين ، وهو مخلدٌ في النار ، فوافقوا الخوارج على أنَّ صاحب الكبيرة مخلَّدٌ في النار ، ولم يوافقوهم في الحكم الدنيوي بمعنى أنَّهم لم يصرحوا بكفر صاحب الكبيرة ، فلم يخرجوه من الإسلام ، ولا أدخلوه فيه . فيتبين من هنا على أنَّ المراد بالكفر هنا من كفرٍ دون كفر ، وبالله الوفيق .

٣٨ - بَابُ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ

١١٦ - (٦٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ ، وَعَوْنُ بْنُ سَلَّامٍ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ ، ح **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ،

حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، كُلُّهُمْ عَنْ زُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ } قَالَ زُبَيْدٌ : فَقُلْتُ لِأَبِي وَائِلٍ : أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ يَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ قَوْلُ زُبَيْدٍ لِأَبِي وَائِلٍ .

١١٧ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ الْمُثَنَّى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ .

(التعليق)

أقول : قوله ﷺ : { سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ } هذا الحديث قد تقدَّم [1] وما معنى كفرٌ ؟ أي كفرٌ بأخوة الإسلام ؛ يقول النووي رحمه الله : " السَّبُّ فِي اللُّغَةِ الشَّتْمُ ، وَالتَّكَلُّمُ فِي عِرْضِ الْإِنْسَانِ بِمَا يَعِيبُهُ ، وَالْفِسْقُ فِي اللُّغَةِ الْخُرُوجُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الشَّرْعِ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ .

وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ : فَسَبُّ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ وَفَاعِلُهُ فَاسِقٌ ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَّا قِتَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَا يَكْفُرُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ كُفْرًا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الْمِلَّةِ ؛ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ؛ إِلَّا إِذَا اسْتَحَلَّهُ .

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا ، فَقِيلَ فِي تَأْوِيلِ الْحَدِيثِ أَقْوَالٌ : –

---

[1] انظر شرحه في الباب رقم ٢٦ – بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ

أَحَدُهَا : أَنَّهُ فِي الْمُسْتَحِلِّ . وَالثَّانِي : أَنَّ المراد كفر الاحسانِ والنِّعمةِ ، وأخوة الاسلام ؛ لاكفر الجحود . والثالث : أنه يؤول إِلَى الْكُفْرِ بِشُؤْمِهِ . وَالرَّابِعُ : أَنَّهُ كَفِعْلِ الْكُفَّارِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى .

إذن القول الأقوى أنَّ المراد بالكفر هنا ؛ الكفر بأخوة الإسلام عند قتاله ، أمَّا المستحِلُّ لدماء المسلمين ؛ فلا شكَّ أنَّه كافرٌ ، وبالله التوفيق .

٣٩ - بَابُ بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ﴾

١١٨ - (٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، جَمِيعًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، ح **وَحَدَّثَنَا** عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ ، وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ ، سَمِعَ أَبَا زُرْعَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ جَدِّهِ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : { اسْتَنْصِتِ النَّاسَ } ثُمَّ قَالَ : { لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ } .

١١٩ - (٦٦) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ .

١٢٠ - وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ ، يُحَدِّثُ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ

الْوَدَاعِ : { وَيْحَكُمْ - أَوْ قَالَ : وَيْلَكُمْ - لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ } .

حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَنَّ أَبَاهُ ، حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، عَنْ وَاقِدٍ .

(التعليق)

قوله : { لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ } الكفر هنا متأول بأنَّه كفرٌ دون كفر ، ويقصد به الرد على الخوارج والمعتزلة في زعمهم أنَّ الكبيرة تخرج من الإسلام ، وتوجب الخلود في النار ، وبالله التوفيق .

٣٠ - بَابُ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ عَلَى الْمَيِّتِ

١٢١ - (٦٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، ح **وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ - اللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا أَبِي ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ } .

(التعليق)

كذلك أيضاً الطعن في النَّسب ، والنياحة على الميت [من كفرٍ دون كفر] وهي من الأمور التي لاتجوز ، قال النووي رحمه الله : " وفي هذا الحديث تغليظ

تحريم الطعن في النَّسب ، والنياحة . وقد جاء في كلِّ واحدٍ منهما نصوصٌ معروفة ، والله أعلم " وبالله التوفيق .

٣١ - بَابُ تَسْمِيَةِ الْعَبْدِ الْآبِقِ كَافِرًا

١٢٢ - (٦٨) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ عُلَيَّةَ ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَرِيرٍ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : { أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ } قَالَ مَنْصُورٌ : { قَدْ وَاللهِ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُرْوَى عَنِّي هَاهُنَا بِالْبَصْرَةِ } .

١٢٣ - (٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ } .

١٢٤ - (٧٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : كَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ } .

(التعليق)

معنى قوله : { أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ } أبق : أي هرب من مواليه ، وهذا الوعيد إنَّما يكون على من أبق بدون موجبٍ للإباق ، أمَّا لو ظلم هذا العبد ، واستبيح منه ما حرَّم الله ؛ فأبق من أجل هذا ، فقد يكون له بعض العذر ، والمراد بالعبد هنا هو المملوك الرقيق رقَّاً شرعياً . وما الرِّق الشرعي ؟ هو أن يتقاتل

المسلمون ، والكفَّار ، فيسبي المسلمون الكفار ، ويستولون على أناسٍ منهم ، فهذا يعتبر رقَّاً شرعياً . وفي هذه الأزمنة الأخيرة الرق الشرعي يكاد يكون منعدماً ، وذلك لأنَّ بعض الناس من أصحاب الأطماع يذهبون إلى سواحل إفريقيا فإذا وجدوا أطفالاً أو أناساً قريبين من البحر أخذوهم ، وباعوهم ، فكلُّ هذا رقٌّ لايجوز ، وقد يكون هؤلاء الأرقاء مسلمين ، وأصلح من هؤلاء الذين يتاجرون بهم .

والمهم أنَّ العبد إذا كان رقيقاً رقَّاً شرعياً ، وفرَّ بدون عذرٍ ، فإنَّه يكون قد أتى بكبيرةٍ ، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك ، وقال النبي ﷺ : { أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ } [وهذا من كفرٍ دون كفر] ، وقال ﷺ : { أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ } قال النووي : " وهي الحرمة ، ويجوز أن يكون من قبيل ما جاء في قوله { ذمة الله وذمة رسوله } أي ضمانه ، وأمانه ، ورعايته ، وقال ﷺ : { إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ } وكلُّ هذا من أجل التنفير عن المعصية ، والبعد عنها ، فهل معنى قوله : { لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ } بمعنى أنَّه يجب عليه إعادتها ؟ الجواب : لا ، ولكن المراد بعدم قبولها عند الله ، لأنَّه أتى بكبيرة من الكبائر ، فهي صحيحة معتبرة ، ولايجب عليه قضاؤها ، وبالله التوفيق .

٣٢ - بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ

١٢٥ - (٧١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : { هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ } قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ } .

١٢٦ - (٧٢) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، وَعَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْعَامِرِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ ، قَالَ الْمُرَادِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، عَنْ يُونُسَ ، وَقَالَ الْآخَرَانِ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالَ : مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ . يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ } .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، ح **وَحَدَّثَنِي** عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ

رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ : الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا } وَفِي حَدِيثِ الْمُرَادِيِّ : { بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا } .

١٢٧ – (٧٣) وَحَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : النَّبِيُّ ﷺ : { أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ، قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا } قَالَ : فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [الواقعة : ٧٥] ، حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

(التعليق)

قوله : { فِي إِثْرِ السَّمَاءِ } أي المطر ، لأنَّ المطر يطلق عليه اسم السماء .

قوله : { قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ } هذا يطلق في عهد النبي ﷺ وفي حياته ، أمَّا بعد موته فإن كان الأمر أمراً دينيَّاً شرعياً ، فيجوز أن نقول : { اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ } أعلم ، أمَّا إذا كان أمراً دنيوياً فلا يجوز أن نقول : { اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ } بل نقول : { اللهُ أَعْلَمُ } لأنَّ الرسول ﷺ لا يعرف الغيب ولكن الأمور الشرعية يعرفها ، وعليه نزلت ؛ ولنعلم أنَّ الرسول ﷺ حيَّاً حياةً برزخية ؛ ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال : { ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمَا

أُمِرْتَ ؟ قَالَ : أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ ...}[1] الحديث ، فهذا يدل على أنَّ الأنبياء أحياء [حياةً برزخية] ويعرفون تفاصيل الشرائع التي نزلت عليهم ، إذن فلا مانع أن نقول إذا كان أمراً شرعياً { اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ } أمَّا في الأمور الدنيوية ، فلا يجوز أن نقول : { اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ } بل نقول : { اللهُ أَعْلَمُ } لأنَّ الرسول ﷺ لايعلم الغيب .

وقوله : { أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ } أي أصبح من العباد فريقان فريقٌ مؤمن بالله ، وكافرٌ بالكوكب . وفريقٌ كافرٌ بالله ، مؤمنٌ بالكوكب .

وقوله : {وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ } أي لايجوز إطلاق الكفر المخرج من الملة على من قال هذا الكلام ؛ إلا في حالة أن يعتقد أنَّ الكوكب هو الذي يأتي بالمطر ، وأنَّه هو الذي يتصرف ، أمَّا إذا اعتقد أنَّ الله هو الذي ينزل المطر ، وقال : { مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ } من باب التقليد لبعض الناس ، أو من باب التساهل في التعبير ؛ أو ما أشبه ذلك ، فهذا لايعتبر كفراً مخرجاً من الملة ، ولكن يكره أن يقول الإنسان مثل هذا ، وهذا يسمَّى شرك الإسناد ، يعني أن تسند النعم إلى غير موجدها ، ومعطيها الحقيقي ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث برقم الحديث ٣٨٨٧ من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وهو من الشرك الأصغر ؛ فقد تسمع بعض الناس يقول : لولا الكلب لأتانا اللصوص ، لولا كذا لحصل كذا ، وكقوله هنا : { مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا } فهذا الكلام لايجوز ؛ لأنَّ المسلمين يعتقدون أنَّ الله عزَّ وجل هو الذي يأتي بالمطر ، وأنَّ الكوكب ليس له تأثيرٌ في هذا ؛ أمَّا إن اعتقد بأنَّ الكوكب هو الذي يأتي بالمطر ، وهو الذي يتصرف فيه ، فهذا لاشكَّ في كفْره ، وهو مخرجٌ من الملة ، وبالله التوفيق .

٣٣ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ ، وَبُغْضِهِمْ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ

١٢٨ - (٧٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ } .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { حُبُّ الْأَنْصَارِ آيَةُ الْإِيمَانِ ، وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ } .

١٢٩ - (٧٥) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ ، ح **وَحَدَّثَنَا** عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي

الْأَنْصَارِ : { لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ } قَالَ شُعْبَةُ : قُلْتُ لِعَدِيٍّ : سَمِعْتَهُ مِنَ الْبَرَاءِ ؟ ، قَالَ : إِيَّايَ حَدَّثَ .

١٣٠ – (٧٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } .

(٧٧) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } .

١٣١ – (٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ زِرٍّ ، قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ : { أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ } .

(التعليق)

قوله ﷺ : { آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ } المراد بالآية العلامة ، فالأنصار الذين أثنى الله عليهم في كتابه ، ومدحهم ، وأثنى عليهم النبي ﷺ في سنته ؛ وقد جاء في الحديث : { عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ ، قَالَ : لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا ، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ، فَخَطَبَهُمْ ؛ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي ؛ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ، قَالَ : مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ، قَالَ : لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ : جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا ، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا ، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ }[1] فالمهم أنَّ الله أثنى عليهم ، والرسول ﷺ أثنى عليهم ، فمن أبغضهم بعد هذا الثناء الذي يتلى في كتاب الله ، وفي سنة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة ؛ فلاشكَّ أنَّه منافق نفاقاً اعتقادياً ، وبغضه لهم ؛ يدلُّ على أنَّ في قلبه ضغينة على الدين ، وأهل الدين ؛ والعياذ بالله ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى نصر بهم الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٣٣٠ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٠٦١ .

وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

وقول عَلِيٌّ ﷺ : { وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ : { أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ } فما هو هذا الحبُّ لعلي ﷺ ؟ هل هو حبُّ الشيعة ؛ الذين يرفعونه فوق منزلته ويبغضون من أجله الصحابة رضي الله عنهم – الذين يحترمهم علي ﷺ ويكرمهم ؛ كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وسائر العشرة ، والصحابة جميعاً – ما عدا نفراً لا يتجاوزن الخمسة أو الستة ، فهذا ليس حبَّاً حقيقياً ؛ بل هذا يعتبر انحرافاً ، وخدلاناً ، ونسأل الله العفو والعافية .

وأمَّا الحب الشرعي ؛ فهو في الله عزَّ وجل ، ونشهد الله عزَّ وجل ، وملائكته ، والمؤمنين من خلقه بأنَّا نحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً بدأً بأبي بكرٍ ، وانتهاءً بآخر صحابيٍّ ، ونحبُّ المؤمنين أيضاً ؛ ولانكفِّر أحداً بذنبٍ ، فنشهد الله على هذه العقيدة ، ونسأل الله أن يثبتنا عليها ، وأن يتوفَّانا عليها ، وبالله التوفيق .

٣٤ – بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ ، وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللهِ ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ

١٣٢ – (٧٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ الْمِصْرِيُّ ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ } فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ : وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ ؟ قَالَ : { تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ } قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ؟ قَالَ : { أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ : فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي ، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ } وَ**حَدَّثَنِيهِ** أَبُو الطَّاهِرِ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

(٨٠) **وَحَدَّثَنِي** الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . **ح وَحَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ ، وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

(التعليق)

قوله ﷺ : { يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ } المعشر يطلق على كل قومٍ يجمعهم وصفٌ واحد ، فالرجال يقال لهم معشر ، والشباب يقال لهم معشر ، والكهول يقال لهم معشر ، والنساء يقال لهم معشر ، وهكذا .

قوله : { تَصَدَّقْنَ } أي أكثرن من الصدقة .

قوله ﷺ : { فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ } الجزلة هي المرأة العاقلة اللبيبة الفصحية ، التي لها رأيٌ ، وحزمٌ ، وعقلٌ .

قوله ﷺ : { فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ } هذا يدل على أنَّ المعاصي الكبائر تدخل صاحبها النار .

قوله : { تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ } اللعن ، هو الدعاء بالبعد من رحمة الله عزَّ وجل ، والعياذ بالله ، واللعن لايجوز ، وقد قال النبي ﷺ : { لَعْنُ المؤْمِنِ كَقَتْلِهِ }[1] .

قوله : { وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ } ما المراد بالعشير ؟ إنَّه الزوج الذي يعاشرها في المنزل ، والمعاشرة هي المساكنة ، وما أشبه ذلك .

والكفر تارةً يطلق ويراد به الكفر الحقيقي ، وتارة يطلق ويراد به كفر الجحود ، وقد دلَّت السنة على أشياء من هذا القبيل ؛ فقول النبي ﷺ : { وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ } حيث أطلق الكفر على النساء ، والمراد به كفر الجحود ، وقد دلَّ عليه قول النبي ﷺ : { إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ ، أَوْ أُرِيتُ الجَنَّةَ ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا ، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا ، وَرَأَيْتُ النَّارَ ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ؛ قَالُوا : لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بِكُفْرِهِنَّ ؛ قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : يَكْفُرْنَ العَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦١٠٥ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١١٠ من حديث الثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

خَيْرًا قَطُّ }[1] ويتبيَّن من هذا أنَّ المراد نقصان الدين يحصل منهنَّ كثيراً ؛ حيث أنَّهنَّ يكفرن العشير ، ويكثرن اللعن ، والشِّكاة ، فإذا جلسن النساء ، فإنَّ كلَّ واحدةٍ منهنَّ تشكو حالها إلى الأخرى إمَّا تشكو زوجها ؛ أو تشكو عيالها ؛ أو تشكو تعبها في البيت ؛ أو ما أشبه ذلك من الأمور [2]، فهذا لاشكَّ أنَّه من نقصان الدين .

قوله : { وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ } المراد باللُّب العقل أو كماله ؛ والعقل اختلف فيه هل المراد به العلم أو المراد به القوة التي يؤتيها الله عزَّ وجل العبد من عباده ؛ ليميَّز بها بين الحقِّ والباطل ، والضار والنافع ؟ وهذا أقرب إلى تفسير العقل .

إذن فتفسير العقل بالعلم تفسيرٌ باللازم ، وليس تفسيراً للحقيقة ؛ لأنَّ الحقيقة هي القوة التي يؤتيها الله الإنسان ؛ ليميِّز بين الحق والباطل ، والضارِّ والنافع ، وما أشبه ذلك .

قوله : { قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ؟ قَالَ : { أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ : فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ . فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ } ما هي العلة في ذلك ؟ العلة في ذلك أنَّ المرأة مشغولةٌ بالحمل ، والرضاع ، والبيت وشؤونه ، والزوج والأولاد ، فهذا الشأن يكفيها ، ويغنيها ، وربما

---

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمامة البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٠٥٢ وأخرجه الإمام مسلم برقم ٩٠٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

[2] أقول : بل قد تشكو حالتها الصحية ، وتنسى ما عندها من النعم التي حرمها غيرها ، وهذا مما ينافي الصبر على الابتلاء الذي يبتلي به العبد تكفيراً لذنوبه ، ورفعاً لدرجاته . عكور .

ينسيها عن كثيرٍ من الأمور الأخرى ، والله سبحانه وتعالى قد أشار إلى هذه العلة في كتابه حيث يقول : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

قوله : { وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي ، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ } فهذا يدلُّ على أنَّ الدين ينقص بنقصان الطاعات ؛ فإذا نقصت الطاعة نقص الدين ، والإيمان ، وإذا كثرت الطاعة ؛ فإنَّ الإيمان يزيد .

ويستفاد من هذا الحديث عدة مسائل :

١- الأمر بالإكثار من الصدقة ، ولاسيما النساء اللاتي عندهنَّ النَّقص أكثر .

٢- الأمر بالإكثار من الاستغفار .

٣- أنَّ الصدقة والاستغفار تمحو الذنوب ، وترفع الإنسان من وهدة المعاصي إلى الحسنات التي تتكاثر بسبب هذا ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] .

٤- كذلك أيضاً يؤخذ من قوله :{ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ } جواز مراجعة المرأة للمفتي في الفتوى أو القاضي في الدعوى أو الكلام مع المعلم من وراء حجابٍ للتعلم ، وما أشبه ذلك ، فهذا يجوز إن شاء الله إذا انتفت الشبهة ، ومظنة السوء بحضرة جمعٍ ، وعندئذٍ لا مانع من ذلك .

٥- أنَّ اللعن،والشِّكاة من الكبائر ؛ ولو لم تكن من الكبائر ما أدخلتِ النساء بسببهنَّ النار ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[النساء ٣١] .

٦- يؤخذ من قوله ﷺ : { فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ } أنَّ النساء بعد دخولهنَّ النار أنَّهنَّ يخرجن منها حالهنَّ كحال غيرهنَّ من أصحاب الكبائر .

٧- ويؤخذ من قوله : { وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ } أنَّ النساء أكثر تأثيراً على الرجال غالباً .

٨- إطلاق الكفر على بعض المعاصي التي لا تخرج من الملة [١]، وبالله التوفيق .

٣٥ - بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ

١٣٣ - (٨١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي ،

---

[١] كمعصية كفران العشير من المرأة لزوجها كما في هذا الحديث ، وكقوله ﷺ في الصحيحين : □ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ □ متفق عليه ، وكقوله ﷺ في صحيح مسلم: □ اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ □ .

يَقُولُ : يَا وَيْلَهُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ : يَا وَيْلِي – أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ } [٢].

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : { فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ } .

١٣٤ – (٨٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ ، قَالَ يَحْيَى : أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرًا رضي الله عنه يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : { إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ } .

حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ } .

(التعليق)

أقول : هنا خلافٌ لأهل العلم في تارك الصلاة هل إطلاق الكفر عليه إطلاقٌ للكفر المخرج من الملة ؛ أو مما دون ذلك ؟ ذهب الجمهور من أهل العلم منهم مالكٌ ، والمشهور عند الشافعية ، والحنابلة ؛ وذهب إليه الكثيرون

---

[٢] قالا الإمام النووي رحمه الله في المنهاج في شرح صحيح مسلم : " أمَّا كفر إبليس بسبب السجود ، فمأخوذٌ من قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] قال الجمهور : معناه كان في علم الله تعالى من الكافرين ، وقال بعضهم : وصار من الكافرين كقوله تعالى : :﴿ وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود : ٤٣] " .

من أهل العلم : أنَّ تارك الصلاة لايكفر إلاَّ إذا كان جاحداً لها ، ويرون أنَّه يقتل حدَّاً كالزاني المحصن إلاَّ أنَّه يقتل بالسيف بخلاف الزاني المحصن الذي يرجم رجماً حتى يموت .

وثانياً : ذهب جماعةٌ منهم عليُّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن المبارك وآخرون إلى أنَّ المراد بالكفر [في ترك الصلاة] الكفر المخرج من الملة .

وثالثاً : مذهبٌ لأبي حنيفة : أنَّه لايقتل ، ولايحكم بكفره ، ولكن يزجر ، ويحبس ، ويعزَّر ؛ فإن صلَّى ، وإلاَّ ترك حتى يلقى حسابه بين يدي ربِّه .

ولكنَّ الأدلة تدلُّ على صحة المذهب الثاني :

أولاً : لأنَّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] فرتب تخلية السبيل على التوبة وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة [١] .

ثانياً : يقول النبي ﷺ : { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ }[٢] .

---

[١] والأصرح منها في الدلالة على كفر تارك الصصلاة قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١] .

[٢] الحديث سبق تخريجه ص٧٩ في الباب الأول من كتاب الإيمان .

ثالثاً : حديث بريدة ﷺ في السنن ، وغيرها ؛ أنَّ النبي ﷺ قال : { الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ }[٣] .

رابعاً : ما جاء هنا من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال : { بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ } يعني أنَّ الحدَّ الفاصل بين [الإسلام] والكفر ، ترك الصلاة .

خامساً : قال صلى الله عليه وسلك : { مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ؛ فَذَلِكَ المسْلِمُ .. }[١] . إذن فالذي لايصلي صلاتنا ، ولايستقبل قبلتنا ؛ فهو غير مسلمٍ ، والعياذ بالله .

سادساً : كذلك ما صحَّ : { عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ ﷺ قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لاَ يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ }[٣] .

---

[٣] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٩٣٧ و١٠٧٩ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٢٦٢١ وأخره الإمام النسائي في سننه برقم ٤٦٣ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ١٤٥٤ وأخرجه الإمام الدارقطني في سننه برقم ١٧٥١ وأخرجه الامام الحاكم في مستدركه برقم ١١ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٥٣٨ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٦٤٩٩ وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٠٣٩٦ وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع برقم ٤١٤٣ .

[١] الحديث أخرجه الإماام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٩١ من حديث أنس بن مالك ﷺ .

هذه بعض الأدلة [على كفر تارك الصلاة] ومن أراد الأدلة كاملة ، فليرجع إلى كتاب الصلاة لابن القيم رحمه الله .

فالقول الصحيح أنَّ تارك الصلاة كافر ، وإذا حكمنا بكفره ؛ فإنَّ تركه لفريضةٍ واحدةٍ متعمِّداً متهاوناً بها غير مبالٍ ؛ فإنَّ هذا يعتبر كفراً .

وإذا قلنا بهذا فإنَّه يحرم من ميراث أبيه ، إن كان أبوه مسلماً يصلي ، وهو لايصلي ، ولو تاب بعد موت أبيه ؛ لأنَّ التركة لزمت قبل الوفاة ، وتارك الصلاة لم يكن مصلياً ؛ فلم يكن مسلماً ، وليس أهلاً للميراث ، ولايعطى من الميراث شيئاً ، هذا هو الحق .

كذلك أيضاً إن مرض الذي لايصلي ؛ فلايجوز أن يعاد ، ولايصلَّى عليه إذا مات ، ولاتُتَّبع جنازته ، ولايُكفَّن ، ولايحنَّط ، ولايدفن في مقابر المسلمين ، بل يجعل في ثيابه ، ويوارى في حفرةٍ بعيداً عن مقابر المسلمين .

أمَّا زوجته ؛ فإن كانت مصلية ؛ فإنَّها تبين منه تلقائياً ؛ بمعنى أنَّها لاتفتقر بينونتها إلى طلاق منه ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٤١] فلايجوز للكافر أن يتزوج مسلمة ، وكثيراً ما يحصل أنَّ بعض الناس يزوجون بناتهنَّ لمن لايصلي ، فلا

---

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ٢٦٢٢ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ١٢ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٣٤٧ وصحح الحديث الإمام الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٥٧٩ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص٨١ في الباب الأول من كتاب الإيمان .

يجوز للأب أن يزوج ابنته لمن لايصلي ، ولايجوز للبنت أن تمكنه من نفسها ؛ فعليها أن تطلب الانفصال منه حتى ولو كان لها منه أولادٌ كثيرون ؛ لأنَّه غير مسلم ، فيجب على ولاة الأمور أن يتقوا الله في بناتهنَّ ، وألاَّ يزوجوا بناتهنَّ من لايصلون ولو كانوا أقارب ، وإذا انفصل الزوجان ولهم أولاد ، فإنَّ الأولاد أولاد الزوج ويلحقون به في النسب ؛ لأنَّهم يعتبرون أولاد الشبهة ، وبالله التوفيق .

ملاحظة : الذي يؤخر الصلاة إلى آخر الوقت هذا يعتبر فاسقاً ، أمَّا إذا أخرها حتى يخرج وقت الصلاة ، فهذا يعتبر كفراً ، وبالله التوفيق .

٣٦ - بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ

١٣٥ - (٨٣) وَحَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ **ح وَحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ ، يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : { إِيمَانٌ بِاللهِ } ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : { الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ } قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : { حَجٌّ مَبْرُورٌ } ، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : { إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ } وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

١٣٦ - (٨٤) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ

زَيْدٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ اللَّيْثِيِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : { الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ } قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : { أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا } قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ قَالَ : { تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ } قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟ قَالَ : { تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ } .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ عَبْدٌ : أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ حَبِيبٍ مَوْلَى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : { فَتُعِينُ الصَّانِعَ أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ } .

١٣٧ – (٨٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِيَاسٍ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : { الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا } قَالَ : قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { بِرُّ الْوَالِدَيْنِ } قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ } فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ .

١٣٨ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الْفَزَارِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْفُورَ ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ

مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : { الصَّلَاةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا } قُلْتُ : وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ ؟ قَالَ : { بِرُّ الْوَالِدَيْنِ } قُلْتُ : وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللهِ ؟ قَالَ : { الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ } .

١٣٩ – وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ : { الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا } قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ } قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ } قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ ؛ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ ، وَزَادَ : وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ ﷺ وَمَا سَمَّاهُ لَنَا .

١٤٠ – حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ – أَوِ الْعَمَلِ – الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ } .

(التعليق)

أقول : أورد الإمام مسلمٌ رحمه الله في هذا الباب حديثاً عن أبي هريرة ، وحديثاً عن أبي ذرٍّ ، وحديثاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعا .

فحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : { سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللهِ ؛ قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ؛ قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : { حَجٌّ مَبْرُورٌ } ، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : { إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ } .

وعلى هذا تكون الخصال ثلاث :

أولها : الإيمان بالله ورسوله ، ولايكون الإيمان بالله إيماناً [تامَّاً] إلاَّ إذا كان أيضاً إيماناً بالرسول ﷺ أمَّا الإيمان بوجود الله ؛ أو ربوبيته ، بدون الإيمان بالرسالة ، فهذا لايدخل أحداً في الإسلام .

ثانيها : الجهاد في سبيل الله ، فهو أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ، وفي رواية قدَّم برَّ الوالدين على الجهاد في سبيل الله .

ثالثها : الحج المبرور ، وهو العمل الفاضل بعد تلك الخصلتين .

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : { قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ بِاللهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ } حيث قدَّم الجهاد في سبيل الله على برِّ الوالدين ، وهذا التقديم يحمل على من لم يكن له والدان ؛ فالجهاد في سبيل الله أفضل ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه تقديم برُّ الوالدين على الجهاد في سبيل الله ، يحمل على من كان له والدان موجودان ، فبرهما أفضل من الجهاد في سبيل الله ، وقد جاء في حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : { جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ ، فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ }[1]

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٠٠٤ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه أيضاً برقم ٢٥٤٩ .

وفي رواية : { أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ ، أَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ؛ وَلَقَدْ أَتَيْتُ وَإِنَّ وَالِدَيَّ لَيَبْكِيَانِ ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا ، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا }[٢]

وفي رواية : {عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ ؟ ، قَالَ : أَبَوَايَ ، قَالَ : أَذِنَا لَكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا ، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا }[٣].

قوله : { قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : { أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا } معلومٌ أنَّ الناس يختلفون في الأمانة ، وفي الثقة ، وفي القيام بالأعمال ، فمن الناس من إذا وكَّلته بعملٍ ؛ فإنَّك تثق فيه بعد الله عزَّ وجل ، وتطمئنُّ إلى تصرفه ، فحنئذٍ يخبر النبي ﷺ أنَّ أكثر الرقاب { أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا } معنى أنفس أفضل ، وأعظم .

قولــه : { قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ قَالَ : تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ } يعني إذا ماقدرت على عتق الرقبة ، فأنت { تُعِينُ صَانِعًا } أي على صنعته ،

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم الحديث ٢٧٨٢ وبنحوه أخرجه الإمام البيهقي في السنن الصغير برقم الحديث ٢٧٥٨ وكذلك أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار برقم ١٧٦٥٦

[٣] الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم الحديث ٢٥٣٠ وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ١٤٠٢ وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع برقم الحديث ٤٣٨ .

وفي رواية : { تُعِينُ ضَائِعًا [1] أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ } ولكن حكموا على رواية هشام بن عروة بالوهم .

وقولـه : { أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ } وهو الذي لايحسن الصِّنعه ، فأنت تصنع له .

قوله : { قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟ قَالَ : { تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّـــاسِ ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِـكَ } وذلك بأنَّك تتصدق على نفسك بهذه الصدقة ، التي هي ترك الإثم ، والبعد عنه إذا كففت شرَّك عن الناس ، فقد وقيت الإثم الذي يترتب على الشر .

أمَّا في حديث عبد الله بن مسعود ﵁ وفيه : { سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ : { الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا } قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ } قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ } الصلاة على وقتها أفضل الأعمال ، وفي رواية : { الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا }[1]

فقوله : { الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا } يؤخذ منه أنَّ الصلاة على وقتها هو الأفضل بطريق المفهوم على الرواية الثانية ؛ لأنَّ { عَلَى } تدلُّ على الاستعلاء ، أي مستعلياً على وقتها أي في أوَّله .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٠٨٧٨ وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم ٢٢٠ و ٣٠٥ وأخرجه الإمام ابن الجارود في المنتقى برقم ٩٦٩ وأخرجه الإمام أبي عوانة في مستخرجه برقم ١٧٨ ، وصحح الحديث الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ١٦٢ .

[1] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث **٩٨٠٨** .

قوله : { قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ } ما برُّ الوالدين ؟ هو الاحسان إلى الوالدين ، وإسداء المعروف إليهم ، وكفِّ الأذى ، والإساءة عنهم ؛ وإذا كان الله عزَّ وجل قد جعل كلمة أفٍّ منهيَّاً عنها [٢]؛ فلايجوز أن تقول لوالدك أفٍّ ؛ بمعنى أتضجر منك ، فإذا قلت له هذا ، فإنَّك تكون قد أسأت إليه إساءةً عظيمة .

فكفُّ الأذى وإسداء المعروف ، هذا هو البر ، بأيِّ نوعٍ من أنواع المعروف ، بالكلمة الطيبة ، والإحسان بالمال ، وبالأفعال كالتودد لهما ، وصلة من يحبون أن تصلهم ؛ هذا كلُّه من برِّ الوالدين .

قوله : { قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ } وقد تقدَّم أنَّ هذا الحديث تعارضه تلك الأحاديث ، وحينئذٍ نجمع بينها بأنَّ هذا الحديث محمولٌ على من كان له والدان ، وتلك الأحاديث محمولة على من لم يكن له والدان .

ويبقى معنا [مسألة] وهي أنَّ النبي ﷺ سئل عن أفضل الأعمال ، وفي كل مقام أجاب بجواب ؛ فتارة يقول : { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }[١] وتارة لما سئل عن أفضل الأعمال يقول : { تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ

---

[٢] في قول الله تعالى : ﴿ وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء : ٢٣ □ ٢٤] .

[١] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٥٠٢٧ من حديث عثمان بن عفان ﷺ .

عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ }[٢] وتارة يقول كذا ، وكذا ؛ إذن فكيف نجمع بين هذه الأحاديث ؟ الجواب : أنَّ الإجابات التي أجاب بها الرسول ﷺ اختلفت بسبب الأشخاص ، وأنَّ كلَّ شخصٍ مهيأٌ للشيء الذي جعل الله قدرةً عليه ، فمثلاً عندما يأتي رجل آتاه الله الفهم والذكاء ويسأل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال ، فيقول له : { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } وعندما يسأل رجلٌ عنده مالٌ ،

وحيث إنَّ الغنى ربما يحمل الإنسان على منع المال ، وربما قد يحمله على التكبر أيضاً ، فيجيبه بقوله : { { تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ } ، وهكذا يجيب النبي ﷺ كلَّ شخصٍ بما هو متهيئٌ له .

وهناك جمع آخر ، وهو أن تحمل الأحاديث على اختلاف الحالات ، فمثلاً في وقت الجهل يكون أفضل الأعمال التعلم والتعليم ، وفي وقت المجاعة يكون أفضل الأعمال الصدقة ، وفي وقت تغلب الكفار يكون الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال ، وهكذا ، فهذان طريقان للجمع بين الأحاديث وهناك أقوال [وطرقٌ] أخرى ، وما تقدَّم أفضلها ، وبالله التوفيق .

---

[٢] سبق ذكره في متن صحيح الإمام مسلم في كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ برقم الحديث ٣٨ .

٣٧ - بَابُ كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ ، وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ

١٤١ - (٨٦) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، وَقَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قَالَ : { أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ } قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ } قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ } .

١٤٢ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ جَرِيرٍ ، قَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ رضي الله عنه قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ؟ قَالَ : { أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ } قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ } قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : { أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ } فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَهَا : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

(التعليق)

أقول : هذا الحديث حديثٌ عظيم ، وله معنى جليل ، لأنَّه قد بيَّن عظائم الذنوب التي توبق الإنسان ، وتهلكه ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً ۞ يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٦٩] والنبي ﷺ لما سئل عن أيُّ الذنب أعظم ، فقال : { أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ } والسائل هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد ورد في بعض الروايات أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان مع النبي ﷺ في بعض الأماكن حيث جلس النبي ﷺ على كثيبٍ ، وجلس إليه عبد الله مسعود رضي الله عنه فتحيَّن هذه الفرصة ، واغتنمها ، فقال النبي ﷺ :{ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ } أي الذنب العظيم أن تجعل لله ندَّاً [مثيلاً] وهو خلقك ؛

فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبرٌ للمبتدأ المقدَّر المعروف من السؤال ؛ أي الذنب العظيم جعلك لله نداً . قوله : { وَهُوَ خَلَقَكَ } الواو واو الحال ، والجملة بعد الواو حالية ، والحال هو الذي خلقك ، فإذا كان هو الذي خلقك ، وهو الذي رزقك ، وهو الذي قوَّاك فكيف تجعل له ندَّاً ، أيليق ، ويصح ذلك في المعقول بعد أن أوجدك هو ، ورزقك هو ، وأعطاك السمع والبصر ، والعقل والجوارح ؛ أعطاك اللسان الناطق ، وأعطاك العقل المفكر ، وأعطاك اليد التي تبطش ، والرجل التي تمشي ، والأذن التي تسمع ، والعين

التي تبصر ، وجميع الجوارح التي تنتفع بها ، ثمَّ بعد ذلك تجعل له ندَّاً ممن لايقدر على شيءٍ من هذه الأمور ، ولم يخلق فيك شعرةً ، ولاظفراً ، ولاجارحةً ، ولم يرزقك يوماً ، فالله هو الذي خلقك ، وهو الذي رزقك ، إذن فإن جعلك له نداً ؛ هذا من أعظم الذنوب ، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه { إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ } فلابدَّ أن نعرف أنَّ الشرك بالله هو أعظم الذنوب على الإطلاق ، لأنَّك إذا أشركت بالله أعطيت حقَّه لمن لايستحق ، أعطيت حقَّ الخالق للمخلوق ، أعطيت حقَّ القوي للضعيف ، أعطيت حقَّ القادر للعاجز ؛ أعطيت حقَّ الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، أعطيت حقَّه لمخلوق وجد بعد أن لم يكن ، وسيفنى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ۞ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ – ٢٧] فلايجوز لك أيها العبد أن تجعل لله نداً ؛ لأنَّك إذا دعوت مخلوقاً ، ورجوته دون الله سبحانه وتعالى ، فإنَّك جعلته لله نداً ، واتخذته إلهاً ،

فيا أيها العبد اتق الله ربك ، وما أكثر ما يحصل فينا الشرك ؛ لاسيما ، والسحرة والكهان موجودون في مجتمعاتنا ، وكأنَّه لم يكن شيء ، والعياذ بالله .

فإذا ذهب الإنسان إلى الساحر أو ذهب إلى الكاهن أو ذهب إلى المنجِّم ؛ فإنَّه قد اتخذه لله نداً ؛ وقد أشرك بالله سبحانه وتعالى ؛ لأنَّه التمس جلب النفع أو دفع الضر من غير الله جل وعلا ، فيا عباد الله اتقوا الله الذي لا إله إلا هو ، وحِّدوه ، فإنَّه لايقبل أي عملٍ إلا بالتوحيد إنَّ المشركين لاتقبل منهم حسنة ، ولاتغفر لهم سيئة ،

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] والله سبحانه وتعالى يقول أيضاً : ﴿ {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] وقد أخبر الله عزَّ وجل أن المشركين محرومون من الجنة ، وأنَّ النار محتَّمةٌ عليهم ، وهم أهلها ، وهم سكانها إلى ما لانهاية ؛ إلى أبد الآبدين ، فيقول الله عزَّ وجل حكاية عن عيسى عليه السلام أنَّه قال : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

إذن فمن دعا غير الله قائلاً يا فلان على الله وعليك ، يا فلان أنزل لي المطر ، يا فلان ارزقني ولداً ، يا فلان اشفني من المرض أو ما أشبه ذلك من المطلوبات أو من الأشياء التي يحذرها الإنسان ؛ يطلب من المخلوق جلب النفع أو دفع الضر ؛ فإنَّه قد أشرك بالله شركاً أكبر ، لايقبل الله من صاحبه صرفاً أو عدلاً .

إذا علمنا هذا فإنَّ الشرك بالله أعظم من قتل الولد خشية الفقر أو خشية أن يأكل معك ؛ فأي دناءةٍ أعظم ، وأي ذنبٍ أكبر بعد الشرك بالله من هذا الذنب ، فتقتل إنساناً ضعيفاً وهو ابنك الذي جبلك الله على الشفقة عليه ، وجعل فيك العاطفة له ، والرحمة به ، فتبدل ذلك بالقتل له خوفاً من العار أو من الفقر كما كان ذلك شائعاً في جزيرة العرب ، وفي قبائل العرب ، والله سبحانه وتعالى ما عاب عليهم ذلك إلاَّ لأنَّه موجودٌ فيهم : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨ – ٩]

لقد كانوا يئدون البنات خوفاً من العار ، ولقد كانوا يقتلون الأولاد خوفاً من الفقر ؛ والله سبحانه وتعالى قد بيَّن سفههم ، وهذه الجريمة تتكون من أربع جرائم :

أولاً : أنَّه قتلٌ لنفسٍ مؤمنة ؛ لأنَّ المولود يولد على الإيمان ؛ لقوله ﷺ : { كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ }[1] إذن فهذا المولود ولد على الفطرة التي هي الإيمان بالله ، فمن قتله في هذا السن ، أو في حال الصغر ؛ فقد اعتدى على نفسٍ مؤمنة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣] خمسة وعيدات في قتل النفس المؤمنة .

ثانياً : أنَّه اعتداءٌ على نفسٍ ضعيفة ، لاتردُّ عن نفسها ، وفي الحديث قدسي : { اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي }[2] إذا أنَّ الإنسان ظلم من ليس له ناصرٌ إلاَّ الله ، فإنَّه حينئذٍ قد اعتدى على جناب الله جلَّ وعلا .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٣٨٥ وبنحوه برقم ٤٥٤٨ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٢٣٦٦ و٢٦٥٨ من حديث أبي هريرة ﷺ .

[2] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الصغير برقم الحديث ٧١ وأخرجه الشهاب القضاعي في مسنده برقم ١٤٥٢من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال الهيثمي في مجموع الزوائد ج٤ / ٢٠٦ : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مِسْعَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ النَّهْدِيُّ كَذَا هُوَ فِي الطَّبَرَانِيِّ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مِسْعَرَ بْنَ يَحْيَى النَّهْدِيَّ، ضَعَّفَهُ الذَّهَبِيُّ بِخَبَرٍ ذَكَرَهُ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " اهـ .

ثالثاً : أنَّه قطيعة للرحم ؛ التي توعَّد الله عليها ، وقرنها باللعن ، قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢ – ٢٣] وأي قطيعةٍ أعظم من القتل .

رابعاً : أنَّه قنوط من رحمة الله ، ويأسٌ من روح الله عزَّ وجل ؛ والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّه لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] إذن فهذه الجريمة التي تكونت من أربع جرائم ، هذه كانت في المرتبة الثانية بعد الشرك ، ثمَّ ذلك تليها مرتبةٌ ثالثة ، وهي الزنى بحليلة الجار ؛ علماً بأنَّ الزنى محرمٌ ؛ لأنَّ الله عزَّ وجل خلق الإنسان على فطرةٍ تختلف عن فطرة الحيوان ، فالحيوان غير مكلَّف ، فجعل الله من فطرته أنَّ الذكر يلقى الأنثى ، فينزو عليها ، ويترتب على ذلك ولدٌ لايهمه شأنه ، أمَّا الإنسان أو الرجل إذا جامع أنثى ، وترتب على ذلك ولدٌ ؛

فإنَّ هذا الولد يترتب عليه أيضاً أمورٌ كثيرة منها : ضياع نسب هذا الولد ؛ أي أن يكون هذا الولد بدون أبٍ ، ولا أسرة ، ولافصيلةٍ أو عشيرة تؤويه ، ولا أحد يرحمه ، ويعطف عليه . أمَّا أهل أمِّه فإنَّهم يأنفون منه غالباً ، ويتمنون الخلاص منه ، فالزاني قد جرَّ عاراً على تلك المرأة ، وعلى أهلها ، وجرَّ مصيبةً على الولد ، والعياذ بالله ، فلهذا اعتبر الزنى جريمةٌ عظيمة ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

ولايكون الناس شعوباً ولا قبائل ، ولا أسراً ، ولا أفخاذاً ، ولافصائل إلاَّ أن يكون التوالد بالطريقة الصحيحة ؛ التي رسمها الشرع للإنسان المكلف ؛ الذي أنزل الله من أجله الكتب ، وأرسل الرسل ؛ وعلى هذا فإنَّ الزنى بامرأةٍ لا زوج لها أخفُّ شراً بامرأةٍ لها زوج ؛ والزنى أيضاً بامرأةٍ لها زوجٌ بعيدٌ ؛ أخفُّ شراً من الزنا بحليلة الجار ؛ وإذا كان الجار من القرابة في النسب ؛ فإنَّه يعدُّ خرقاً لحقِّ الإسلام ، وحقِّ الجوار ، وحقِّ الرحم ، والعياذ بالله ، ولهذا جاء في الحديث : { لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ }[1] ومع هذا فإنَّ النبي ﷺ قد جعل الزنى بحليلة الجار في المرتبة الثالثة بعد الشرك ، وهذا يدل على فظاعة الشرك ، ففظاعته عظيمة ، وكبيرةٌ يجداً ؛ فلهذا يستحق فاعله أن يحرم من الجنة ، وأن يخلد في النار ، والعياذ بالله ، وبالله التوفيق .

٣٨ - بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا

١٤٣ - (٨٧) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُكَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : { أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ }

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٣٨٥٤ وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم ١٠٣ وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ٢١١٥ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٦٣٣٣ وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٦٠٥ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٩١٠٥ قال المنذري والهيثمي: " رجاله ثقات" انظر ترغيب الترهيب في ٣ / ٣٥٢ وفي مجمع الزوائد ٨ / ١٦٨ من حديث المقداد بن الأسود ﷺ .

ثَلَاثًا { الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -} وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ .

١٤٤ - (٨٨) وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكَبَائِرِ ، قَالَ : { الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَقَوْلُ الزُّورِ } .

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكَبَائِرَ - أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ - فَقَالَ : { الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ } وَقَالَ : { أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ } قَالَ : { قَوْلُ الزُّورِ - أَوْ قَالَ : شَهَادَةُ الزُّورِ - } ، قَالَ شُعْبَةُ : وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ شَهَادَةُ الزُّورِ .

١٤٥ - (٨٩) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ } قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : { الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ } .

١٤٦ - (٩٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ

الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: { مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ } قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : { نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ } .

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، ح **وَحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

(التعليق)

أورد المؤلف في هذا الباب ، وتحت هذه الترجمة عدة أحاديث ؛ أورد فيه حديث أبي بكرة ﷺ ، وأبو بكرة ﷺ صحابيٌّ ، نزل من حصن الطائف في بكرة ، فسمي أبا بكرة ، وروى أبو بكرة ﷺ أحاديث عن النبي ﷺ منها هذا الحديث : { كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ثَلَاثًا } يعني ثلاث مرات يعرض النبي ﷺ على الصحابة أن يخبرهم بشيءٍ من العلم .

قوله : { الْإِشْرَاكُ بِاللهِ } تقدم لنا الكلام عن الشرك ، ولايحتاج إلى إعادة قوله : { وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ } لما كان للوالدين من الحق بعد الله عزَّ وجل ما لم يكن لأحد ؛ لأنَّهما السبب في وجودك بعد الله عزَّ وجل ، وهما اللذان ضحيا بحياتهما بكل ما يملكانه من أجلك ، فالرجل يتعب ويكد ويعرق ، ويكلف نفسه الأعمال التي تشق عليه كلُّ ذلك في سبيل أن يؤمِّن النفقة لأولاده ، وكذلك أيضاً المرأة تقوم على أولادها بما أودع الله في قلبها من الحنان ، فإنَّها تقوم عليهم القيام التام بالتغذية ، وبالتنظيف ، وبالإصلاح ،

وبالقيام بشؤون الأطفال ، وقد يكون الأب نائماً ؛ والأم ساهرة مع أولادها ؛ هذا بالإضافة إلى ما يحصل لها في الحمل والوضع من المشاق العظيمة ، ولهذا فإنَّ حقَّ الوالدين عظيم ، وعقوقهما يكون بعد الشرك بالله عزَّ وجل ، لأنَّه إساءة إلى من أحسن إليك ، والله هو أعظم محسنٍ إلى العباد ، ويليه الوالدان هما أعظم إحساناً لهذا الولد .

إذن فحق الوالدين عظيم ، وعقوقهما كبيرةٌ ، [وعظيمة]، والعياذ بالله ، ولهذا قرن الله حقَّ الوالدين بحقه تعالى لما لهما من الفضل العظيم على الولد ، والعقوق لهما من الإساءة إلى من أحسن إليك ؛ فقال سبحانه تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً ﴾ [النساء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الاسراء : ٢٣] وغيرها من المواضع الأخرى .

قوله : { وَشَهَادَةُ الزُّورِ – أَوْ قَوْلُ الزُّورِ – وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا } معروف الإتكاء ، وهو التمايل على أحد الشقين { فَجَلَسَ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ } لماذا اهتمَّ النبي ﷺ بشهادة الزور أكثر من الثنتين اللتين قبلها ؛ مع أنَّهما أفظع وأعظم ؟ الجواب : نظراً لأنَّ شهادة الزور قد يحمل عليها الهوى أو قرابة المشهود له أو صداقته أو محبته ، وقد يحمل عليها بغض المشهود عليه أو حبُّ المادة ، وقد يحمل عليها أشياء كثيرةٍ من المحامل ؛ فلذلك حذَّر النبي ﷺ منها ، وبيَّن أنَّها من الظلم العظيم ، ولهذا قال : { فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ } أي حتى تمنينا أنَّه سكت . هذا بالنسبة لحديث أبي بكرة رضي الله عنه .

أمَّا حديث أنس بن مالك ﷺ ففيه أنَّ النبي ﷺ قال في الكبائر : { الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ } وَقَالَ : { أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ } قَالَ : { قَوْلُ الزُّورِ – أَوْ قَالَ : شَهَادَةُ الزُّورِ – ، قَالَ شُعْبَةُ : وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ شَهَادَةُ الزُّورِ } الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقد تقدم الكلام عليهما ، وإن كان عقوق الوالدين لم نتوسع فيه حقَّ التوسع ؛ لأنَّا لو أردنا أن نستطرد فيه يمكن أن يأخذ منا وقتاً طويلاً ، وهي واضحة أمام طلاب العلم ، والحمد لله ، ولأنَّ هناك أحاديث أخرى في حقوق ، وبر الوالدين ؛ سيأتي بيانها .

زاد هنا قوله : { وَقَتْلُ النَّفْسِ } فقتل النفس عظيمٌ ، وفظيعٌ ؛ لأنَّه قطعٌ لنفسٍ مؤمنةٍ تعبد الله عزَّ وجل ، وتؤدي حقوقه جلَّ وعلا ، فلايجوز قتلها إلا بحق كما قال ﷺ : { لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ }[1] وعلى هذا فإنَّ قتل النفس عظيم ، وقدأخبر الله عزَّ وجل بقوله : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢] وقتل المسلم قد توعد الله عليه بخمس وعيدات ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣] عياذاً بالله ؛ يعني وعيدٌ لم يرد على ذنبٍ غير هذا .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٨٧٨ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٦٧٦ واللفظ له من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .

أمَّا قول الزور ، فهو أن تزور على إنسانٍ شيئاً لم يقله ؛ وتجعله قولاً له وهو ليس كذلك .

فحديث أنس بن مالك الأول والثاني متفقان .

أمَّا الحديث الثالث ، وهو حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ... } الحديث ، وسميت الموبقات بذلك ؛ لأنَّ كل واحدةٍ منها موبقة بمعنى مهلكة { قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ } هذه واحدة { وَالسِّحْرُ } هذه الثانية ، وجاء السحر بعد الشرك بالله ؛ لأنَّه كفرٌ ؛ ولايجوز أن نقر في مجتمعاتنا السحرة ، بل يجب علينا أن نعاديهم ، وأن نأخذ عليهم محاضر وشهادات تثبت وتدين صاحب هذه الجريمة بعد نصيحتهم ، فإن قبلوا النصيحة ، وتابوا ، فذاك ؛ وإلاَّ فيجب علينا أن نقدمهم للسلطة ؛ لتبرأ ذمتنا ؛ حتى لانترك هؤلاء يعيثون فساداً ، وأيُّ فسادٍ أعظم من إفساد الساحر ؛ فلايجوز أن نسكت عنهم ، ونرضيهم بسخط الله بل يجب أن نسخطهم لرضا الله عزَّ وجل ، والساحر حدُّه ضربةٌ بالسيف ، وقد جاء في الحديث : { عَنْ عَمْرٍو ، سَمِعَ جَالَةَ، يَقُولُ : كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ – عَمِّ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ – فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ : أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ ، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: وَسَاحِرَةٍ }[1]

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسسنده برقم الحديث ١٦٥٧ وأخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم ٣٠٤٣ وأخرجه الإمام ابن الجارود في المنتقى برقم ١١٠٥ وأخرجه الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ٨٦٠ وأخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه برقم ٩٩٧٢ و ١٨٧٤٦ وأخرجه الإمام البيهقي

وفي رواية : { عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ بَجَالَةَ ، يَقُولُ : كَتَبَ عُمَرُ ﷺ : أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ }[٢]

وكما ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ، وكذلك أيضاً جندب بن عبد الله البجلي ﷺ : { لما أتى وساحرٌ يلعب أمام الوليد بن عقبة ، فيضرب رأس الغلام ، وبعد ذلك يرده إلى مكانه ، فذهب جندب ، وأخذ سيفه ، وجاء إليه ، وضرب عنقه ، وقال له : إن كان صادقاً فليرد رأسه }[١] ، وكان هذا القتل للساحر بين يدي الأمير ، ولم ينكر على جندب فعله هذا ، فلذلك تقد م إليه ، وضرب رأسه ، فليس فيه دليل على أنَّ كلَّ من لقي ساحراً يقتله بدون أن يبلغ به ، ولو ربطت إقامة الحدود بصاحب الحق نفسه ؛ لأدى هذا إلى الفوضى .

إذن فحدُّ الساحر القتل بدون هوادة ؛ إلاَّ إذا أقلع ، وترك عمله الذي هو فيه [٢]، من الإفساد ، والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية .

في السنن الكبرى برقم ١٧١٢٢ و ١٨٦٥٢ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٢٦٥٢ وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ١٠٦٠ ، وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الصغير برقم ٢٩٣١ .

[٢] وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٦٤٩٨الحديث ، وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الصغير برقم ٣١٣١ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٢٨٩٨٢

[١] الأثر أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢٢٢/٢) وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ١٧٦ □ ١٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى برقم الحديث ١٦٩٧٠ وصحح الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ، ولهذه القصة طرق كما ذكرها العلامة سليمان آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد ص٣٩٦ .

[٢] يعني السحر .

قوله : { وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } كما قد تقدم .

قوله : { وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ } هذا من الكبائر أيضاً ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء : ١٠] والعياذ بالله ، كأنه لم يأكل طعاماً شهياً ، وإنما أكل ناراً ، ونسأل الله العفو والعافية .

قوله : { وَأَكْلُ الرِّبَا } ايضاً أكل الربا لايجوز ؛ لأنَّ الله حرم الربا ، وأنزل فيه آياتٍ تتلى إلى يوم القيامة ، وأحاديث واضحةٌ بينة ؛ والله تعالى يقول : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

قوله : { وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ } أي إذا حصل الزحف بين المؤمنين والكافرين للقتال ، فإنَّه لايجوز لأحدٍ من المسلمين أبداً أن يفر ، فيولِّي الكفار دبره ، فإن فعل فإنَّه كبيرةٌ ، وذلك فيما إذا كان عدد الكفار ضعف عدد المسلمين ؛ كما جاء في آية الأنفال الأخيرة ؛ التي نسخت الآية الأولى والتي فيها أنَّه لايجوز التولي إذا كان الواحد يقابل عشرة ، والثانية أنَّه لايجوز التولي إذا كان الواحد يقابل اثنين[1] ؛ فإذا كانوا أكثر من ذلك ، واستعانوا بالله ،

---

[1] قال الله تعالى في سورة الأنفال ٦٥-٦٦ : ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * الْآنَ

أعانهم الله ، وقد حضر الصحابة معركة اليرموك وعددهم أربعين ألفاً أو ثمانية وثلاثين ألفاً ، بينما الروم عددهم مائتي ألف ، ولكن الصحابة توكلوا على الله ، وعزموا على قتالهم ، وقاتلوا الأعداء ، فقتلوا منهم ما يقرب من مائة ألف ، والحمدلله ، فالمؤمنون عدتهم ، وناصرهم الله عزَّ وجل ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

قوله : { وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ } وهذه هي الخصلة السابعة ؛ لايجوز للإنسان أن يقذف محصنةً مؤمنةً غافلةً ؛ فإن فعل ؛ فإنَّه قد أتى بكبيرةٍ ، أمَّا إذا كانت المرأة متعرضة للرجالة ، تمشي معهم ، وتضاحكهم ، فإنَّ هذه قد أوجدت التهمة على نفسها ، والعياذ بالله .

بقي معنا حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ؛ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ } يعني هل من المعقول أن يسب الرجل والديه ؟ قَالَ : { نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ } يعني يكون هو المتسبب بتقدم الشتم منه ، فإذا تقدَّم الشتم منه ، فكأنَّه قد شتم والديه بشتمه من شتم والديه ، والعياذ بالله .

خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ □ .

مسألة : هل الكبائر محصورةٌ في عدد معيَّن أم غير محصورة ؟ فيه خلاف : بعض أهل العلم يقولون إنَّ الكبائر سبعون ، وبعض أهل العلم يوصلها إلى سبعمائة كبيرة ، فإذا قلنا كلُّ ذنبٍ توعد الله عليه العذاب أو قرنه باللعن أو ما أشبه ذلك ؛ فإنَّه يعدُّ كبيرةً ، وهذا يدخل فيه عددٌ كبيرٌ من الكبائر ، وعلى هذا النحو مشى ابن حجر الهيتمي ، حيث ألف كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر ، وأوصلها إلى قريبٍ من سبع مائة كبيرة ،

وكلُّ حديث ورد فيه وعيدٌ على شيءٍ عدَّه من الكبائر ، وأنَّ من ترك الكبائر ؛ فإنَّ الله يغفر له الصغائر : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] وقال ﷺ: { الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ،

وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ }[1] وبالله التوفيق .

٣٩ - بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ

١٤٧ - (٩١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ ، جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { لَا يَدْخُلُ

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٢٣٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : { إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ } .

١٤٨ – حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ ، قَالَ مِنْجَابٌ : أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

{ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ } .

١٤٩ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، عَنْ فُضَيْلٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } .

(التعليق)

في هذا الحديث أنَّ الإمام مسلم رحمه الله يفرق بين الصيغ ، فيقول : { قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ } وهذا من دقته رحمه الله ، يعني أنَّه إذا قال واحدٌ : حدثنا . وقال الآخر : أخبرنا . وقال واحدٌ : سمعت ؛ فإنَّه يفرق بين هذه الصيغ ، ولابَّد أن يذكر صيغة كلِّ واحدٍ على حدة ، فإذا كانوا متفرقين في الصيغ ، ولم يذكرها جميعاً ، ذكر صيغة الراوي الذي يذكر حديثه ، وهذا من دقته رحمه الله تعالى .

قوله : { أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، عَنْ عَلْقَمَةَ } هو عمُّ أبراهيم النخعي ، وهو علقمة بن قيس تلميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،

في هذا الحديث ثلاثةٌ من التابعين روى بعضهم عن بعض { فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، عَنْ عَلْقَمَةَ } وقد تكون درجتهم متفاوتة ؛ بحيث أنَّ علقمة من كبار التابعين ، وإبراهيم من الوسط أو ما أشبه ذلك .

أمَّا متن الحديث : { عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }هذا يؤول على أحد أمرين :

١- إمَّا يكون النفي متوجهاً إلى جنةٍ بعينها ، وهي الجنان العليا ، وأنَّ المتكبر لايدخل الجنان العليا ؛ التي يدخلها المؤمنون المتواضعون .

٢- أنَّه لايدخل الجنة وفي قلبه كبرٌ ؛ بل إنَّ الله عزَّ وجل ينظفه ، ويطهره من خليقة الكبر بأن يدخله النار حتى ينقيه من الكبر ، ثمَّ بعد ذلك يدخله الجنة .

وقوله : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } ليس معناه لايدخل الجنة بالكلية ؛ لكن إما أن يكون محمولاً على جنةٍ بعينها ، وإمَّا أن يكون محمولاً على أنَّه يدخل النار ويطهر من الكبر ثم يدخل الجنة .

أمَّا الجنة فلابدَّ لكل مسلمٍ يموت على التوحيد من دخولها .

قوله : { قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ } يعني كون الإنسان يحب أن يكون نظيفاً ،

ويحب أن يكون جميلاً ؛ هذا لايعدَّ من الكـبر ولكن الكبر كما سيـأتي هو { بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ } ما معنى بطر الحق؟ أي جحد الحق [1].

قوله : { إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ } هذا من الأوصاف التي ينبغي للمسلم أن يؤمن بها ، ولنعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى له صفاتٌ عليا ، وأسماءٌ حسنى يجب على كلِّ مؤمنٍ أن يؤمن بهذه الأوصاف ، وهذه الأسماء ؛ ولا يأخذ بتأويل المتأولين ، وقد عرض الإمام النووي أقوالاً من قومٍ يدينون بالأشعرية ؛ وهذه الأقوال لاينبغي أن نأخذ بها ؛ بل مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ صفات الله عزَّ وجل ، وأسماءه الحسنى ليس له فيها شبيهٌ ، ولانظير ، ولذلك يمرونها كما جاءت من غير تكييفٍ ، ولاتمثيل ، ولا تأويل ، ولاتحريف ، ولاتعطيل .

ثمَّ قال : { الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ } أي أن تجحد الحقَّ مع وضوحه ، وأن تغمط الناس وترى أنَّهم في منزلةٍ أدنى ، وأنت في منزلةٍ عليا ، والعياذ بالله ، هذا هو الكبر أن يترفع الإنسان عن إخوانه المسلمين ، ويرى أنَّه أرفع منهم قدرا ، وهذا لايجوز ، وهذا هو الكبر بعينه .

أمَّا الحديث الثاني : { لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِـهِ مِثْقَالُ حَبّـةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ } .

---

[1] قال النووي رحمه الله : " قوله : { غمط الناس } ذكر أبو عيسى الترمذي وغيره { غمص } بالصاد ، وهما بمعنى واحد ، ومعناه احتقارهم ... وأمَّا بطر الحق : فهو دفعه ، وإنكاره ؛ ترفعاً وتجبراً " انتهى.

فقوله : { لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ } المقصود بالنار هنا هي نار الكفار ؛ التي هي نار الخلود ، والله سبحانه إذا كان يوم القيامة يقسم الخلق إلى قسمين :

١- بعث النار ، والذين هم أهلها فهم يساقون إليها ، ويدخلون النار من أبوابها : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٣-٤٤] .

٢- الموحدين من الأمم ؛ الذين هم أتباع الرسل ؛ فهؤلاء يمدُّ لهم الجسر ، ويمرون عليه ، وتحت الجسر نار العصاة التي يتساقطون فيها ، هذه النار هي التي يقال عنها بأنَّها تفنى ، وأهلها يخرجون منها ، ويدخلون الجنة كلُّهم ؛ بقطع النظر عن المدد والأوقات التي يبقون فيها ، والمدد والأوقات تتفاوت بحسب ما عند هؤلاء من كبائر ، وبقدر ما يكون عندهم من إيمان ، فيحمل هذا الحديث على أنَّه لايدخل النار ؛ التي هي نار الخلود[1] من كان في قلبه { مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ } وبالله التوفيق .

٤٠ - بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ

١٥٠ - (٩٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، وَوَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ شَقِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ - قَالَ وَكِيعٌ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَقَالَ

[1] أي التي هي نار الكفار .

ابْنُ نُمَيْرٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ } ، وَقُلْتُ أَنَا : { وَمَـنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًـا دَخَلَ الْجَنَّةَ } .

١٥١ – (٩٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْمُوجِبَتَانِ ؟ فَقَالَ : { مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ } .

١٥٢ – وَحَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْغَيْلَانِيُّ سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، **حَدَّثَنَا** جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ } قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ : عَنْ جَابِرٍ .

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَخْبَرَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ بِمِثْلِهِ .

١٥٣ – (٩٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ } .

١٥٤ – حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ﷺ أَنَّ يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدِّيلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ ﷺ حَدَّثَهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : { مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ } قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : { وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ } قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : { وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ } ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ : { عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ } قَالَ : فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ : { وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ } .

(التعليق)

قوله : { قَالَ وَكِيعٌ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ □ هذا كما قلنا من دقة الإمام مسلم رحمه الله تعالى أنَّه يميِّز بن الصِّيغ ، ميَّز بين صيغة وكيعٍ ، وصيغة ابن نمير ، والمقصود به في الحديث بهذا السند ، وقد اختلف العلماء في هذا ؛ هل هو مرسلٌ أو متصلٌ ؟ والأقرب أنَّه متصلٌ بالسند الذي ذكره ، وإنَّما ذكر الصيغة حيث أنَّ الرجلين افترقا ، وكيعٌ قال : { قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ } وابن نميرٍ قال في حديثه عن عبد الله بن مسعود ﷺ : { سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ □ .

قولــه : { مَنْ مَـاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًــا دَخَـلَ النَّارَ } ، وَقُلْتُ أَنَا [1] : { وَمَـنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًـا دَخَلَ الْجَنَّةَ } لأنَّه في وقت ما حدَّث بهذا الحديث كان قد نسي الثانية ، فأضافها من عند نفسه بناءً على المقطوع به في حديث جابر رضي الله عنه : { مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ } .

قوله : { مَنْ مَـاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًــا دَخَـلَ النَّارَ } هذا لابدَّ منه للأدلة الموجودة في الكتاب والسنة ، منها ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٨] ومنها قول الله تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَـدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّــةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] [1] وعلى هذا فمن مات وهو يشرك بالله ، فلابدَّ له من دخول النار ، والخلود فيها إذا كان الشرك أكبر ، ومحرمٌ عليه أن يدخل الجنة .

وقوله : { وَمَـنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًـا دَخَلَ الْجَنَّةَ } فهذا أيضاً واضحٌ من الأدلة ، فإن كان من أصحاب الكبائر ، فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بدون عذاب ، وإن شاء عذبه في النار ، وأدخله الجنة بعد ذلك

---

[1] وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

[1] ولقوله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه : □ مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ □ .

؛ ولابدَّ لكلِّ موحدٍ من دخول الجنة ، وهذا كما قلت مرةً سابقةٍ في حديثٍ سبق ؛ أنَّه إخبارٌ عن المآل ؛ يعني أنَّ مآل كلَّ موحدٍ الجنة .

الحديث الثاني : { عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْمُوجِبَتَانِ ؟ } يعني ما هي الموجبة لدخول الجنة ، وما هي الموجبة لدخول النار ؟ فقال النبي ﷺ :

{ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ } هذه موجبة الجنة { وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ } هذه

موجبة النار ، وهذا قد تقدم شرحه ، وقد تبين [1].

أمَّا حديث أبي ذرٍّ ﷺ : { يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ } هذا الحديث رواه مسلمٌ مختصراً ، ورواه البخاري مطولاً ، وفيه قصة : { عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، قَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ ، قَالَ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : أَبُو ذَرٍّ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ ؛ قَالَ : فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ ، وَشِمَالَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا ؛ قَالَ : فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً ،

---

[1] ومثله رواية : { مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ } .

فَقَالَ لِي : اجْلِسْ هَا هُنَا ؛ قَالَ : فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ ، فَقَالَ لِي : اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : فَانْطَلَقَ فِي الحَرَّةِ حَتَّى لاَ أَرَاهُ ، فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنْ سَرَقَ ، وَإِنْ زَنَى ؛ قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الحَرَّةِ ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا ؟ قَالَ : ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الحَرَّةِ ، قَالَ : بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، وَإِنْ سَرَقَ ، وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ ، وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ شَرِبَ الخَمْرَ } [1]

وفي الحديث الآخر : { أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدِّيلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ ﷺ حَدَّثَهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ؛ قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؛ قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؛ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ : عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ ؛ قَالَ : فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ } .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٤٤٣وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه برقم ٩٤ .

قوله : { وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ } ليس معناه أنَّه يدخل الجنة مباشرة ؛ لأنَّ الزنا والسرقة جرائم عظيمة ، موبقات ؛ لكن نهاية كلُّ موحدٍ الجنة ، وهذا إخبارٌ عن المآل ؛ ما هو المقام الذي سيقيمه هذا الزاني أو هذا السارق في النار ؟ كم مدةٍ سيبقاها في النار ؛ الله أعلم ؛ هذا شيءٌ فوق ما نتصوره ، لأنَّ أمور الآخرة أعظم مما نتصور ؛ وقد جاء في الحديث : { لَوْ يَعْلَمُ المارُّ بَيْنَ يَدَيِ المصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي ، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ شَهْرًا ، أَوْ سَنَةً }[1] فأمور الآخرة أعظم مما نتصورها نحن ؛ سواءً كان في الثواب أو العقاب ؛ فلايتساهل إنسانٌ بهذا ، ولايتهاون فيه ، ويقول إنَّ الزاني ، والسارق ، سيدخلان الجنة ، وربما يجرئه هذا على فعل الجرائم ؛ لأنَّ من يعمل الجريمة على خطرٍ أن يسلب منه الإيمان ؛ لقوله ﷺ : { لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ }[1]ومعنى كونه ليس بمؤمن أي أنه يخرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام ، وإذا عاد المسلم إلى إيمانه بعد فعله لهذه الجرائم ؛ فإنَّه لايعود إليه سالماً إلا بعد عمل كثير ؛ كإنسانٍ احترق جلده ، فهل يعود الجلد إلى حالته الأولى ؟ الجواب : لا ؛ فلن ينجبر إلا بمدةٍ طويلة ؛ إذن فلا يجعل الإسلام سبباً للتجرؤ على المعاصي ، وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، واللفظ به برقم الحديث ٥١٠ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه أيضاً برقم ٥٠٧ من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه

[1] الحديث سبق تخريجه في أول كتاب الإيمان باب الإيمان والإحسان .

٤١ - بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

١٥٥ - (٩٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ **ح وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ - وَاللَّفْظُ مُتَقَارِبٌ - أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ ، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ : أَسْلَمْتُ لِلَّهِ ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ قَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا تَقْتُلْهُ } قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا ، أَفَأَقْتُلُهُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا تَقْتُلْهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ } .

١٥٦ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ **ح وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ **ح وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ جَمِيعًا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ . أَمَّا الْأَوْزَاعِيُّ ، وَابْنُ جُرَيْجٍ فَفِي حَدِيثِهِمَا قَالَ : أَسْلَمْتُ لِلَّهِ كَمَا قَالَ اللَّيْثُ . وَأَمَّا مَعْمَرٌ فَفِي حَدِيثِهِ : فَلَمَّا أَهْوَيْتُ لِأَقْتُلَهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

١٥٧ - وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ ثُمَّ الْجُنْدَعِيُّ ،

أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيَّ ﷺ وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ .

١٥٨ – (٩٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي ظِبْيَانَ ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ – وَهَذَا حَدِيثُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ – قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ } قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ ، قَالَ : { أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟ } فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : فَقَالَ سَعْدٌ : وَأَنَا وَاللهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ يَعْنِي أُسَامَةَ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] ؟ فَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ .

١٥٩ – حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو ظَبْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ يُحَدِّثُ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا

وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لِي : { يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ } قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا ، قَالَ : فَقَالَ : { أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ } قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

١٦٠ – (٩٧) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ أَنَّ خَالِدًا الْأَثْبَجَ ابْنَ أَخِي صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ، حَدَّثَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ ، فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ ، فَقَالَ : تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ ، قَالَ : وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : { لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ }

قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا ، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا ، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَقَتَلْتَهُ ؟ } قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : { فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ } قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : { وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ } قَالَ : فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : {كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

(التعليق)

هذه الأبواب التي يسوقها مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان يرد بها على أهل الأهواء المبتدعة الخوارج الذين يقولون أنَّ مرتكب الكبيرة كافرٌ مخلدٌ في النار ، ويردُّ بها على المعتزلة ؛ الذين يوافقون الخوارج على التخليد ، ويخالفونهم في التسمية ؛ فيقولون مرتكب الكبيرة لاهو كافرٌ ولاهو مسلمٌ ، ولكنَّه مخلدٌ في النار ، وعلى المرجئة أيضاً ؛ الذين يقولون لايضر مع الإيمان ذنب كما لاينفع مع الكفر عمل ، فمسلم في هذه الأبواب يردُّ عليهم كلِّهم .

وما ساقه من الأبواب والأحاديث دلائل واضحة على أنَّ أصحاب الكبائر تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم وأدخلهم بعد ذلك الجنة ، وإن شاء الله غفر لهم ما عندهم من الكبائر ، وأدخلهم الجنة ؛ فهم تحت مشيئة الله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٨] .

أمَّا هذه الأحاديث ، فيؤخذ منها أنَّ من قال لا إله إلا الله ؛ لايجوز قتله ؛ حتى يتبيَّن أنَّه يعمل بها أو لا يعمل ؟ فإن كان لايعمل بمقتضاها بيِّن له بأنَّ لا إله إلا الله تنفي ، وتثبت ؛ تنفي جميع الآلهة دون الله عزَّ وجل ، وتثبت الألوهية لله وحده لاشريك له ، وعلى هذا ؛ فإن قبل وتاب وأناب ، وعمل بمقتضى لا إله إلا الله ، فهو مسلمٌ يحرم قتله ، أمَّا إن قال لا إله الله ، وهو مع ذلك يدعو غير الله عزَّ وجل دعوةً صريحة دون الله سبحانه وتعالى ؛ أو يدَّعي بأنَّ له سلطاناً غيبياً يعلم المغيبات أو يدَّعي أنَّ له قدرة يعمل بها الأمور التي يختص بها الله عزَّ وجل دون عباده ؛ أو يذبح على اسم غير الله عزَّ وجل ؛ أو يُنْذر له من دون الله ؛ فهذه كلُّها من الأمور التي تخرج عن الملة ، ويقاتل ؛ وهذه هي طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ حينما قام بدعوته ؛ كان يأمر أصحابه أن يعرِّفوا الناس أنَّ من قال لا إله إلا الله ، وتطوَّف بالقبور ؛ ودعا أصحابها ، وتبرك بترابها ، وقبَّل أعتابها ، وطلب من أهلها صرف الضر الذي لايصرفه إلا الله ؛ أو جلب النفع الذي لايجلبه إلا الله ؛ فإنَّه يعتبر مشركاً شركاً أكبر ، وتجوز مقاتلته ؛ فالذين يدَّعون أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناءه وأصحابه والعلماء من بعده ي قاتلون أهل لا إله إلا الله هكذا [1]، فهو مغرضٌ ، وادعاؤهم هذا ادعاءٌ كاذب ، ولو عدنا إلى المقالات والمكاتبات التي كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه والعلماء من بعده يرسلونها إلى القبائل ؛ والتي يدعونهم فيها إلى التوحيد ، ويبينون لهم فيها أنَّ ما

---

[1] أي بدون توجيه وتعليمٍ وإقامة للحجة .

عليه الناس من عبادة القبور شرك ، وبعد أن يتضح لهم الأمر ، ولم يستجيبوا بعد ذلك يقاتلونهم .

فقوله : { أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ } لأنَّ هذا لم يتبيَّن أمره ، هل هو مسلمٌ أو غير مسلمٍ ؛ فلايجوز لك أن تقتله ، لهذا يقول المقداد بن الأسود رضي الله عنه للنبي ﷺ : { أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ، ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ : أَسْلَمْتُ لِلَّهِ ، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ تَقْتُلْهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ ؛ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ } [1]هذا التعبير ربما يرى أنَّه مشكل ، وقد تأوَّله أهل العلم ؛ ومنهم الشافعي رحمه الله ، تأولوا الحديث بأنَّه عندما يقول لا إله إلا الله ، فهو بمنزلتك قبل أن تقتله يعني معصوم الدم ، وأنت بمنزلته بعد أن قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ، وبعد قوله لا إله إلا الله ؛ أنت لن تكون معصوماً ؛ بل يتجه عليك القصاص ، لولا العذر الذي يصرف عنك القصاص ، وهو كونه قالها متعوِّذاً .

يؤخذ من هذا الحديث أنَّ الأمور تجرى على الظاهر ، وأنَّ الأسرار لله تعالى هو الذي يتولاها .

---

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٠١٩ و٦٨٦٥ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٩٥ .

ويؤخذ منه أنَّ المتصوفة الذين يقولون كلاماً كفراً لايجوز أن تعتذر لهم ، ومع ذلك كثيرٌ من الناس يقولون عنهم أنَّ لهم مصطلحات لانعرفها ، ونحملهم على السلامة ، من يقول هذا فإنَّه ضالٌّ مضل ، فكيف نحملهم على السلامة ، بل يجب علينا أن نأخذ بظاهر كلامهم ، لأنَّ الأمور تجرى على الظاهر ، وبالله التوفيق .

٤٣ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ﴾

١٦١ - (٩٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا : حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، وَابْنُ نُمَيْرٍ ، كُلُّهُمْ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، **ح وَحَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ يَحْيَى - وَاللَّفْظُ لَهُ — قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا } .

١٦٢ - (٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ نُمَيْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُصْعَبٌ وَهُوَ ابْنُ الْمِقْدَامِ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ ، عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا } .

١٦٣ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ بُرَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا } .

(التعليق)

قوله : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا } يعني ليس على سنتنا ، وهدينا ، وطريقتنا ، وليس المراد أنَّه يخرج من الإسلام ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ٩ - ١٠] تبيَّن من هذا على أنَّ المقتتلين سماهم الله مؤمنين ؛ الطائفة الباغية ، والطائفة غير الباغية إذن فالباغي لايخرج من الإسلام بحمله للسلاح على إخوانه في الإسلام ؛ لكن هذا ذنبٌ عظيم ، وإثمٌ كبير ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣] فلايجوز أن نحمل قوله : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا } على أنَّ المراد به أنَّه يخرج من الملة ؛ بل ليس على هدينا ، ولا على سنتنا ، ولا على طريقتنا ، وبالله التوفيق .

٤٣ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ﴾

١٦٤ - (١٠١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ **ح** ، **وَحَدَّثَنَا** أَبُو الْأَحْوَصِ مُحَمَّدُ بْنُ حَيَّانَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا } .

(١٠٢) **وَحَدَّثَنِي** يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ ، وَابْنُ حُجْرٍ ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ : { مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ } قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : { أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي } .

(التعليق)

أقول : هذا الحديث يتأوَّل فيه كما يتأول في الحديث الذي قبله ، وهو أنَّ من غشَّ فليس على هدي النبي ﷺ ولا على سنته ، ولا على طريقته ، وعلى هذا فلايحكم عليه بالخروج من الإسلام ؛ بل يبقى داخل ملة الإسلام ، فهو مسلمٌ ، وفي الحديث : { أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي }[1] فهذا تأويله مثل ما تقدَّم ، وهو أنَّه لايجوز أن نحكم على المسلم بالكفر بسبب ذنبٍ اقترفه ؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ أنَّهم لايحكمون على المسلم بالكفر بسبب ذنب اقترفه ، وإنما إذا كان هذا الذنب من الذنوب المجمع عليها ، واستحلَّ هذا الذنب ، فإنَّه يعتبر قد كفر باستحلاله لهذا الذنب ، أمَّا إذا لم يصرّح بالاستحلال ولو فعله عدة مرات

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ١٠٢ من حديث أبي هريرة ﷺ .

فلايجوز أن نحكم عليه بالكفر ، بدليل ما جاء في حديث : { أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ؛ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ : مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ }[1]وفي رواية : { عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : اللَّهُمَّ العَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[2] فلايجوز أن نحكم على مسلمٍ اقترف ذنباً من الذنوب ؛ سواءً كان هذا المسلم مسلماً عادياً أو من أصحاب السلطة ؛ لأنَّه ربما يقول قائل أنَّ أصحاب السلطة لكونهم إذا عملوا شيئاً فيعتبر شرعاً ، ويشرعونه لغيرهم ، وإنَّ هذا يعتبر كفراً ؟ والجواب : لايحكم بالكفر بمجرد عمل الذنب ، فعمل الذنب مهما تكرر من دون أن يستحله لايجوز الحكم عليه بالكفر ؛ فإن استحلَّ محرماً مجمعاً عليه بالتحريم اعتبر كافراً بهذا ، وإنَّ حرَّم شيئاً مجمعاً على حلِّه ، اعتبر أيضاً كافراً بهذا ، أمَّا إن فعل المحرم ولم يصرح باستحلاله ، فلايجوز أن نحكم عليه بالكفر ، وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٧٨١ .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٧٨٠ .

٤٤ - بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ

١٦٥ - (١٠٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ؛ **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ } هَذَا حَدِيثُ يَحْيَى ، وَأَمَّا ابْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَا : { وَشَقَّ ، وَدَعَا بِغَيْرِ أَلِفٍ } .

١٦٦ - وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ **ح ، وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ . وَقَالَا : { وَشَقَّ وَدَعَا } .

١٦٧ - (١٠٤) حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى الْقَنْطَرِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُخَيْمِرَةَ ، حَدَّثَهُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، قَالَ : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، { فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ ، وَالْحَالِقَةِ ، وَالشَّاقَّةِ } .

حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا صَخْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ ،

وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَا : أُغْمِيَ عَلَى أَبِي مُوسَى ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ ، قَالَا : ثُمَّ أَفَاقَ ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي وَكَانَ يُحَدِّثُهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ } .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعٍ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ عِيَاضٍ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنِ امْرَأَةِ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، **ح وَحَدَّثَنِيهِ** حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ يَعْنِي ابْنَ أَبِي هِنْدَ ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ **ح وَحَدَّثَنِي** الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ عِيَاضٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : { لَيْسَ مِنَّا } وَلَمْ يَقُلْ { بَرِيءٌ } .

(التعليق)

أقول : لقد تقدَّم لنا عدَّة مراتٍ طريقة مسلمٍ في الأسانيد ، واحترازه رحمه الله حتى في العبارة ؛ أو الأداة ، فإذا اختلفت ؛ فإنَّه يحترز ، ويبيّن أداة كلَّ واحدةٍ على حدة .

فعندنا في السند الأول من الحديث الأول قال فيه : { **حَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ } من هو أبو معاوية ؟ هو محمد بن خازم الضرير ، وبعده قال في السند الثاني : { **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ }إذن أبو بكر بن شيبة متابعاً ؛ ليحيى بن يحيى في أبي معاوية ،

ولكن زاد عليه بوكيع ، فالمتابعة هذه يقال لها متابعة تامة ؛ لأنَّها في شيخ المؤلف ، فإن كانت متابعةً لشيخ شيخه فأعلى ، فيقال لها : متابعةٌ قاصرة ، والسند الثالث قال : { ح **وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي } يعني عبد الله بن نمير ، وابن نمير هو محمد بن عبد الله ، فكأنَّ عبد الله بن نمير ، وأبا معاوية ، ووكيع جميعاً ؛ كلُّهم حدَّثوا { عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﵁ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ } قال مسلمٌ : { هَذَا حَدِيثُ يَحْيَى ، وَأَمَّا ابْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَا : وَشَقَّ وَدَعَا بِغَيْرِ أَلِفٍ } .

كذلك أيضا في الحديث الثاني من السند الأول قال : { **حَدَّثَنَا** عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ } وفي السند الثاني : { ح ، **وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ . وَقَالَا : وَشَقَّ وَدَعَا } الأعمش مدلَّسٌ ، والقاعدة : أنَّ المدلس إذا جاء حديثه بالعنعنة ؛ فإنَّه لا يُقبل حتى يُصرّح بالتحديث ، فما وجد في الصحيحين من هذا القبيل ؛ فهو محمولٌ على أنَّه قد ورد بالسَّماع .

والحديث الثالث { **حَدَّثَنَا** الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى الْقَنْطَرِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُخَيْمِرَةَ ، حَدَّثَهُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى ﵁ ، قَالَ : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ

عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ ، وَالْحَالِقَةِ ، وَالشَّاقَّةِ } .

وفي السند الثاني من هذا الحديث قال : { وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ } الرَّنَّةُ هو الصياح مع البكاء ، فالصوت يسمَّى رنة { قَالَا : ثُمَّ أَفَاقَ ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي وَكَانَ يُحَدِّثُهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ } أي حلَقَ الشعر { وَسَلَقَ } الصالقة أو السالقة هو رفع الصوت الشديد { وَخَرَقَ }أي خرق الثوب .

وفي السند الثالث قال : { لَيْسَ مِنَّا } وَلَمْ يَقُلْ { بَرِيءٌ } .

قوله ﷺ : { لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ } النساء عندما تصاب بمصيبةٍ بعضهنَّ تضرب وجهها ، وهذا عامٌّ في الرجال ، والنِّساء ؛ لكن هذا في النِّساء أكثر ، وهو أنَّ المرأة تلطم وجهها .

وقوله ﷺ : { أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ } قال النووي كما تقدم : " الشاقة هي التي تشق ثوبها عند المصيبة " اهـ .

قوله ﷺ : { أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ } يعني يقول : واناصراه ، واجبلاه ، وامعتصماه ، واكذا ... هذه هي دعوى الجاهلية ، وما كان معروفاً في الجاهلية من النياحة ، وما أشبه ذلك .

قوله ﷺ : { لَيْسَ مِنَّا } يعني ليس على طريقتنا ، ولا على سنتنا ،فالذي يعمل هذا العمل ، فهو ليس من المؤمنين الكُمَّل . وليس هذا معناه أنَّه حُكْمٌ

عليه بالخروج من الإسلام ؛ كما قد تقدَّم لنا عدة مرات[1]، وقد سبق أن قلت لكم أنَّ مسلماً رحمه الله أتى بهذه الأبواب في كتاب الإيمان ليرد بها على المبتدعة بجميع أصنافهم ؛ الخوارج : الذين يقولون بكفر صاحب الكبيرة ، وخلوده في النار . والمعتزلة : الذين يقولون هو في المنزلة بين المنزلتين ؛ وهو مخلَّدٌ في النار . والمرجئة : الذين يقولون لا تضر مع الإيمان معصية ، ويقولون إنَّ إيمانهم [2]وإيمان جبريل على حدٍّ سواء .

فهذه كلُّها عقائد بدعية ، ليست على طريقة السلف ؛ التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ ، وتابعوهم ، وأتباع الأتباع ، والأئمة الأربعة ، وأصحاب الحديث ، وأهل السنة والجماعة من أهل العلم ؛ والمعرفة ، والطريقة الحسنة في ذلك الزمن ، فمسلم رحمه الله يردُّ عليهم .

قوله رضي الله عنه : { أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ ، وَالْحَالِقَةِ ، وَالشَّاقَّةِ } أي ربما تكون الصالقة ، والحالقة ، والشاقَّة ؛ مسلمةً مصلية ؛ لكنَّها عند المصيبة تأتي بهذا ، وهذا لا يجوز ، ويجب عليها أن تذعن لحكم الله عز وجل : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١]

---

[1] كما تقدم في كتاب الإيمان الباب رقم ٢٧ – بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ؛ بلفظ : □ لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا □ وفي الباب رقم ٤٢ – بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : □ مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا □ولفظ : □ مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا □ وفي الباب رقم ٤٣– بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : □ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا □ .

[2] أي أصحاب الكبائر .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] فالنائحة معترضةٌ على القدر غير راضيةٍ به ، وكأنهَّا تقول بأنَّ هذا القدر في غير محلِّه – والله سبحانه وتعالى أعلم – ولهذا كانت النائحة متوعدة كما في صحيح مسلم رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال : { النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ }[1]يعني من حين تقوم من قبرها ؛ وهي لابسةً لهذا اللبس ؛ معجَّلٌ لها ، والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية ، فهذا الوعيد الشديد يجب أن يعلمه النساء ، ويجب أن يعلمه الرجال ؛ ويجب أن يتقوا الله من النياحة ، وما تجئ به النياحة [2] فإنَّ هذا أمرٌ مخالف لهدي الرسول ﷺ أمَّا بكاء العين ، وحزن القلب ؛ فهذا ليس فيه شيء ؛ لحديث : { أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ – ابنه ﷺ – فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَبَّلَهُ ، وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم برقم الحديث ٩٣٤ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

[2] أي من لطم الخدود ، وشقِّ الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية ؛ كما جاء في الحديث .

فَقَالَ ﷺ : إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ }[1] ، وفي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : { أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ ، فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَتَبْكِي؟ أَوَلَمْ تَكُنْ نَهَيْتَ عَنِ البُكَاءِ ؟ قَالَ : لاَ ، وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ ، خَمْشِ وُجُوهٍ ، وَشَقِّ جُيُوبٍ ، وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ } وفي رواية : { إِنَّمَا نُهِيتُ عَنِ النَّوْحِ , عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ لَعِبٍ وَلَهْوٍ وَمَزَامِيرِ شَيْطَانٍ } وهذا دليلٌ على تحريم الغناء { وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ , وَشَقِّ جُيُوبٍ , وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ , وَهَذَا رَحْمَةٌ , وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ , يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرُ حَقٍّ ، وَوَعْدُ صِدْقٍ , وَإِنَّهَا سَبِيلٌ مَأْتِيَّةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا حَتَّى يَلْحَقَ آخِرُنَا أَوَّلَنَا ؛ لَحَزِنَّا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا , وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ تَبْكِي الْعَيْنُ , وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ , وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ }[1] لهذا ينبغي للمسلم ؛ سواء

---

[3] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٣٠٣وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٣١٥ .

[1] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ١٠٠٥ وأخرجه الإمام الطحاي في شرح معاني الآثار برقم ٦٩٧٥ وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم ٦٨٢٥ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ٩٦٨٤ و٩٦٨٥وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ١٥٣٠وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٧١٥١ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ١٢١٢٤ وصحح الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٤٢٧ .

كان ذكراً أو أنثى ؛ أن يرضى بحكم الله ، وإن لم يرض ، فيصبر ، ودمع العين ، وخشوع القلب ، والبكاء لا شيء فيه . وإنَّما المحذور هو النياحة ، وأن تأتي المرأة تنشد لهم ، وتقول يا فلان ؛ يا صانع ؛ يا فاعل ؛ ثم تتصنع البكاء ؛ كما هو معروفٌ ؛ فهذا أمرٌ لا يجوز ؛ ومثل هذه يُحثى في فمها ، وفي وجهها التراب ؛ لأنَّ بعض الناس ربما يتعاطفون معها ؛ لكونها تمدح في ميّتهم ؛ أو في قريبهم ، وهذا كلام لا يصح ، ولا ينبغي للمسلم أن يقوله ، والنبي ﷺ يقول : { إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ }[1] ، وبالله التوفيق .

٤٥ - بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ

١٦٨ - (١٠٥) وَحَدَّثَنِي شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبُعِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ وَهُوَ ابْنُ مَيْمُونٍ ، حَدَّثَنَا وَاصِلٌ الْأَحْدَبُ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ } .

١٦٩ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ ، قَالَ : فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ } .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٣٠٠٢ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

١٧٠ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، **ح وَحَدَّثَنَا** مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُذَيْفَةَ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ : إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ } .

(التعليق)

أقول : النَّمام ، والقتَّات هما شيءٌ واحدٌ : وهو من ينقل الحديث على جهة الإفساد ؛ ينقله من شخصٍ إلى شخصٍ ، فيأتيه بما يقال فيه من القول السيئ ، ولا يأتيه بما يقال فيه من القول الحسن ؛ لأنَّه يريد أن يفسد ، ولهذا قالوا " يفسد النَّمام في ساعةٍ مالا يفسد الساحر في سنة " أو كلاماً نحو هذا .

فمن ينقل الحديث على جهة الإفساد فهو نمَّامٌ ، ولهذا كان النَّمام متوعَّداً بوعيدٍ ، وهو أنَّه لا يدخل الجنة .

ما معنى لا يدخل الجنة ؟ له تأويلان :–

التأويل الأول : أنَّه لا يدخل جنةً معيَّنةً ، وهي الجنان العليا ؛ التي يدخلها المؤمنون ؛ الذين ليس لهم كبائر ؛ أو لهم كبائر غُفرت لأنَّهم تابوا منها .

التأويل الثاني : أنَّه لا يدخل الجنة مع الداخلين الأولين ؛ وحينئذ فالنمام ، وغيره من أصحاب الكبائر لابدَّ لهم من دخول الجنة بعد أن يُطهَّروا ، وبعد أن يُنَقُّوا ، ويُعذَّبوا في النار ؛ بقدر ما يستحقون من العذاب ،

ثم بعد ذلك يخرجون من النارإلى الجنة ، ولكن بعد ماذا ؟ !! أهل الجنة يذهبون إلى الجنة ، ويلتقون بأزواجهم ، وخدمهم ، وفي مساكنهم يستريحون ، وبعد ذلك يتذكَّرون أصدقاءهم ؛ فلانٌ دخل الجنة ، وفلان ما جاء الجنة ، وهناك تبدأ المفاوضة في الشفاعة ، وأنَّ الشفعاء لا يستطيعون أن يشفعوا ؛ إلَّا بعد أن يؤذن لهم ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فمتى أَذِن الله للشافعين شَفَعوا ، وهل يكون ذلك بعد زمن طويلٍ أو قصير ؟ الله أعلم .

وإذا كنتَ يا هذا شجاعاً ، وعندك تحمُّلٌ ؛ فضع جمرةً تحت جنبك خمس دقائق فقط ، فهل ستتحمل النار مائة عام ؟ هل ستتحملها مائتي سنة ؟ هل ستتحملها خمسمائة عام ؟ هل ستتحملها ألف سنة ؟ وإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، وأنَّ نهاية كلَّ موحِّدٍ إلى الجنة ، وهذا هو قول السلف .

لكن ينبغي أن يضع كلَّ مسلمٍ نصب عينيه ؛ أنَّ النار من دخلها ربما يبقى فيها سنين ، ولا يستطيع أحدٌ أن يشفع له إلَّا بعد أن يأذن الله بالشفاعة ، ولكن متى يأذن الله بالشفاعة ؟ هل يأذن بالشفاعة بعد خمسين عاماً ؟ هل بعد مائة عام ؟ هل بعد مائتي عام؟ هل بعد ألف عام ؟ هذا شيء يعلمه الله . قال النووي رحمه الله : " قَالَ الْعُلَمَاءُ النَّمِيمَةُ نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ ؛ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِحْيَاءِ : اعْلَمْ أَنَّ النَّمِيمَةَ إِنَّمَا تُطْلَقُ فِي الْأَكْثَرِ عَلَى مَنْ يَنِمَّ قَوْلَ الْغَيْرِ إِلَى الْمَقُولِ فِيهِ ؛ كَمَا تَقُولُ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ فِيكَ بِكَذَا . قَالَ : وَلَيْسَتِ النَّمِيمَةُ مَخْصُوصَةٌ بِهَذَا ؛ بَلْ حَدُّ النَّمِيمَةِ كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ ؛ سَوَاءً كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوِ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ أَوْ ثَالِثٌ ، وَسَوَاءٌ كان الكشف بالنكاية أَوْ بِالرَّمْزِ أَوْ بِالْإِيمَاءِ ؛ فَحَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ إِفْشَاءُ السِّرِّ ، وَهَتْكُ

السِّتْرِ عَمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ ؛ فَلَوْ رَآهُ يُخْفِي مَالًا لِنَفْسِهِ ؛ فَذَكَرَهُ فَهُوَ نَمِيمَةٌ ؛ قَالَ : وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ ، وَقِيلَ لَهُ : فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ ؛ أَوْ يَفْعَلُ فِيكَ كذا ، فعليه ستة أمور :

الأول : أن لا يُصَدِّقَهُ ؛ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ .

الثَّانِي : أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَيَنْصَحَهُ ، وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ .

الثَّالِثُ : أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ الله تعالى .

الرابع : أن لا يظن بأخيه الغائب السوء .

الخامس : أن لا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ ، وَالْبَحْثِ عن ذلك .

السادس : أن لا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نُهِيَ النَّمَّامُ عَنْهُ ، فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ عَنْهُ ؛ فَيَقُولُ فُلَانٌ حَكَى كَذَا ، فَيَصِيرُ بِهِ نَمَّامًا ، وَيَكُونُ آتِيًا مَا نُهِيَ عَنْهُ ؛ هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ " انتهى ، وبالله التوفيق .

٤٦ - بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

١٧١ - (١٠٦) **حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { ثَلَاثَةٌ لَا

يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : { الْمُسْبِلُ ، وَالْمَنَّانُ ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ } .

وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهِرٍ ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ } .

وَحَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَقَالَ : { ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

١٧٢ – (١٠٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ – قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ : وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ – وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ } .

١٧٣ – (١٠٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا

يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ . وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا ، فَصَدَّقَهُ ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ } .

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح ، **وَحَدَّثَنَا** سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ ، أَخْبَرَنَا عَبْثَرٌ ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ ﷺ : { وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ } .

١٧٤ – وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : أُرَاهُ مَرْفُوعًا ، قَالَ : { ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى مَالِ مُسْلِمٍ ؛ فَاقْتَطَعَهُ } وَبَاقِي حَدِيثِهِ نَحْوُ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ .

(التعليق)

الحديث الأول عن أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } الله أكبر ؛ مغضوبٌ عليهم ، والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية { قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الْمُسْبِلُ ، وَالْمَنَّانُ ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ } .

قوله : { الْمُسْبِلُ } أي الذي يسحب ثوبه في الأرض ، وينزله تحت الكعبين ؛ هذا يعتبر مسبلاً ، وما أكثر الإسبال اليوم في الناس لماذا ؟ لأنَّه زعم لهم

إخوان الشياطين ؛ بأنَّ الإسبال للرجال تقدُّمٌ ، وأنَّ رفع المرأة ثيابها تقدُّمٌ أيضاً ، وأنَّ الرجل الذي يرفع ثيابه فوق الكعبين رجلٌ متأخر ما عنده ذوق ، وإن أنزلت المرأة ثيابها عن الكعبين ؛ فهي متأخرة أيضاً ، ما عندها ذوقٌ ، وأنَّ الذي عنده ذوقٌ ، ويكون متقدِّماً ، ومتحضِّراً ، هو الذي يوافق الشيطان ، ويخالف الرحمن :

أمر التقدُّم في الشباب عجيب عريت فتاةٌ والفتى محجوب

فالدرع منها نصف ساقٍ حدُّه والثوب في عرف الفتى مسحوب

فالمرأة قالوا لها لازم تكشف عن وجهها !! أو تزيل الخمار بالكلية ؛ حتى تَتَخَفَّف من الثياب ، ورأسها يكون مكشوفاً ، لكن الشاب ما تعرفه إلا بكلِّ كلفة .

من هو الذي أتى بهذه السنن ؟ إنَّه إبليس ، وتلاميذه ؛ الذين جاءوا بهذه السنن ؛ فالمرأة لابدَّ أن يكون ثوبها على الأقل إلى نصف الساق ؛ وإذا نزل ثوبها تحت نصف الساق ؛ فهي متأخرةً ، وتجد أيضاً الرجل وزوجته ؛ الرجل يجعل ثوبه تحت الكعب يسحب على الأرض ، وزوجته لابسةً إلى الركبتين ، حتى لو دفعت للرجل مالاً أن يلبس مثل لبس امرأته ما فعل ، ولو دفع لها مالاً على أنَّها تلبس مثل لبس زوجها ما فعلت ، ما السبب ؟ هو الخوف من كلام هؤلاء أن يقولوا عنهم متأخرين ، وأنَّ التحضر هو أن ترفع المرأة ثيابها ، والرجل ينزل ثيابه ؛ وهذه معاكسةٌ واضحة لأوامر الله عز وجل ، ومخالفة لأوامر رسوله ﷺ فهل يليق بالمسلمين أن يكونوا كذلك ؟ الجواب : لا والله ؛ أنترك أوامر ربنا ، وأوامر نبينا ﷺ للناعقين من إخوان الشياطين ؛ من السَّفلة ؛ الذين دعَّمتهم الماسونية ، ودفعتهم إلى الهاوية ، والعياذ بالله ، فلا يجوز ، ولا ينبغي للمسلم أن يكون كذلك

فيا عباد الله عليكم بالطريق الواضح ؛ الذي رسمه رسول الله ﷺ إن كنتم تريدون النجاة ، وإيَّاكم والطرق الملتوية ؛ التي يأتي بها الشياطين ، فقد قال عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : { خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللهِ ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ سُبُلٌ ؛ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ }[1] [الأنعام : ١٥٣] .

والذي ينبغي للمسلم أن يترك تلك الطرق ، ويأتي بالطريق الواضح ؛ الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ولأنَّك إذا سلكت هذه الطرق هلكت ، لأنَّها تخرجك عن الطريق الواضح ؛ الذي يوصل إلى الجنة ، وتذهب بك هذه الطرق إلى النار ، والعياذ بالله فعلينا جميعاً أن نتقي الله عز وجل ، وأن نعلم أنَّ الإسبال في حقِّ الرجل ؛ وهو أن ينزل الثوب إلى الكعب ؛ أو تحته . وأنَّ الإسبال [المأمور به] في حقِّ المرأة أن يزيد ثوبها على ذراع في الأرض ، وقد ورد في الحديث : { مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَكَيْفَ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٤١٤٢و٤٤٣٧ وأخرجه الإمام الدارمي في سننه برقم ٢٠٨ وأخرجه الإمام البزار في سننه برقم ١٦٧٧و١٦٩٤و١٧١٨ و١٨٦٥ وأخرجه الإمام المروزي برقم ١١و١٢ووأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ١١١٠٩و١١١١٠ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٦ و٧ وأخرجه الإمام الآجري في الشريعة برقم ١١ و١٢وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم ٢٩٣٨و٣٢٤١ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٩٧وأخرجه الإمام ابن بطة في الابانة الكبرى برقم ١٢٦و١٢٧و١٢٨و١٢٩ ، وحسن الحديث الإمام الألباني في مشكاة المصابيح برقم ١٦٦ .

يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ ؟ قَالَ : يُرْخِينَ شِبْرًا ، فَقَالَتْ : إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ ، قَالَ : فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا ، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ }[1] يعني أنَّ المرأة تجعل ثوبها ذراعاً زيادة في الأرض ، ولا تزيد على ذلك ؛ هذه هي السنة ؛ أمَّا اتباع الشياطين ، والعياذ بالله ، فهذا ضلال وقد سمعتم قوله ﷺ : { ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ... الْمُسْبِلُ } هذا واحدٌ منهم ، وهو الأول .

والثاني : { الْمَنَّانُ } وهو الذي يعطي العطية لله عزَّ وجل ، ثمَّ بعد ذلك يمنُّ بها عليه .

والثالث : { الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ } فسرته الرواية الأخرى : { وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا ، فَصَدَّقَهُ ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ } .

والحديث الثاني : { عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ – قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ : وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ – وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ } .

---

[2] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ١٧٣١من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال الترمذي : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ " وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٥١٧٣ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ٩٦٥٢ وفي سنن النسائي برقم ٥٣٣٦ ، وصحح الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٦٤ ولفظه : □ ذيل المرأة شبر ، قلت : إذن تخرج قدماها ؟ قال : فذراع ، لايزدن عليه □ .

فقوله : { شَيْخٌ زَانٍ } يعني رجلٌ كبيرٌ في السنِّ ، وهو مع ذلك زانٍ ؛ مع أنَّ الزِّنا كلُّه محرَّمٌ ؛ سواء كان من الشاب أو من الشيخِ الكبير ؛ لكنه في حقِّ الشيخ الكبير أعظم جرماً ، وبشاعة ؛ لماذا ؟ لأنَّ الإنسان الكبير كلَّما تقدَّمت به السن ؛ فشهوته تضعف ، فكيف يقْدِمُ على هذا ، وهو ما عنده استعداد حتى للحلال ، فلا يُقْدِمُ على الزنا في كِبَرِه إلَّا صاحب نفسٍ دنيئةٍ ؛ حقيرةٍ ؛ منحرفةٍ ؛ لذلك كان متوعَّداً بهذا الوعيد .

وقوله : { وَمَلِكٌ كَذَّابٌ } ومثله الأمير أو الوزير ؛ وغيرهم من أصحاب السلطةٍ ؛ ليسوا بحاجة أن يجاملوا الناس ، ويكذبوا عليهم ، وبخاصةٍ صاحب السلطة العليا ، فإذا كذَب ، فيُعدُّ هذا قدحاً فيه ، فلذلك كان متوعَّداً بهذا الوعيد .

قوله : { وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ } أي فقيرٌ ؛ وهو مع ذلك مستكبر ، وأذكر أنَّا حججنا في عام ١٣٦٩ هـ والمقامات لا زالت باقيةً في ذلك الوقت ، وكان رجلٌ مصري يتكلم ؛ وجاء بحديث قدسي وبحثت عنه ، ولم أجده ، ولفظه : { يقول الله : أحبُّ ثلاثاً ، وحبى لثلاث أشدُّ : أحبُّ السخاء ، وحبي للفقير السخي أشد . وأحبُّ المتواضعين ، وحبي للغني المتواضع أشد . وأحبُّ التوابين ، وحبي للشاب التائب أشد . وأبغض ثلاثاً ، وبغضي لثلاث أشد : أبغض البخلاء ، وبغضي للغني البخيل أشد . وأبغض المتكبرين ، وبغضي للفقير المتكبر أشد . وأبغض الفُسَّاق ، وبغضي للشيخ الفاسق أشد } .

وفي الحديث الثالث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ . وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا ، فَصَدَّقَهُ ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ } .

قوله : { رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ } الفلاة هو المكان الخالي ، والمكان الخالي لا يجوز منع الماء فيه ؛ لأنَّ الناس بحاجةٍ فيه إلى الماء ، فمن منع الماء فيه ؛ فإنَّه قد أتى جرماً كبيراً ؛ وحتى الدَّواب في الفلاة ؛ لا يجوز لك أن تمنع الماء عنها ، وقد ورد في الحديث : { أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا }[1] وفي الصحيحين : { عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا ، إِذْ حَبَسَتْهَا ، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ }[1] فإذا كانت الحيوانات لا يجوز أن تُمْنَع من فضل الماء ، فمنع بني آدم أشدُّ جرماً ؛ لأنَّهم محترمون ؛ لذلك فإنَّه يجب أن يبذل الماء لمن يحتاجه ، وإذا منعه ؛ فإنَّه يعدُّ معتدياً .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ٢٢٤٥ من حديث أبي هريرة ﷺ .

[2] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٢٤٢ و٢٢٤٣ و٢٦١٩، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٣٦٥و٣٣١٨ و٣٤٨٢ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

قوله : { وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا ، فَصَدَّقَهُ ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ } أي أنَّ اليمين إذا كانت غموساً ؛ فهي محرمة ؛ لكن إذا كانت بعد العصر ؛ فهو يكون من التغليظ الزماني ، والتغليظ المكاني ؛ أن يحلف عند المنبر في الجامع بعد العصر ؛ لقد أعطي في السلعة كذا وكذا [وهو كاذب] فصدَّقه ذلك الرجل ، وأعطاه المال ، فإنَّه يعتبر قد أتى جريمةً عظيمةً ؛ لحلفه على الكذب ، والعياذ بالله . ومثله أيضاً حديث : { رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى مَالِ مُسْلِمٍ ؛
فَاقْتَطَعَهُ } فلا يجوز الحلف على مال مسلمٍ ، ولا يجوز اقتطاعه .

قوله : { وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ } قال النووي رحمه الله : " وأمَّا مبايع الإمام على الوجه المذكور ، فمستحقٌّ هذا الوعيد ؛ لغِشِّه المسلمين ، وإمامهم ، وتسبُّبه إلى الفتن بينهم بِنُكْثِه بيعته لاسيما إن كان ممن يقتدى به ، والله أعلم " وبالله التوفيق .

٤٧ – بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ

١٧٥ – (١٠٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا } .

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ **ح وَحَدَّثَنَا** سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْثَرٌ **ح وَحَدَّثَنِي** يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كُلُّهُمْ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ . وَفِي رِوَايَةِ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ : سَمِعْتُ ذَكْوَانَ .

١٧٦ – (١١٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامِ بْنِ أَبِي سَلَّامٍ الدِّمَشْقِيُّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، أَنَّ أَبَا قِلَابَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ ﵁ ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ } .

حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو قِلَابَةَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ } .

١٧٧ – حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ، كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ الْأَنْصَارِيِّ ﵁ **ح وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﵁ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الْإِسْلَامِ ، كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا ، فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ ، عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ }

هَذَا حَدِيثُ سُفْيَانَ ، وَأَمَّا شُعْبَةُ فَحَدِيثُهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الْإِسْلَامِ ، كَاذِبًا ، فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ ، ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

١٧٨ – (١١١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رافعٍ ، وعبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، جميعًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، قَالَ ابْنُ رافعٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ : { هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ } ،
فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، الرَّجُلُ الَّذي قُلْتَ لَهُ آنِفًا : { إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ } فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقَدْ مَاتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ { إِلَى النَّارِ } ، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : { اللهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ } ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ : { أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ } .

١٧٩ – (١١٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ – حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ – عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالُوا : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ

النَّارِ } ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ ، قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : { وَمَا ذَاكَ ؟ } قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا : { أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ } ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : { إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ } .

١٨٠ – (١١٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ ﷺ ، يَقُولُ : { إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَةٌ ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَكَأَهَا ، فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، قَالَ رَبُّكُمْ : قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : إِي وَاللهِ ، لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ .

١٨١ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ ، يَقُولُ : حَدَّثَنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، فَمَا نَسِينَا ، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { خَرَجَ بِرَجُلٍ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خُرَّاجٌ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ } .

(التعليق)

أورد الإمام مسلم رحمه الله من طريق وَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : { قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا } ثم أورد الحديث أيضاً من طريق عَبْثَرٌ بن القاسم ، ومن طريق خَالِدٌ قال حدثنا شُعْبَةُ ، وشعبة حدث عن الأعمش ، وفيه أنَّ الأعمش صرَّح بالسَّماع ؛ لأنَّ الأعمش مدلس ، والمدلس لايقبل حديثه إذا عنعن . أمَّا من ناحية المعنى ، فهو واضح ، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ؛ خلق نفسه ، وخلق جسمه ، والكل ملكٌ لله عزَّ وجل ، وليس ملكاً للشخص نفسه ؛ أعضاؤك ليست ملكاً لك ، وإنَّما ملك لله الذي خلقها ؛ روحك ليست ملكاً لك ، وإنَّما هي ملكٌ لله الذي خلقها ؛ فلايجوز لك أن تتصرف فيها بشيءٍ أبداً ، وإن فعلت ؛ فإنَّك قد أتيت جريمةً من الجرائم ؛ فالذي يقتل نفسه ؛ يظنُّ أنَّ نفسه له أو روحه له ؛ وليست كذلك ؛ إنَّما هي لله . إذن فلايجوز له أن يفعل ذلك ، فإن فعل ؛ عُذِّب بما قتل به نفسه ، في البرزخ ، وفي نار جهنم ، فإن قتل نفسه بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ } يقال وجأه إذا دقه ، أي أدخل الحد في جسمه { بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ } أو في بئرٍ أو في هاويةٍ فهوى : { فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا } .

يؤخذ من هذا الحديث :

١- أنَّ قتل النفس كبيرةٌ ، وجريمةٌ من الجرائم .

٢- أنَّ الإنسان يعاقب على قتل نفسه عقاباً شديداً .

٣- فيه ردٌّ على المرجئة الذين يقولون أنَّه لايضرُّ مع الإيمان ذنبٌ ، فالذنوب تضرُّ صاحبها ، وهذا قد قتل نفسه ؛ فلذلك عذب مع أنَّه قتل نفسه .

٤- قوله : { خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا } فهذا يُتأوَّل على أنَّ المراد به المستحل ، ويتأوَّل على أنَّ المراد بالخلود طول المكوث ؛ يقال إذا حكم على شخصٍ بالسجن خمسين عاما ؛ قالوا سجن مؤبد ؛ يعني ما دامت حياته .

إذن فالتأبيد أو التخليد طول المكث في نار جهنم ، والعياذ بالله ؛ ولاشكَّ أنَّ الأمر البسيط من المخالفات عقابه فوق ما نتصور ، وإذا كان النبي ﷺ يقول : { لَوْ يَعْلَمُ المارُّ بَيْنَ يَدَيِ المصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي ، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ شَهْرًا ، أَوْ سَنَةً } [1]وفي رواية : { أربعين خريفاً }[2] يعني بدلاً من أن يقف عن المرور دقيقتين أو ثلاث أو خمس دقائق ؛ كان الإثم المترتب عليه من العقاب ما لو وقف أربعين سنة ؛ أهون عليه من المرور بين يدي المصلي .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٥١٠ واللفظ له وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٥٠٧

[2] الحديث أخررجه البزار في البحر الزخار ج٩/ ٢٣٩ .

فإذا كان هذا العقاب في المرور بين يدي المصلي ؛ فما بالك إذا كان الإنسان قد قتل نفسه ؛ فإنَّ العقوبة تكون عليه أشد .

الحديث الثاني قال : { **حَدَّثَنَا** يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامِ بْنِ أَبِي سَلَّامٍ الدِّمَشْقِيُّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، أَنَّ أَبَا قِلَابَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ ﵁ ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } يعني أنَّه من أهل بيعة الرضوان { وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ } يعني إذا لم يفعل كذا ، أو فعل كذا ؛ فهو يهودي ، أو نصراني أو مجوسي ؛ أو ما أشبه ذلك من ملل الكفر ؛ من قال هذا الكلام ؛ فإنَّه يلزم من قوله هذا الكذب ، لأنَّ إذا حلف بهذه الملة ، فهو قد عظَّمها ، فإذا عظَّمها ، فهو كاذبٌ في تعظيمه إياها .

وقوله : { فَهُوَ كَمَا قَالَ } أي يؤدي حلفه هذا إلى أنَّه يقع عليه ما وصف نفسه به من اليهودية أو غيرها ، والعياذ بالله .

ثم قال في الحديث : { وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } هذا مثل الحديث الأول حديث أبي هريرة ﵁ إلاَّ أنَّه بصيغةٍ مجملة { وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ } يعني إذا نذر إنسانٌ أنَّه ينحر جمل فلانٍ أو يذبح بقرةٍ فلانٍ ؛ وهو لايملك ذلك الجمل أو تلك البقرة ؛ فإنَّه لايلزمه الوفاء بهذا النذر ،

وقد جـــاء في حـــديث عمـــران بن حصـين ﷺ قال : { حَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَضْبَاءَ [1] لِرَحْلِهِ ، قَالَ : فَأَغَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ ، فَذَهَبُوا بِالْعَضْبَاءِ ، قَالَ : فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهَا ، وَأَسَرُوا امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا كَانَ اللَّيْلُ يُرِيحُونَ إِبِلَهُمْ فِي أَفْنِيَتِهِمْ ، قَالَ : فَنُوِّمُوا لَيْلَةً ، وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ ؛ فَجَعَلَتْ لاتَضَعُ يَدَهَا عَلَى بَعِيرٍ إِلَّا رَغَا ؛ حَتَّى أَتَتْ عَلَى الْعَضْبَاءِ ، قَالَ : فَأَتَتْ عَلَى نَاقَةٍ ذَلُولٍ مُجَرَّسَةٍ ، قَالَ : فَرَكِبَتْهَا ، ثُمَّ جَعَلَتْ لِلَّهِ عَلَيْهَا إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ لَتَنْحَرَنَّهَا ، قَالَ : فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ عُرِفَتِ النَّاقَةُ نَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَجِيءَ بِهَا ، وَأُخْبِرَ بِنَذْرِهَا ، فَقَالَ : بِئْسَ مَا جَزَيْتِيهَا – أَوْ جَزَتْهَا – إِنِ اللَّهُ أَنْجَاهَا عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا ؛ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ }[2] .

الطريق الثاني لهذ الحديث جاء فيه : { لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ } فلايجوز لعن المؤمن ، وكثيرٌ من الناس ، والعياذ بالله ؛ يعوِّدون ألسنتهم على اللعن ، وربما يظن الأب حينما يلعن ابنه ؛ أنَّه لاشيء في ذلك ، فهو حينما يلعن ابنه يلعن نفسه ، وربما يلعن والدي ابنه ، فيلعن نفسه ، ويلعن زوجته ، والعياذ بالله ، وربما يضيف إلى والديه في اللعن والدي والديه ؛ فيدخل أباه وأمه ،

---

[1] ناقة رسول الله ﷺ كما في هذا الحديث .

[2] الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم الحديث ٣٣١٦ واللفظ له ، وأخرجه الإمام أبو عوانة في مستخرجه برقم ٥٨٤٥ وأخرجه الإمام البيهقي بنحوه في معرفة السنن والآثار برقم ١٨١٨٤.

وأبا زوجته ، وأمها ، وهذا خطأٌ فاحشٌ ، ونسأل الله العفو والعافية ، وإذا كان النبي ﷺ يقول : { لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ } فلعن المسلم كبيرةٌ من الكبائر كالقتل الذي هو جريمة عظيمة ، ومستنكرة عند كلِّ أحدٍ .

ثم قال : { وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً } معناه أن يأتي إنسانٌ ، فيقول : أنا علي غرامة أو دين ، وأنا أريد منكم معاونتي في سدادها ، وهو كاذب ليس عليه غرامة ، وربما يأخذ صك لغيره فيه حكم على أشخاص في دياتٍ ، فيتسول به الناس ليأخذ أموالهم تكثراً ، فهذا يأخذ ويأكل سحتاً ، والعياذ بالله .

ثم قال : { وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ } أو { يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ } أي حلف بالله كاذباً أنَّه فعل كذا ، وهو لم يفعل ؛ أو أنَّه لم يفعل كذا ، وهو قد فعله ، وهذه هي اليمين الغموس ، وقد ورد في الحديث : { مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } [1]وفي رواية : { مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : { وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ }[2] فكيف إذا كان قطعةً من الأرض أو شيئاً مقدراً من المال ، والعياذ بالله ؛ فإنَّ هذا يكون أعظم ، والعياذ بالله .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٥٤٩ و ٦٦٧٦ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٣٨ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

[2] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صححيه برقم الحديث ١٣٧ من حديث أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه وقد سبق شرحه وبيانه في بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ ؛ فليراجع .

والشاهد من الحديث : { وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .
ثمَّ أورد الرواية التي بعده ؛ وكلها تكريرٌ لما سبق ؛ ليبيّن صحة الحديث الثاني ، وأنَّه حديثٌ مشهور ورد من طرقٍ عن ثابت بن الضحاك ﷺ .

والحديث الثالث حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : { شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا } حكم بالوهم على كلمة { حُنَيْنًا } وقيل الأصح أنَّ المراد خيبراً ، وليست حنيناً { فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ : هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، الرَّجُلُ الَّذي قُلْتَ لَهُ آنِفًا : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقَدْ مَاتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِلَى النَّارِ ، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ } فإذا كان هذا الذي يقاتل قتالاً شديداً ، ويقاتل عن كلمة الله ، وعن رسول الله ﷺ ، وعن دين الله يكون من أهل النار ؛ كيف يكون هذا ؟ ولكن الرسول ﷺ لاينطق عن الهوى ، فكلامه ﷺ وحيٌ من الله ، وعند ذلك تبيَّن أنَّ الرجل قتل نفسه ، والعياذ بالله ، ولذا قال : { فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : اللهُ أَكْبُرُ ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ : أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ } .

فقول النبي ﷺ : { إِلَى النَّارِ } يحمل على أنَّه قال كلمة الإسلام ، ولم يؤمن بالإسلام قبل هذا ، ومعناه أنَّه كان منافقاً ؛ أظهر الإسلام ، لم يكن عليه حقيقة .

ويحتمل أن يكون المراد بدخول النار أنَّه يدخلها ، ويعذب فيها ، وتكون نهايته إلى الجنة ، إذا كان عنده شيءٌ من الإسلام ، ولكنَّه كان فاجراً .

وقوله : { ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ : أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ } وفي رواية البخاي : { قُمْ يَا فُلاَنُ ، فَأَذِّنْ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ}[1] الإيمان والإسلام إذا أطلق كلُّ واحدٍ على انفراده دخل فيه الآخر ، ثمَّ قال : { وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ }[2] .

والحديث الرابع في نفس قصة الحديث الثالث إلا أنَّ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ حفظ القصة أكثر : { أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً }

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٢٠٣ و٦٦٠٦ .

[2] قال الشيخ أبو الحسن محمد الهروي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح في ج٩ / ٣٧٩٤ برقم الحديث ٥٨٩٢ في باب المعجزات : " أَي: الْمُنَافِقِ أَوِ الْفَاسِقِ مِمَّنْ يَعْمَلُ رِيَاءً أَوْ يَخْلِطُ بِهِ مَعْصِيَةً، وَرُبَّمَا يَكُونُ عَمَلًا بِهِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَالْجُمْلَةُ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ دَاخِلَةً تَحْتَ التَّأْذِينِ، أَوِ اسْتِئْنَافُ بَيَانٍ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْقَائِلِينَ. وَمِنْ نَظَائِرِهِ مَنْ يُصَنِّفُ أَوْ يُدَرِّسُ أَوْ يُعَلِّمُ أَوْ يَتَعَلَّمُ أَوْ يُؤَذِّنُ أَوْ يَؤُمُّ أَوْ يَأْتَمُّ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، كَمَنْ يَبْنِي مَسْجِدًا أَوْ مَدْرَسَةً أَوْ زَاوِيَةً لِغَرَضٍ فَاسِدٍ وَقَصْدٍ كَاسِدٍ مِمَّا يَكُونُ سَبَبًا لِنِظَامِ الدِّينِ وَقَوَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَاحِبُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَحْرُومِينَ، جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُخْلِصِينَ بَلْ مِنَ الْمُخْلَصِينَ " انتهى .

وفي رواية : { وَلَا فاذَّةٍ [1] إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالُوا : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ ، قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ } أي مقبض السيف { وَذُبَابَهُ } أي طرف سيفه الذي يضرب به { بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا : أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ } يعني أنَّ بعض الناس يعمل بعمل أهل الجنة ، وهو يريد من ذلك غرضاً دنيوياً ، ولم يقاتل من أجل إعلاء كلمة الله ، وإنَّما فعل ذلك متأثراً بعصبية أو حميةً أو رغبةً في ثناءٍ أو رغبةٍ في مغنمٍ أو ما أشبه ذلك وقد جاء في حديث في أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : { جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ : يُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[1] .

---

[1] أخرجها الإمام البخاري في صحيحة برقم الحديث ٢٨٩٨ و٤٢٠٢ و٤٢٠٧ مختصراً .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٧٤٥٨ .

ثم الشهيد يا أخي من قُتلا في نصر دين الله جلَّ وعلا
ولم يكن يدفعه حبُّ الثَّنا ولا اكتساب مغنمٍ في ذي الدنا
ولم يكن منفعلاً بالغضب لنُصرة الباطل بالتَّعصبِ[٢]

ثم قال ﷺ : { وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ } يعني أنَّ الله يختم له بعمل أهل الجنة ، فيكون من أهل الجنة .

ثم أورد الحديث الخامس حديث جندبُ بن عبد الله ﷺ الذي رواه الْحَسَنَ البصري ، وقد اختلفت في رواية الحسن البصري عن جندب بن عبد الله ، وهو قد صرَّح هنا بأنَّه قد سمع منه ، فقال يَقُولُ : { إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَةٌ } وفي الرواية الثانية : { بِه خُرَّاجٌ } { فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَكَأَهَا ، فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، قَالَ رَبُّكُمْ : قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } هذا يحمل على عدة محامل :

١- أن يكون في ملتهم أنَّ الكبائر صاحبها يخلد في النار ، والله سبحانه وتعالى يشرع ما يشاء لعباده .

٢- أنَّه يحمل على من فعل ذلك مستحلاً .

---

[٢] انظر منظومة صيحة حق في صماخ الباطل لشيخنا أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله ص٢٢ بعنوان الشهيد وفضل لشهيادة .

٣- أنَّ المراد بقوله : { قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } أنَّ المراد به جنةً معينة ، وهي الجنات الخاصة بالمؤمنين الذين يسكنون في درجاتها العليا ، وقد ورد في الحديث : { فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ }[1]وهناك درجات في الجنة نازلة يسكنها العصاة ؛ الذين يعذَّبون في النار ، ثمَّ بعد ذلك يدخلون الجنة ، وقيل بـ{ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } ألا يدخلها مع الداخلين الأولين ، وبالله التوفيق .

٤٨ - بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ

١٨٢ - (١١٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ أَبُو زُمَيْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : فُلَانٌ شَهِيدٌ ، فُلَانٌ شَهِيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ ، فَقَالُوا : فُلَانٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : {كَلَّا ، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ - }

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٧٩٠ و٧٤٢٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ } قَالَ : فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ : أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ .

١٨٣ - (١١٥) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدُّؤَلِيِّ ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي الْغَيْثِ ، مَوْلَى ابْنِ مُطِيعٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، **ح وَحَدَّثَنَا** قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَهَذَا حَدِيثُهُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ ، عَنْ ثَوْرٍ ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا ، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ ، فَقُلْنَا : هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الشِّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ } قَالَ : فَفَزِعَ النَّاسُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ } .

(التعليق)

أقول : ما زال الإمام مسلم رحمه الله تعالى يردُّ على الخوارج ، ويردُّ على المرجئة الذين يقولون أنَّ الإيمان لايضر معه ذنبٌ ، وفي هذا الباب تحريم

الغلول ، والغلول : هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] من غلَّ أي أخذ شيئاً من الغنيمة ؛ اختزله لنفسه ؛ ولم يدخله في الغنائم ، فإنَّه حينئذٍ يعتبر قد أتى كبيرةً من الكبائر ، ولو كان شيئاً قليلا ؛ فإنَّ الغلول محرمٌ في شريعتنا ، ومحرمٌ في شرائع من قبلنا ؛ وقد جاء في الحديث الصحيح : { غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا ، وَلَمَّا يَبْنِ ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا ، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا ، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا – أَوْ خَلِفَاتٍ – وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا ، قَالَ : فَغَزَا فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ : أَنْتِ مَأْمُورَةٌ ، وَأَنَا مَأْمُورٌ ، اللهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا ، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ ، فَقَالَ : فِيكُمْ غُلُولٌ ، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ ، فَبَايَعُوهُ ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : فِيكُمُ الْغُلُولُ ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ ، فَبَايَعَتْهُ ، قَالَ : فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، فَقَالَ : فِيكُمُ الْغُلُولُ ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ ، قَالَ : فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ ، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا ، فَطَيَّبَهَا لَنَا }[1] وجاء في الحديث : { لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِقَوْمٍ سُودِ الرُّءُوسِ قَبْلَكُمْ ، كَانَتْ تَنْزِلُ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٧٤٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

بَدْرٍ أَسْرَعَ النَّاسُ فِي الْغَنَائِمِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ } [الأنفال : ٦٩][1] وقوله ﷺ : { بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ ؛ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي }[2]فشرع الله لأمةِ محمدٍ ﷺ الجهاد ، وأعطاهم الغنائم رحمةً بهم ، وإكراماً لهم ، ونظراً إلى ضعفهم ، ولكن حرم عليهم الغلول ، فلايجوز لأحدٍ أن يأخذ من الغنيمة شيئاً إلاَّ أنَّ النبي ﷺ أباح المأكول ؛ أمَّا غير المأكول فلا [3]، فمن أخذ شيئاً ، ولو كان شراكاً ، وأخفاه ، ولم يضعه في الغنيمة ، فإنَّه

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٧٤٣٣ وأحرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٠٨٥ وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ٩١٣٩ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ١١١٤٥ وأخرجه الإمام ابن الجارود في المنتقى برقم ١٠٧١ وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٣٣١٠ وأخرجه الإمام الطحوي في شرح معاني الآثار برقم ٥٣٦٠ و٥٣٦١ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٤٨٠٦ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٢٧٠٨ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٦٧٤٠ والحديث صححه الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢١٥٥من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٥١١٤ و٥٦٦٧ وأخرجه الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٢٣١ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ١١٥٤ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ١٩٤٠١ و١٩٤٣٧ و٣٣٠١٠ وصحح الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٢٦٩ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

[3] استدل الجمهور على جواز الأكل من الغنيمة قبل قسمتها بما روي في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنَّا نصيب العسل والفواكه في مغازينا فنأكله ولانرفعه انظر لنحوه في المنتقى شرح الموطأ ج٣/١٨٣ باب ما يجوز للمسلمين أكله قبل الخمس ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ج٦ /

يعتبر قد غلَّ ؛ كذلك أيضاً أخذ الهدايا من العمال غلول كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال : { هَدَايَا الْعُمَّالِ غُلُولٌ }[1] وفي رواية : { هَدَايَا الْأُمَرَاءِ غُلُولٌ }[2] فإذا كنت رئيساً في دائرةٍ ما ، وأتاك أحد المرؤوسين لك بعد غيابه بهدية ، فلا شكَّ أنَّ هذه الهدية ، لو لم تكن رئيساً عليه ما أهداك ، ولاشكَّ أنَّ هذه الهدية يريد من وراءها شيئاً ، وكذلك إذا كان رجلٌ أميراً على بلد ؛ فإنَّه لايجوز له أن يأخذ من أهل ذلك البلد هدية

---

٢٥٦ باب ما يصيب المجاهد من الطعام ، وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج١٥ / ٧٦ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب ، والقسطلاني في راشاد الساري بشرح صحيح البخاري ج٥ / ٢٢٨ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب .

واستدلوا بالأثر عن عبد الله بن أبي أوفى قال : □ أصبنا طعاماً يوم خيبر وكان الرجل يأخذ منه بمقدار ما يكفيه ثم ينصرف □ رواه أبو داود في سننه برقم الحديث ٢٧٠٤ وصححه ابن الجارود ٣/ ٣٢٩ برقم ١٠٧٢، والحاكم، كتاب قسم الفيء ٢/ ١٣٣، ١٣٤.

واستدلوا أيضاً : □ بما كتب صاحب جيش الشام إلى عمر : أنَّا أصبنا أرضاً كثيرة الطعام والعلف ، وكرهت أن أتقدَّم في شيءٍ من ذلك ، فكتب إليه عمر : دع الناس يعلفون ويأكلون ، فمن باع منهم شيئاً بذهبٍ أو فضةٍ ، ففيه خمس الله ، وسهام المسلمين □ رواه سعيد بن منصور في سننه برقم الحديث ٢٧٥٠ والبيهقي في السنن الكبرى برقم ١٨٠٠٢ وابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٣٣٣٠ .

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٣٦٠١وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم ٣٧٢٣ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الصغير برقم ٣٢٦٦ ، وصحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في إرواء الغليل برقم ٢٦٢٢ من حديث أبي سعيد الساعدي رضي الله عنه .

[2] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط برقم الحديث ٤٩٦٩و٧٨٥٢ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٢٠٤٧٤ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٢١٩٥٨ وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد برقم ٦٧٤٣ ، من حديث جابر رضي الله عنه .

وكذلك إذا كان ذلك الرجل حاكماً شرعياً ، فأنَّه لايجوز له أن يأخذ من أهل ذلك البلد هديةً ، فهذا كلُّه يعتبر غلولاً .

إذن فالأصل في الغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها ، لكن يدخل فيه أيضاً الرشاوى ، والهدايا ، التي يعملها الناس [لرؤوسائهم] فمن غلَّ فإنَّه متوعدٌ بما يأخذه ؛ وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال : { خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا ، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ ، فَقُلْنَا : هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الشِّمْلَةَ — البطانية – لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ ، قَالَ : فَفَزِعَ النَّاسُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ }[1] ، وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم ٤٢٣٤ و٦٧٠٧ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١١٥واللفظ له .

٤٩ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنْ قَاتِلَ نَفْسِهُ لَا يَكْفُرُ

١٨٤ - (١١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، جَمِيعًا عَنْ سُلَيْمَانَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ ؟ - قَالَ : حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ ، فَمَرِضَ ، فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ ؟ فَقَالَ : غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ ؟ قَالَ: قِيلَ لِي : لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ } .

(التعليق)

أقول : هذا الحديث دليلٌ على أنَّ قاتل نفسه ، لايَكْفُر ، لكنَّه أتى كبيرةً يعاقب عليها ، فإن شاء الله عاقبه ، وإن كانت له أعمالٌ حسنةٌ ربما أنَّ الله يعفو عنه .

وإذا عاقبه ، فإنَّ الله يعاقبه بقدر جنايته ، ثمَّ تكون نهايته إلى الجنة ، وهكذا كلَّ من مات على التوحيد ؛ لابدَّ أن تكون نهايته إلى الجنة .

فهذا الحديث فيه دليلٌ لأهل السنة والجماعة أنَّ أصحاب الكبائر لايُكَفَّرون ؛ بل هم على إسلامهم ، ونقول لصاحب الكبيرة مسلمٌ بإسلامه ، وفاسقٌ بكبيرته ، وأمره إلى الله إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة ، وإن شاء عاقبه بقدر جنايته ، ثمَّ أدخله الجنة .

وفيه دليلٌ على الخوارج الذين يكفرون بالكبيرة ، ودليلٌ على المعتزلة الذين يقولون في صاحب الكبيرة هو في منزلةٍ بين المنزلتين ، وأنَّه مخلدٌ في النار كالخوارج . بل إنَّ صاحب الكبيرة لايخلد في النار ، وإن عوقب فيها .

وفيه أيضاً ردٌّ على المرجئة الذين يقولون لايضر مع الإسلام ذنب .

فهذا الحديث يبين لنا أنَّ الكبائر لايُكفَّر بها ، وأنَّ التكفير بها من مذاهب المبتدعة ؛ أمَّا أهل السنة والجماعة يقولون مؤمنٌ بإيمانه ، فاسقٌ بكبيرته ، وهو تحت المشيئة في الآخرة ، إن شاء الله عفا عنه ، وأدخله في الجنة ، وإن شاء عذبه في النار بقدر جنايته ، ثمَّ تكون نهايته إلى الجنة ؛ وأنَّ التخليد في النار في الأحاديث السابقة بمعنى طول البقاء في العذاب ، ولنفترض أنَّ شخصاً عُذِّب يوماً أو نصف يومٍ من أيام الآخرة ، والذي هو خمسمائة عام ؛ أليس هذا يُعدُّ تخليداً ؟ وأنَّ قاتل نفسه أو من قتل غيره ؛ فهو وإن حصل له من العذاب ، فإنَّه يرجو بعد ذلك رحمة الله ، وقد قيل : " أنَّ الحجاج بن يوسف رؤي في المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ، قال : قتلني بكل قتيلٍ قتلته قتله ،

وقتلني بسعيد بن جبير سبعين ، قتله ، وأنا أرجو ما يرجوه الموحدون "[1] فإذا كان الأمر هكذا ، فلا شكَّ أنَّ نهاية عذاب من قتل نفسه أو قتل غيره ؛ أنَّه لابدَّ له من دخول الجنة ، ولكن بعد عذابٍ طويلٍ وأليمٍ ، ووبيل ، ونسأل الله العفو والعافية ، وبالله لتوفيق .

٥٠ - بَابٌ فِي الرِّيحِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ الْقِيَامَةِ ، تَقْبِضُ مَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ

١٨٥ - (١١٧) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَبُو عَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ } .

(التعليق)

أقول : لما كان عبد العزيز الدراوردي ، فيه مقال ، عند ذلك أتي به مقروناً ؛ لأنَّه ليس فيه إلاَّ هذ ا السند ، فيقول : { **حَدَّثَنَا** أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ ،

---

[1] ورد في كتاب كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري ج١ / ٢٩٦ بلفظ : " فلما حضرت الحجاج الوفاة، كان يغيب ثم يفيق ويقول: مالي ولسعيد بن جبير؟ وقيل: إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذًا بمجامع ثوبه، ويقول له: ياعدو الله فيم قتلتني؟ فيستيقظ مذعورًا، ويقول: مالي ولسعيد بن جبير؟ ويقال: إن الحجاج رُئِيَ في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك، فقال: قتلني بكل قتيل قَتَلْتُهُ قتلةً، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلةً "

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَبُو عَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ } يعني قرنه برجلٍ آخر ؛ ليكون صحيحاً ؛ لأنَّ مثل عبد العزيز لايروي له مسلمٌ إلَّا في المتابعات ، ولما جاء الحديث بسندٍ واحدٍ أتى به مقروناً ، فقرنه بغيره .

وأقول أيضاً : بعد ما انتهى من ذكر الأعمال ، دخل في أشياء أخرى مما يتعلق بالإيمان ، وهي علامات القيامة القريبة منها ، وهو أنَّ الله عزَّ وجل بعد أن يُنزل عيسى عليه السلام ، ويقتل الدجال ؛ وبعد أن يموت يأجوج ، ومأجوج ؛ تصير سنون ؛ يظهر فيها العدل ، ويتآخى فيها الناس ، وتعود فيها بركة الأرض مدةً ، ثمَّ بعد ذلك يأمر الله هذه الريح ، فتقبض روح عيسى عليه السلام والمؤمنين معه ، ولايبقى على وجه الأرض أحدٌ يقول الله الله .

إذن هذه الريح ريحٌ ليِّنة أي يجعلها الله رحمةً بالمؤمنين ؛ لكنَّهم يقبضون كلُّهم ، ولايبقى فيها إلَّا شرار الخلق ، وبالله التوفيق .

٥١ - بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ

١٨٦ - (١١٨) حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا } .

(التعليق)

أقول : في هذا الحديث أمرٌ بالمبادرة بالأعمال قبل أن تأتي تلك الفتن ، والفتن الآن نسمعها في كلِّ يومٍ وليلةٍ ؛ فيما يحيط بنا ، وفيما هو حولنا ؛ ونحن [1]ما زلنا في خير ، ولكن هذا الخير ؛ نخاف أن يزول ، ونخاف أن ينتقص ؛ لأنَّا في نعمٍ ؛ نعمة الأمن ، ونعمة رغد العيش ، ووسائل مريحة تريح الإنسان ، وكلُّ شيءٍ ميسر بفضل ربنا سبحانه وتعالى ونعمٌ أخرى الله أعلم بها ؛ أليست هذه النعم ؛ تطلب شكراً للذي أنعم بها ، وأسداها ؟ بلى ؛ أليس الذي أسدى هذه النعم ، ومنَّ بها ، وأعطانا إياها غيورٌ على محارمه ؟ بلى ؛ ولذا يجب علينا جميعاً أن نتآمر بالمعروف ، ونتناهى عن المنكر ، وأن يقيم كلَّ واحدٍ منَّا أمر الله على نفسه ، وعلى من حوله بقدر المستطاع ؛ فإن تركنا الأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر ؛ أو استعنا بهذه النعم على معصية الله ؛ فإنَّ الله غيورٌ ، وقويٌّ ، وقديرٌ سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ونخشى أن يغيِّر الله علينا إذا غيَّرنا ؛ فلهذا الذي يجب علينا جميعاً أن نحرص على استعمال هذه النعم في طاعة الله سبحانه وتعالى ، والحذر من أن نصرفها في معصية الله ؛ وإلاَّ فإنَّ الله عزَّ وجل يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ ﴾ [الرعد : ١١] فعلينا أن نتقي الله جميعا ،

---

[1] أي في المملكة العربية السعودية .

ولنعمل بهذا الحق : { بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ } أي الليل الذي لاقمر فيه { يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا } وفي رواية : { بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا ، مَا تَنْتَظِرُونَ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ كِبَرًا مُفَنِّدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ مُنْتَظَرٌ ، أَوِ السَّاعَةَ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ }[1] وهكذا ربما ذلك يحصل لبعض الناس ، ونسأل الله العفو والعافية ، لأنَّ القلوب بيد الله عزَّ وجل ، يقلبها كيف يشاء ؛ فإذا جلس الإنسان إلى الظلمة ، وأعداء الله ، واستمع إليهم ؛ ومال قلبه إليهم ؛ ربما أنَّ الله يقلب قلبه ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، وبالله التوفيق .

٥٣ - بَابُ مَخَافَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ

١٨٧ - (١١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ ﷺ وَقَالَ : أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ

[1] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط برقم الحديث ٨٤٩٨ وبنحوه أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٧٩٠٦ وأخرجه الإمام الشهاب القضاعي في مسنده برقم ٨٢٣ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ١٠٠٨٨ وأخرجه الإمام البغوي في شعب الإيمان برقم ٤٠٢٢ واخرجه الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ٦٥٤٢ من حديث أبي هريرة ﷺ .

فَقَالَ : { يَا أَبَا عَمْرٍو ، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ ؟ اشْتَكَى ؟ } قَالَ سَعْدٌ : إِنَّهُ لَجَارِي ، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى ، قَالَ : فَأَتَاهُ سَعْدٌ ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ ثَابِتٌ : أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ } .

١٨٨ - (١١٩) وَحَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِنَحْوِ حَدِيثِ حَمَّادٍ ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِ ذِكْرُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . وَحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فِي الْحَدِيثِ .

وَحَدَّثَنَا هُرَيْمُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْأَسَدِيُّ ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، يَذْكُرُ عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، وَزَادَ فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

(التعليق)

أقول : ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه هو خطيب النبي ﷺ , ولما جاء إليه وفد بني تيم ، وقالوا : اخرج إلينا يا محمد ، نفاخرك ، ونشاعرك ، فعندئذٍ

خرج النبي ﷺ واجتمع المسلمون ، وجاء ثابت بن قيسٍ رضي الله عنه خطيب النبي ﷺ وجاء حسان بن ثابت شاعره رضي الله عنه فعند ذلك ألقى ثابت بن قيسٍ رضي الله عنه خطبته ، وألقى حسان بن ثابت رضي الله عنه شعره ، فقالوا لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وعند ذلك : { لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ رضي الله عنه وَقَالَ : أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : { يَا أَبَا عَمْرٍو ، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ ؟ اشْتَكَى ؟ } قَالَ سَعْدٌ : إِنَّهُ لَجَارِي ، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى ، قَالَ : فَأَتَاهُ سَعْدٌ ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ ثَابِتٌ : أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ } فقتل ثابت بن قيس رضي الله عنه يوم اليمامة شهيداً ، وبعد أن قتل أخذ رجلٌ درعه ، ووضع عليها قدراً ، وبعد ذلك رآه أحد المسلمين ؛ فقال له : إنَّ درعي عند فلانٍ أخذها ، وقلب عليها قدراً ؛ ستجد عند خبائه فرساً ، وهي قريباً من الفرس ؛ وعند ذلك أخبر الأمير ، وذهبوا يبحثون ، فوجدوا الدرع تحت القدر ، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه كنَّا نراه[1] رجلاً من أهل الجنة يمشي بين أظهرنا .

---

[1] أي ثابت بن قيس رضي الله عنه .

ما هو الذي يستفاد من هذا الحديث :

يستفاد منه أنَّ الإنسان يخشى على نفسه أن يحبط عمله ، وينبغي للمسلم ، أن يكثر من هذا الدعاء : { اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[1] وفي رواية : { إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ }[2] لذلك فإنَّ العبد لا يأمن ما دام على قيد الحياة ؛ أن يقلب الله قلبه ، ونسأل الله العفو والعافية ، وينبغي للمسلم أن يجتهد في العمل ، وأن يجتهد في الدعاء ، وأن يخشى أن يقلب الله قلبه ، وأن يحبط عمله ، ولابدَّ أن يكون العبد بين الخوف والرجاء في هذه الحياة ، ويكون الخوف عليه أغلب في حال الصحة ، ويكون الرجاء عليه أغلب في حال الاحتضار ، وعند الموت ، وبالله التوفيق .

٥٣ - بَابُ هَلْ يُؤَاخَذُ بِأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ؟

١٨٩ - (١٢٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم الحديث ٦٨٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٨٣٤ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٥٢٢ وصحح الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٠٩١ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٦٥٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : { أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَا يُؤَاخَذُ بِهَا ، وَمَنْ أَسَاءَ ، أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ } .

١٩٠ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، وَوَكِيعٌ **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : { مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ ، لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ ، أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ } .

١٩١ – حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

(التعليق)

أقول : هذا الحديث ربما يظهر لأول وهلة أنَّه معارض لحديث عمرو بن العاص ﷺ حين قال : { لَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ : فَقَبَضْتُ يَدِي ، قَالَ : مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ : تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟ قُلْتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِي ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ }[1] ولكن الحق أنَّه ليس بينهما تعارض ؛ لأنَّ المراد بإحسان الإسلام أن يدخل في الإسلام ظاهراً وباطناً ؛ وألا يكون إسلامه إسلام نفاق ؛ بل يكون إسلامه إسلام حقٍّ

[1] أي كما سيأتي قريباً في الحديث رقم ١٢١ .

فيدخل في الإسلام بقلبه ، ولسانه ، وجوارحه ؛ بنيته ، وقوله ، وعمله ؛ فمن كان هكذا ، فإنَّه لايؤاخذ بما سبق له في الجاهلية من عملٍ سيءٍ ؛ بل يغفر له ؛ ومع ذلك يحتسب له عمل الخير ؛ كما سيأتينا في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه[1] ، وبالله التوفيق .

٥٤ - بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ

١٩٢ - (١٢١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ ، وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِي أَبَا عَاصِمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ ، قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه ؛ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ ، يَبْكِي طَوِيلًا ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا ؟ قَالَ : فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ ، فَقَتَلْتُهُ ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ : فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ: { مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ }

---

[1] أي في الحديث رقم ١٢٣ .

قَالَ : قُلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ : { تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟ } قُلْتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِي ، قَالَ : { أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ } وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا ، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ ، وَلَا نَارٌ ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا ، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي .

١٩٣ – (١٢٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ ، وَاللَّفْظُ لِإِبْرَاهِيمَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا ، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا ، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ ، فَقَالُوا : إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً ، فَنَزَلَ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] وَنَزَلَ ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

(التعليق)

أقول : عمرو بن العاص ﷺكان في أول أمره من أعظم المحاربين للنبي ﷺ ومن أعظم الأعداء لدعوته ﷺ ولقد لاحق المسلمين إلى الحبشة بعد أن أعطته قريشٍ هدايا ، وأرسلوه إلى النجاشي من أجل أن يغيّر قلب النجاشي على المسلمين [المهاجرين] ولكنَّ الله ردَّ كيدهم في نحورهم ، والحمد لله ، والقصة التي حصلت هناك طويلة ، وإنَّما المراد من ذلك أنَّه كان شديد العداوة للنبي ﷺ ولدين الإسلام والمسلمين ، ولما أوقع الله الإسلام في قلبه عند ذلك لقي خالد بن الوليد ، وطلحة العبدلي ، وقالوا أنَّ هذا الأمر قد وضح [1] وذهبوا إلى النبيﷺ وأسلموا ، وبايعوه رضي الله عنهم ، ولما قدموا قال النبي ﷺ : { رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلاذِ كَبِدِها }[2] وبعد أن قتل عثمان ﷺ وتحيَّز معاوية ﷺ في الشام ، ووقعت مقتلة عظيمة بين معاوية ، وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وكان عمرو بن العاص مع معاوية ، وكان عمار بن ياسر ﷺ في جيش علي ﷺ الذي قال النبي ﷺ له : { وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ }[3] فلمَّا قتل عمار ﷺ اتضح الأمر أنَّ الحقَّ كان مع علي بن أبي طالب ولكن عمرو بن العاص ما زال مع معاوية ،

---

[1] يعنون الإسلام .

[2] رواه ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (١٦/ ٢١٩) .

[3] الحديثأخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٤٧ و٢٨١٢ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

حتى استولى معاوية على [الكوفة] وتنازل الحسن بن علي لمعاوية [بالخلافة] وولَّى معاوية عمرو بن العاص مصر

، وبعد ذلك شعر عمرو بن العاص ﷺ بأنَّه خلَّط في أيامه الأخيرة ، فتأسف وحزن عند موته ، ولكن هو صحابي ، والله سبحانه وتعالى قد أثنى على أصحاب رسوله ﷺ [1]، فهم ليسوا بمعصومين ؛ وإن حصل بينهم ما حصل قال ابن رسلان الشافعي رحمه الله في الزبد :

وما جَرى بين الصّحابِ نَسْكُتُ عنه وأجرُ الاجتهادِ نثبِت

إذن فالذي يجب أن نسكت عما جرى بين الصحابة ، ولاشكَّ أنَّ الصحابة مهما حصل منهم مما يحصل من البشر ؛ فإنَّ لهم من السابقة ، ومن الجهاد مع النبي ﷺ ومن نصرته ما يغفر الله لهم به ما اقترفوه ، وقد قال أنس بن مالك ﷺ : { كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلَامٌ – في موقعةٍ من المواقع بعد الفتح – فَقَالَ خَالِدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا

---

[1] قال الله تعالى في سورة التوبة آية ١٠٠ : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾وقال تعالى في سورة ألأحزاب: ٢٣–٢٤ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾وقال تعالى في سورة الحشر٨–٩ : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

بِأَيَّامٍ سَبَقْتُمُونَا بِهَا ، فَبَلَغَنَا أَنَّ ذَلِكَ ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : دَعُوا لِي أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ – أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ — ذَهَبًا ، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ }[٢]وفي رواية : { لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ }[١] هذا فيما بين الصحابة ، فالسابقون منهم خيرٌ من الأخيرين بكثيرٍ ، وكثير ، فالمد الواحد يتصدق به من السابقين أفضل من الجبل يتصدق به اللاحق ؛ هذا وهم صحابة كلُّهم[٢].

وعلى كلٍّ ، فالذي ينبغي للمسلم أن يأخذ العبرة من هذا ، وإذا كان هذا الصحابي[٣] يخاف على نفسه من هذا التخليط الذي حصل ، فنحن من باب أولى ؛ فما هي أعمالنا إزاء[٤] أعمال الصحابة ، وماذا عملنا ؟ ما عملنا شي ؛ أعمالنا كلُّها هزيلةٌ ، وضعيفة ؛ نسأل الله أن يتغمدنا برحمته .

ولربما أنَّ بعض الناس يسلطون ألسنتهم على أصحاب رسول الله ﷺ فهؤلاء ضالون مضلون ؛ فالله قد عدَّل أصحاب رسوله ﷺ جميعاً ، وكلُّهم عدولٌ ،

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٣٨١٢ وصحح الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٩٢٣

[٢]الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٦٧٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[٢] قكيف هو الفرق ما بين الصحابة ومن دونهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجمعنا بهم في مستقر رحمته ورضوانه .

[٣] وهو عمرو بن العاص رضي الله عنه .

[٤] أي مقابل .

وفيهم من الخير ما يربو على كلِّ خيرٍ في غيرهم ، فإنَّه لايصل إلى ما بلغوه من الرُّتب التي نالوها ؛ لصحبتهم لرسول الله ﷺ ونصرته .

ونأخذ من قوله رضي الله عنه : { فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ ، وَلَا نَارٌ } النائحة [٥] لايجوز أن تقع من المؤمن أو أن يقرَّها .

وقوله : { وَلَا نَارٌ } أي يكره الذي مسَّته النار أن يوضع في القبر ؛ والذين الآن يعملون البلك من الإسمنت مع أنَّه مما مسته النار ، ينبغي لهم أن يعدلوا عن ذلك إلى اللَّبِن .

قوله : { فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا } قال النووي رحمه الله : " ضَبَطْنَاهُ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالْمُعْجَمَةِ ، وَكَذَا قَالَ الْقَاضِي إِنَّهُ بِالْمُعْجَمَةِ ، وَالْمُهْمَلَةِ ؛ قَالَ : وَهُوَ الصَّبُّ ، وَقِيلَ بِالْمُهْمَلَةِ الصب فى سهولة ، وبالمعجمة التفريق " اهـ .

قوله : { ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي } يعني أقيموا حول قبري فترةً [١] { قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا } .

قوله : { حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي } لعلَّه كان عنده علمٌ من النبي ﷺ أنَّ الميت حين يدفن يسمع الذين يكونون حول القبر ، ويدل عليه قوله ﷺ : { إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ،

---

[٥] أمرٌ زائدٌ على البكاء ، فيُرفع الصوت بتعدد شمائل الميت ، ومحاسن أفعاله ، وهو من أمر الجاهلية كما أخبر بهذا خير البرية ﷺ . موقع شبكة الألوكة

[١] أي زمناً ؛ بقدر ما تنحر الإبل ويقسم لحمها بين الناس .

وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ }[٢]هذا خبرٌ من الله عزَّ وجل بواسطة رسوله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى ، ويجب أن نصدِّقه .

أمَّا الحديث الثاني ، ففيه أنَّ أناساً عملوا شيئاً من الجرائم من الزنا ، والقتل وقالوا للنبي ﷺ : { إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً ، فَنَزَلَ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] وَنَزَلَ ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] } إذن فكلُّ ذنبٍ معرَّضٌ للغفران ما دام الإنسان موحِّداً ؛ والموحِّد ذنوبه مغفورةٌ إذا هو تاب ، وإن لم يتب ومات مصراً على هذه الذنوب ؛ فأمره إلى الله إن شاء عفى عنه ، وإن شاء عذبه ، وتكون نهايته إلى الجنة ، وبالله التوفيق .

٥٥- بَابُ بَيَانِ حُكْمِ عَمَلِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَهُ

١٩٤ - (١٢٣) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ } وَالتَّحَنُّثُ : التَّعَبُّدُ .

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٣٧٤ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٢٨٧٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

١٩٥ – (١٢٣) وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ الْحُلْوَانِيُّ : حَدَّثَنَا ، وَقَالَ عَبْدٌ : حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ﷺ أَخْبَرَهُ ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : أَيْ رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مِنْ صَدَقَةٍ ، أَوْ عَتَاقَةٍ ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ ، أَفِيهَا أَجْرٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ } .

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ . **ح وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَشْيَاءَ كُنْتُ أَفْعَلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ – قَالَ هِشَامٌ : يَعْنِي أَتَبَرَّرُ بِهَا – فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ } ، قُلْتُ : فَوَاللهِ ، لَا أَدَعُ شَيْئًا صَنَعْتُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا فَعَلْتُ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ .

١٩٦ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ﷺ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ ، وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ ، ثُمَّ أَعْتَقَ فِي الْإِسْلَامِ مِائَةَ رَقَبَةٍ وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ .

(التعليق)

أقول : حكيم بن حزام بن خويلد بن عبدالعزى الأسدي ابن أخي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها هذا الرجل كان تاجراً في الجاهلية والإسلام ؛ ومن الأمور التي اختصَّ بها فيما يقولون ، ولم يشاركه فيها أحد ؛ منها أنَّه ولد في بطن الكعبة ، ومنها أنَّه عاش مائةً وعشرين سنةً ؛ ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام ؛

ولذا يقول أهل المصطلح : " أربعةً كلاً منهم عاش مائةً وعشرين سنة ؛ ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام : حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبدالعزى ، وحسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة " وكان حكيم بن حزام ابن أخي خديجة ، وكان له صلةٌ بالنبي ﷺ في زمن الجاهلية ، وهو الذي أعطى خديجة زيد بن حارثة خادماً لها ، ولما فتح الله على النبي ﷺ وأصاب من هوازن مالاً ونَعماً كثيرة ؛ فأعطى أشراف قريشٍ على مائةً مائةً من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائةً من الإبل ، فاستزاده ، فزاده مائة ، فاستزاده ، فزاده مائة ، ثم قال له النبي ﷺ : { يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى ،

قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ – أي لا أطلب – أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ العَطَاءَ ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، فَقَالَ ﷺ : يَا مَعْشَرَ المسْلِمِينَ ، إِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ ، الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ }[1] عاش ﷺ حتى آخر زمن معاوية ﷺ ، وهو مع ذلك لم يأخذ من أحدٍ شيئاً ، بل كان يبيع ويشتري

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ١٤٧٢ و٢٧٥٠ و٦٤٤١ وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ١٠٣٥ من حديث عروة بن الزبير ﷺ .

حتى أعطاه الله من المال بسبب التجارة التي يزاولها ، وما ترك شيئاً مما كان يعمله في الجاهلية إلا عمله في الإسلام[٢].

يستفاد من هذا الحديث رحمة الله بعباده ، وأنَّه من رحمته بعباده أنَّه يحتسب للكافر ما عمله من الخير في حال كفره [إذا أسلم] ، ويمحو عنه ما عمله من السيئات التي اقترفها في حال كفره ، وهذا فضلٌ من الله عظيم ، وأنَّ المسلم يكتب له الحسنة إذا همَّ بها ، ولم يعملها ، وبعشر إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة إذا هو عملها ، وأمَّا السيئة إذا نواها ولم يعمل بها لم يكتب عليه شيء ، وإن تركها من مخافة الله كتبت له حسنة ، وإذا عمل السيئة كتبت عليه سيئةٌ واحدة [٣]، وهذا من فضل ربنا العظيم ، ورحمته بنا واسعة : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

---

[٢] كما في حديث الباب : □ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ﷺ أَخْبَرَهُ ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : أَيْ رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مِنْ صَدَقَةٍ ، أَوْ عَتَاقَةٍ ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ ، أَفِيهَا أَجْرٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : □ أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ □ ورواه أيضاً الإمام البخاري في صحيحه برقم ١٤٣٦ و٢٢٢٠ و٢٥٣٨ و٥٩٩٢ .

[٣] جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله برقم الحديث ٦٤٩١ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: □ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ؛ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً □ .

الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ .. ﴾[الأعراف : ١٥٦ – ١٥٧] فسبحان الله العظيم .

فيجب علينا أن نتصور كيف رحمة الله بنا ، ونحن نعمل السيئات ، ونتمرد على الله عزَّ وجل ؛ وهو يدعونا إلى رحمته ، ومغفرته : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس : ٢٥] ، وبالله التوفيق .

٥٦ – بَابُ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَإِخْلَاصِهِ

١٩٧ – (١٢٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ } [لقمان : ١٣] .

١٩٨ – حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا عِيسَى وَهُوَ ابْنُ يُونُسَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ . قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ : قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ ، حَدَّثَنِيهِ أَوَّلًا أَبِي ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ مِنْهُ .

(التعليق)

أقول : هذا الحديث فيه : { عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } ﴾ [لقمان : ١٣] الظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أوله : وأعظمه ، وأبشعه الشرك بالله ؛ لأنَّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه فمن وضع الشيء في غير موضعه ؛ فقد ظلم ؛ وإنَّ من يضع العبادة للمخلوق ؛ هذا لاشكَّ أنَّه قد ظلم ظلماً عظيماً ؛ ولهذا فإنَّ الله لايغفره [1]، وقد جاء في الحديث : { الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ : دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا ، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ : فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ [المائدة : ٧٢] وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا : فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ

---

[1] قال الله تعالى في سورة النساء آية ٤٨ – ١١٦ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ .

مِنْهُ شَيْئًا : فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ }[1]فهذه الدواوين الثلاثة الأول منها هو الذي لايغفره الله وهو الشرك بالله ، ولذا سمي الشرك ظلماً ؛ لأنَّك تعطي حقَّ الخالق للمخلوق ؛ فالخالق الذي خلق الناس ورباهم ؛ وأعطاهم ما أعطاهم من الأسماع ، والأبصار ، والألسنة الناطقة ، والجوارح المتحركة ، والصحة والعافية ؛ أذاقهم لذاذة المطعم والمشرب ، وأذاقهم لذة الماء البارد على الظمأ ؛

وهكذا كلُّ شيءٍ من النعم التي يتمتع بها الإنسان ؛ فهي من الله ؛ عظامك التي وضعها الله فيك ، والمفاصل التي أوجدها الله فيك ، وفي الحديث : { كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ }[2] وفي رواية : { يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٦٠٣١ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين برقم ٨٧١٧ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان بنحوه برقم ٧٠٦٩ و ٧٠٧٠ والحديث ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح برقم ٥١٣٣ من حديث أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحدييث ٢٧٠٧ و ٢٨٩١و٢٩٨٩ واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ .

صَدَقَــةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَــانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى }[1] لماذا يصلي ركعتين ؟ لأنَّ المفاصل التي في الظهر ، وفي سائر العظام قد أوجد الله فيها مادةً لزجةً تتحرك ، ويتحرك الإنسان بها ، فهذه نعمةٌ من الله عزَّ وجل ؛ فإذا كبر الإنسان ، وقلَّت المادة اللزجة في مفاصل الإنسان في ظهره ، احدودب ظهره ، وعند ذلك تأتيه الآلام .

والشاهد أنَّ هذه المفاصل نعمة من الله عزَّ وجل ، فإذا تصدق الإنسان عن هذه المفاصل بثلاثمائة صدقة أجزأت عنه ؛ وإلاَّ فليستعملها [2]في ركعتين من الصلاة التطوعية ؛ فيكون هذا شكراً لله على ما أنعم عليه بهذه المفاصل .

وهكذا يقال في سائر النِّعم ؛ من نعمة السمع ، ونعمة البصر ، ونعمة اللسان ، ونعمة القوة والحركة ، وغير ذلك ؛ هذه كلُّها نعمٌ يتمتع بها الإنسان ؛ فهل وهبها عبد القادر الجيلاني أو الدسوقي ؛ أو ابن علوان أو أحدٌ غيرهم ممن يُعبدون من دون الله ؟ الجواب : لا . بل أوجدها لك ربك ؛ الذي خلق فيك كلَّ شيءٍ ، سواك من نطفة ؛ ورزقك في بطن أمِّك ؛ بواسطة حبل المشيمة ؛ أوصل إليك الغذاء مما تتغذى منه أمُّك ؛ ولما خرجت من بطن أمَّك غذَّاك بالحليب من ثدي أمِّك ؛ حتى إذا قويت غذَّاك بالطعام غير الحليب ، بعد أن جعل لك أسناناً ، وبعد ما قويت معدتك للهضم ، فاذكر نعم الله عليك ، وأنَّك إذا صرفت العبادة لغير الله عزَّ وجل ، فإنَّك قد صرفتها

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٧٢٠ من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

[2] أي هذه المفاصل .

لمن لايستحقها ، وعندما تعطي العبادة من لايستحقها ، وتصرفها لمن لايستحقها ؛ فهذا من الظلم العظيم ، وقد جاء في الحديث : { عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ : أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى : إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ ، وَإِمَّا أُبَلِّغَهُنَّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ ، أَوْ يُخْسَفَ بِي ، قَالَ : فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ ، وَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ : أَوَّلُهُنَّ : أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ .. }[1] الحديث ؛ وإذن من هذا يتبيَّن أنَّ الشرك بالله ظلم عظيمٌ ، وكبير ، ولهذا يقول الله عزَّ وجل : ﴿ وَقالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] فالذي يأتي [يوم القيامة] ولم يشرك بالله شيئاً فإنَّه معروضٌ للمغفرة ،

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٧٨٠٠ و١٧١٧٠ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٢٤٦٠ والحديث صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٦٥ .

وقد جاء في الحديث القدسي : { يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً }[1] فالمغفرة مرجوة ومكتوبةٌ للموحدين ، وكلُّ موحِّدٍ مآله إلى الجنة ، وإن عذِّب بالنار ؛ وأمَّا المشرك بالله شركاً أكبر ؛ فإنَّه لايرجو دخول الجنة ؛ وبالله التوفيق .

٥٧ – بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٤]

١٩٩ – (١٢٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ ، وَاللَّفْظُ لِأُمَيَّةَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ ، عَنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ ، فَقَالُوا : أَيْ رَسُولَ اللهِ ، كُلِّفْنَا مِنَ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ٣٥٤٠ بهذا اللفظ ، وأخرج بنحوه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٦٨٧ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢١٣٦٨ و٢١٤٧٢ و٢١٥٠٥وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٤٣٠٥ وفي الكبير برقم ١٢٣٤٦ وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم ١٠١٠ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ١٢٩٢ والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٣٣٨ من حديث أنس وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما .

الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ ؛ الصَّلَاةَ ، وَالصِّيَامَ ، وَالْجِهَادَ ، وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟ بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } ، قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قَالَ : نَعَمْ } ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قَالَ : نَعَمْ } ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قَالَ : نَعَمْ } ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ { قَالَ : نَعَمْ } [البقرة : ٢٨٦] .

٢٠٠ – (١٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وَقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، مَوْلَى خَالِدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قَالَ : دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

{ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا ﴾ قَالَ : فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ } قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ } ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] { قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ } ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ { قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ }[البقرة : ٢٨٦] .

(التعليق)

أقول : في حديث : { أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﴿ ﷺ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ... } الحديث ، المهم أنَّ الله عزَّ وجل رفع الإصر عن أمة محمدٍ ﷺ والإصر هو التكليف بما يشق ؛ فلايكلفهم ما يشق عليهم ؛ كلِّف أهل الكتاب بما يشق عليهم ، أمَّا أمَّة محمدٍ ﷺ فإنَّها أمَّةٌ مرحومةٌ ، والله عزَّ وجل يعطي عباده على قدر ما عندهم من الإيمان ، فأمَّة محمدٍ ﷺ أمَّةً مؤمنة بخلاف من كان قبلهم ؛ كبني إسرائيل الذين أغرق الله فرعون وقومه أمامهم وهم ينظرون ، وكان في هذا أعظم آية ، وقد أراهم الله آياتٍ تسع آية العصا ، وآية اليد ، وآية الطوفان ، وآية الجراد ، وآية الرجز ، وآية القمل ، وآية الضفادع [1] ؛ فعذب بها قوم فرعون ، وهم ينظرون ، وبعد أن أخرج الله موسى وقومه من البحر ، وأغرق عدوهم فرعون

[1] وآية الدم ، وآية السنيين أي قلة الأمطار ؛ الذي تسبب في نقص الزروع والثمار .

وقومه ؛ ذهب موسى عليه السلام لمواعدة ربه ، وعند ذلك أخرج السامري لقومه عجلاً من الفضة له خوار ، وقال لهم هذا ربكم فعبدوه ، وعكفوا عليه ، ولما مروا بقومٍ يعبدون غير الله ﴿ قالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَباطِلٌ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ ۞ قالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨ – ١٤٠] وعندما انتدب موسى عليه السلام سبعين رجلاً من قومه ، ذهب بهم إلى جبل الطور ، فتعنتوا عليه ، وقالوا يكلمك ربك ، ولايكلمنا ، فأهلكهم الله ، وأحياهم قال تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ولما دعا موسى عليه السلام قومه لقتال الجبارين : ﴿ قالُوا يَا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ ۞ قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ ۞ قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ ۞ قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٢ – ٢٦] ولما كان هذا حالهم مع أنبيائهم كلَّفهم الله بما فيه مشقة : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا

لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠ - ١٦١] لكن هذه الأمة ماذا كان موقفهم عندما قال لهم النبي ﷺ : { أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟ بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾ [البقرة : ٢٨٦] } وكان فيها رفعٌ للمشقة ، والتكليف بما يضر .

ثم قد اختلف أهل العلم هل هاتان الآيتان تعدَّان نسخاً للآية التي قبلهما [1]وما في معناها أم لا ؟ الأقرب أنَّها لاتعدُّان نسخاً ؛ ولكن للتخصيص عند بعض الفقهاء ، وبعض الأقدمين يسمَّونها نسخاً ؛ فهاتان الآيتان ؛ خصَّصت الآية الأولى منهما بالأشياء المستقرة في القلب ﴿ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] من الوساوس ؛ أو العقائد ؛ أو الضغائن ؛ أو الحسد ، وغيرها من الأشياء

---

[1] وهي قول اله تعالى : ﴿ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

المستقرة في القلب ، فهذه يعاقب عليها ؛ أمَّا الوساوس العابرة التي تمر كالشريط أمام الإنسان ، ولايستطيع أحدٌ دفعها عن نفسه ، فهذه غير مقصودةٍ في الآية ؛ فبينت الآيتان الأخيرتان أنَّ المراد بالآية الأولى ؛ هي الوساوس المستقرة ، والعقائد المستقرة ، وغيرها من الأشياء المستقرة في القلب ؛ من غلٍّ ، وحسدٍ ، وبِغْضةٍ ، ونفاقٍ ، وما أشبه ذلك ؛ لكن الأشياء التي تمر على خاطر الإنسان سريعاً ، ولاتثبت فيه ، ولايستطيع الإنسان دفعها عن نفسه ، فهذه غير مقصودةٍ . إذن فتعتبر الآيتان الأخيرتان مخصَّصتان للأية الأولى ، وليست ناسخةً بالكلية .

ويؤخذ من الحديث الأول أيضاً : أنَّ الإكراه مرفوعٌ عن الإنسان لقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وأنَّ هذا الحديث يقوي الحديث الضعيف : { رفع عن أمتي الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه }[1] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .... ﴾ [البقرة : ٢٨٦] فمن نسي ، أو أخطأ ؛ فإنَّه لايؤاخذ بهذا النسيان ، أو

---

[1] وقال الزيلعي في "نصب الراية" ٢/ ٦٤ تعليقاً على (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ...) : "وهذا لا يوجد بهذا اللفظ ، وإن كان الفقهاء كلهم لا يذكرونه إلابهذا اللفظ. ، وأقرب ما وجدناه بلفظ : (رفع الله عن هذه الأمة ثلاثاً) ، رواه ابن عدي في الكامل ...وأكثر ما يروى بلفظ (إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان ...)، هكذا روي من حديث ابن عباس، وأبي ذر، وثوبان، وأبي الدرداء، وابن عمر، وأبي بكرة ، ثم أورد هذه الأحاديث منسوبة إلى مخرجيها. وانظر تعليقنا على الحديث الآتي برقم (١٤٩٨) " .

الخطأ ؛ لو حلفت على شيءٍ تظنَّه [حقًّا] وتبين أنَّ الأمر على خلاف ما تقول ؛ أحياناً قد يكون معك شيءٌ من النقود [فتنساها] ، ويسألك أهلك أو بعض أولادك ، فتقول لهم ما عندي شيءٍ ، وبعد ذلك تجد أنَّ معك نقوداً ، فهل يؤاخذك الله بهذا اليمين ؟ الجواب : لا ؛ لأنَّك حلفت على علمك ، وهكذا إذا حلفت على علمك ، وتبين أنَّ علمك هذا خطأً ، وأنَّه على خلاف ما كنت تظن ؛ فإنَّ هذا اليمين ليس عليك فيه كفارة [ولا إثم] .

كذلك أيضاً الإكراه كمن هُدد بالقتل أن يفعل كذا من الأمور التي بينه وبين الله ما لم يكن قتلاً لإنسانٍ آخر ، فإنَّ الله لايؤاخذه به ، وقد روي : { أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ تَدَلَّى بِشَتَّارٍ عَسَلًا ؛ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فَجَلَسَتْ عَلَى الْحَبْلِ ، فَقَالَتْ : لَتُطَلِّقَنَّهَا ثَلَاثًا ، وَإِلَّا قَطَعَتِ الْحَبْلَ ، فَذَكَّرَهَا اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ أَنْ تَفْعَلَ فَأَبَتْ ؛ أَوْ تَقْطَعَ الْحَبْلَ ؛ أَوْ يُطَلِّقَهَا ، فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَلَيْسَ هَذَا بِطَلَاقٍ } [1] ، وبالله التوفيق .

---

[1] الأثر أخرجه سعيد بن منصور في سننه برقم الحديث ١١٢٨ في كتاب الطلاق بَابُ مَا جَاءَ فِي طَلَاقِ الْمُكْرَهِ ، ومن الأدلة أيضاً على عدم وقوع طلاق المكره الأثر الذي رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه برقم ١١٤١٣ : □ عن ثَابِتٍ الْأَعْرَجِ ، قَالَ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ، أَحْسَبُهُ قَالَ : أُمَّ وَلَدٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : فَأَخَذَنِي بَنُوهُ فَرَبَطُونِي حَتَّى كَادُوا يَدُقُّوا رِجْلِي ، وَقَالُوا : لَا نُخَلِّيكَ أَبَدًا حَتَّى تُطَلِّقَهَا ؛ قَالَ : فَطَلَّقْتُهَا ، فَأَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ طَلَاقُكَ بِشَيْءٍ □.

٥٨ - بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ

٢٠١ - (١٢٧) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ ، وَاللَّفْظُ لِسَعِيدٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا ، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ } .

٢٠٢ - حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، وَعَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ كُلُّهُمْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ زُرَارَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ، مَا لَمْ تَعْمَلْ ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ } ، وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ ، وَهِشَامٌ ، **ح وَحَدَّثَنِي** إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ شَيْبَانَ جَمِيعًا عَنْ قَتَادَةَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(التعليق)

أقول : في الحديث الأول زرارة بن أوفى ، أظنَّه من كبار التابعين ؛ هو الذي مات في الصلاة ، وهو يصلي بقومه صلاة الفجر ؛ قرأ سورة المدثر ، إلى قول

الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر : ٨ – ١٠] فسقط ميتاً [١].

يؤخذ من قوله ﷺ : { إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا ، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ } أنَّ الإكراه مرفوعٌ عن الإنسان ؛ لقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] [١][٢].

٥٩ – بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ

٢٠٣ – (١٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ ، وَقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ ،

---

[١] قال الإمام الترمذي رحمه الله في سننه برقم الحديث ٤٤٥ في باب إذا نام عن صلاته بالليل صلى بالنهار : □ حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ هُوَ ابْنُ عَبْدِ العَظِيمِ العَنْبَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَتَّابُ بْنُ الْمُثَنَّى ، عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ ، قَالَ : كَانَ زُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى قَاضِيَ البَصْرَةِ ، فَكَانَ يَؤُمُّ فِي بَنِي قُشَيْرٍ ، فَقَرَأَ يَوْمًا فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ ، خَرَّ مَيِّتًا ، فَكُنْتُ فِيمَنْ احْتَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ □ .

[٢] بل المؤاخذة تكون بفعل الأعمال السيئة أو التحدث بها ؛ كما دلت عليه أحاديث هذا الباب ، والله المستعان .

فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً ، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا } .

٢٠٤ – حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ ، وَابْنُ حُجْرٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : { قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً } .

٢٠٥ – (١٢٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا عَمِلَهَا ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا ، فَإِذَا عَمِلَهَا ، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا } وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : رَبِّ ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ ، فَقَالَ : ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ } وَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ } .

٢٠٦ – (١٣٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ تُكْتَبْ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ } .

٢٠٧ – (١٣١) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قَالَ : { إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً } .

٢٠٨ – وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ ، فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمَعْنَى حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، وَزَادَ : { وَمَحَاهَا اللهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ } .

(التعليق)

أقول : في هذا الباب أحاديث مفرحةٌ للمؤمن ؛ لأنَّ الله عزَّ وجل يتعامل معنا عمل تفضلٍ ؛ فهو جلَّ وعلا يكتب لنا السيئة بواحدةٍ إن نحن عملناها ، ويتركها بدون كتابةٍ إن نحن تركناها ، ولم نعملها ؛ لأمرٍ حال بيننا وبينها ،

فإن نحن هممنا بالسيئة ، ثم تركناها خوفاً من الله كتبت حسنة ؛ وأمَّا الحسنات إن نحن عملناها كتبت عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ ، والله يضاعف لمن يشاء ، وقد ورد في بعض الأحاديث أنَّ الله يضاعف لبعض عباده الحسنة بألفي ألف حسنة [1]، وهذه المضاعفة تكون بحسب ما يكون في قلب العبد من إخلاص لله ربِّ العالمين ، ومتابعةٍ لسنة النبي ﷺ وعلى هذا فإنَّه لايهلك على الله إلاَّ هالك .

فمن كثرت سيئاته أكثر من حسناته ، فهذا والعياذ بالله يدل على أنَّه هالك ، لأنَّه متساهل ، ولعدم مبالاته بالسيئات ، ولاستكثاره منها ، ولهذا جاء في الحديث الأخير : { وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ } وبالله التوفيق .

٦٠ - بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا

٢٠٩ - (١٣٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلُوهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ : { وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟ } قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : { ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ } .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٧٩٤٥ و١٠٧٦٠ ولفظه : □ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: إِنَّ الْحَسَنَةَ تُضَاعَفُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ. قَالَ: وَمَا أَعْجَبَكَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ: كَذَا قَالَ أَبِي يَقُولُ : إِنَّ اللهَ لَيُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ □ وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع برقم ١٦٥٥ .

٢١٠ – **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، ح **وَحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوَّابِ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ رُزَيْقٍ ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

٢١١ – (١٣٣) **حَدَّثَنَا** يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الصَّفَّارُ ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَثَّامٍ ، عَنْ سُعَيْرِ بْنِ الْخِمْسِ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ ، قَالَ : { تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ } .

٢١٢ – (١٣٤) **حَدَّثَنَا** هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَاللَّفْظُ لِهَارُونَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ } .

٢١٣ – **وَحَدَّثَنَا** مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدِّبُ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ فَيَقُولُ : اللهُ } ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ وَزَادَ ، وَرُسُلِهِ .

٢١٤ – **حَدَّثَنِي** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، جَمِيعًا عَنْ يَعْقُوبَ ، قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

{ يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ : مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ ، وَلْيَنْتَهِ } .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَأْتِي الْعَبْدَ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ، وَكَذَا ؟ } مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ .

٢١٥ – (١٣٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ الوارثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمدِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جدِّي ، عَنْ أيُّوبَ ، عَنْ مُحمَّدِ بْنِ سِيرينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللهُ خَلَقَنَا ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ } قَالَ : وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ ، فَقَالَ : صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ ، أَوْ قَالَ : سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي ، وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : { لَا يَزَالُ النَّاسُ } ، بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْإِسْنَادِ ، وَلَكِنْ قَدْ قَالَ : فِي آخِرِ الْحَدِيثِ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ .

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الرُّومِيِّ ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللهُ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ } قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ،

فَقَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ هَذَا اللهُ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ قَالَ : فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي .

٢١٦ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَيَسْأَلَنَّكُمُ النَّاسُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يَقُولُوا : اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَمَنْ خَلَقَهُ ؟ } .

٢١٧ – (١٣٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ الْحَضْرَمِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : { قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا ؟ مَا كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ } ، حَدَّثَنَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، ح **وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، غَيْرَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْ قَالَ : { قَالَ اللهُ إِنَّ أُمَّتَكَ } .

(التعليق)

أقول : الحديث الأول : { عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلُوهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ : وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ } يعني كون الإنسان يجد في نفسه شيئاً ؛ يتعاظم أن يتكلم به ؛ أو يسأل عنه ؛ هذا يعتبر محض الإيمان ؛ فتعاظمه لهذا الكلام ؛ أو تعاظمه لهذه الأسئلة أو لهذه الأسئلة هذا يعتبر محض الإيمان .

وفي الحديث الثاني : { سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ ، قَالَ : { تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ } أي أنَّ الشيطان لايزال حريصاً على إيقاع الناس في الكفر ، والعياذ بالله ؛ ونسأل الله العفو والعافية ؛ وإذا كان الإنسان ملتزماً ، ويئس الشيطان من إيقاعه في المعاصي عند ذلك يوقعه في الوسوسة أو يشغله بها .

فالشيطان يلعب بالكافر كيف يشاء ؛ لكن المسلم لايستطيع ذلك ؛ فيعود إلى الوسوسة ؛ وهذا معنى قوله : { تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ }[1]قال الإمام النووي رحمه الله : " أَمَّا مَعَانِي الْأَحَادِيثِ وَفِقْهُهَا ؛ فَقَوْلُهُ ﷺ : { ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ } { وَمَحْضُ الْإِيمَانِ } مَعْنَاهُ اسْتِعْظَامُكُمُ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ ؛ فَإِنَّ اسْتِعْظَامَ هَذَا ، وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ ، وَمِنَ النُّطْقِ بِهِ ؛ فَضْلًا عَنِ اعْتِقَادِهِ ؛ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ ؛ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبَةُ وَالشُّكُوكُ " انتهى .

وفي الحديث الثالث : { لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ } الله جلَّ وعلا يقول : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] هو الأول الذي ليس قبله شيء ، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء ؛ كلُّ مخلوقٍ كُتِب عليه الفناء ؛ والله الخالق الواحد القهار ،

---

[1] وفي بعض الروايات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: ذَلِكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم الحديث ٦٥٦ وحسنه الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم ١٤٦ .

هو الذي يفنيهم ، ويتصرف فيهم ، ثم يحييهم بعد ذلك ، وفي الحديث الصحيح المشهور : { اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ }[1].

وفي الرواية الأخرى : { يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ : مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ ، وَلْيَنْتَهِ }[2] فينبغي للعبد عندما يحس بمثل هذه الوسوسة أن يقول آمنت بالله ، ورسله ، ولينفث عن يساره ثلاثاً ؛ وليستغذ بالله من الشيطان ثلاثاً ؛ وليسأل ربه أن يصرف عنه الشيطان ؛ لأنَّه يريد أن يوقع الناس في المعصية ، وبالله التوفيق .

٦١ – بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ

٢١٨ – (١٣٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْعَلَاءُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى الْحُرَقَةِ ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ السَّلَمِيِّ ، عَنْ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم **الحديث ٢٧١٣ يروى عن أبي هريرة** رضي الله عنه .

[2] **وفي معنى الحديث الثالث الحديث الرابع .**

أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : { وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ } .

٢١٩ – وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ ، يُحَدِّثُ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْحَارِثِيَّ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمِثْلِهِ .

٢٢٠ – (١٣٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } ، قَالَ : فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالُوا : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فِيَّ نَزَلَتْ ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : { هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ ؟ } فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : { فَيَمِينُهُ } ، قُلْتُ : إِذَنْ يَحْلِفُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } فَنَزَلَتْ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران : ٧٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

٢٢١ – حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بِئْرٍ ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : { شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ } .

٢٢٢ – وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ ، سَمِعَا شَقِيقَ بْنَ سَلَمَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } ، قَالَ عَبْدُ اللهِ ﷺ : ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران : ٧٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

٢٢٣ – (١٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ ، وَأَبُو عَاصِمٍ الْحَنَفِيُّ ، وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ ، عَنْ سِمَاكٍ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي ، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ : هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ : { أَلَكَ بَيِّنَةٌ ؟ } قَالَ : لَا ، قَالَ : { فَلَكَ يَمِينُهُ } ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ : { لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ } ، فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ : { أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا ، لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ } .

٢٢٤ – وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ ، قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ ، عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،

فَأَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّ هَذَا انْتَزَى عَلَى أَرْضِي يَا رَسُولَ اللهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ – وَهُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ عَابِسٍ الْكِنْدِيُّ ، وَخَصْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ عِبْدَانَ – قَالَ : { بَيِّنَتُكَ } قَالَ : لَيْسَ لِي بَيِّنَةٌ ، قَالَ : { يَمِينُهُ } قَالَ : إِذَنْ يَذْهَبُ بِهَا ، قَالَ : { لَيْسَ لَكَ إِلَّا ذَاكَ } ، قَالَ : فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } ، قَالَ إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ : رَبِيعَةُ بْنُ عَيْدَانَ .

(التعليق)

أقول : أورد فيه حديث : { أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ } أي وإن كان المقتطع قضيباً من أراك ؛ حذفت كان واسمها ، وبقي خبرها ؛ والقضيب ؛ هو السوط ، وإذا كان القضيب من أراك موجباً لهذا الوعيد ، إذا حلف عليه ، فما بالك بما هو أعظم ، وأكبر من ذلك ، وهذه اليمين هي التي عدَّت من أكبر الكبائر ؛ وتسمَّى اليمين الغموس ؛ لأنَّها توجب لصاحبها الغمس في النار ، والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية ؛ ولاشكَّ أنَّ هذا الوعيد ؛ وعيدٌ تذوب له القلوب ، وتدمع له العيون ، وتوجل له الضمائر الحية ، فينبغي للمسلم أن يستحضر هذا الوعيد وبالأخص عند الخصومة .

قوله : { مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ } مَنْ الموصولة من أدوات العموم ؛ فمن اتصف بهذا الوصف أي أحدٍ كان رجلاً أو امرأة ؛ صغيراً أو كبيراً ؛ غنياً أو فقيراً ؛ آمراً أو مأموراً ؛ شريفاً أو وضيعاً ؛ فإنَّ هذا الوعيد واقعٌ عليه ، وعليه أن يحذر من الله عزَّ وجل ما أوعده به .

قوله : { مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ } هل غير المسلم يجوز أخذ ماله ؛ سواءً كان باليمين أو بدون يمين ؟ هذا لم يقل به أحدٌ فيما أعلم ، ولكن اختلفوا هل الوعيد حاصلٌ على مال الكافر غير المحارب ، وهو الذِّمي ، أو المستأمِن ؟ الذمي ، والمستأمن ماله حرامٌ أيضاً ؛ فلايجوز أخذ ماله ،

ولكن هذا الوعيد حاصلٌ على من اقتطع مال مسلمٍ ؛ أمَّا من اقتطع مال ذمّيٍ أو مستأمَنٍ ؛ فإنَّه قد أتى حراماً ؛ ولايكون الوعيد فيهما كالوعيد في المسلم .

قوله : { فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } هاتان الجملتان لابدَّ فيهما من التأويل لما قد تقدم لنا ؛ بأنَّ كلَّ مسلمٍ موحد ؛ مهما يكن عليه من العذاب ، ومهما طال عذابه ؛ لابدَّ أن يُخرج من النار ، ولابدَّ أن يُدخل الجنة .

ﷺ { عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ } أي ابن مسعود رضي الله عنه الحديث الثاني : { عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } ، قَالَ : فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالُوا : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فِيَّ فَقَالَ : { ﷺنَزَلَتْ ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ ؟ } فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : { فَيَمِينُهُ } ، قُلْتُ : إِذَنْ يَحْلِفُ ،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : { مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } [آل عمران : ٧٧] إِلَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿فَنَزَلَتْ : آخِرِ الْآيَةِ } هذا وعيدٌ شديدٌ وأليمٌ ينبغي للمسلم أن يحذر منه ، وأن يتقي الله عزَّ وجل عند الخصومة .

ويؤخذ من قوله ﷺ : { هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ ؟ } أنَّ المدَّعي عليه البينة فيما ادَّعاه ؛ فإن لم يجد بيِّنةً ؛ فعلى خصمه اليمين ؛ هذا هو الأصل ؛ وهو الذي يوافق ما جاء في الحديث : { الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى , وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ إِلَّا فِي الْقَسَامَةِ }[1]مع أنَّه حديثٌ ضعيف .

إذا كان المدَّعى عليه فاجراً ، وهولايبالي بأن يحلف ، فهل يكون في هذا للمدعي مندوحةٌ في عدم قبول يمينه عند عدم البينة بأن تنتقل اليمين إليه ؟ الجواب : لقوله ﷺ : { لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ }[2] .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام الدارقطني في سننه برقم الحديث ٣١٩٠ و٤٤٧١ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الصغير برقم ٣١٠٣ و٣٣٨٦ وأخرجه في معرفة السنن والآثار برقم ٢٠٠٢٦ وكذلك أخرجه في السنن الكبرى برقم ١٦٤٤٥ و٢١٢٠١ ، وضعفه الحديث الألباني في ضعيف الجامع بهذا اللفظ ، برقم ٢٣٨٤ ، وبدون لفظ القسامة صححه في صحيح الجامع برقم ٢٨٩٧ من حديث أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر رضي الله عنهم .

[2] كما في الحديث الثالث من هذا الباب .

وفي اللفظ الأخير من الحديث الثالث : { مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ } الأرض هي من المال ؛ بل من أشد المال ؛ إذن فهو مثل ما تقدَّم [٣]، وبالله التوفيق .

٦٣ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

٢٢٥ - (١٤٠) حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي ؟ قَالَ : { فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ } قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : { قَاتِلْهُ } قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : { فَأَنْتَ شَهِيدٌ } ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : { هُوَ فِي النَّارِ } .

٢٢٦ - (١٤١) حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ - وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ - قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وَقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ تَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ ،

---

[٣] أي عليه من العقوبة ما عليه ؛ لأخذه مال غيره ظلماً .

فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، فَوَعَظَهُ خَالِدٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ }. وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، ح **وَحَدَّثَنَا** أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

(التعليق)

أقول : أورد فيه حديث : { أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي ؟ قَالَ : فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ ...} ويؤخذ منه إن قُصِد أخذ ماله ، وهو متأكِّدٌ أنَّ هذا ماله أنَّه يجوز له المقاتلة ؛ وهل يجب أو لا يجب ؟ هذا محل نظر ؛ لأنَّ المدافعة عن الأهل ، وعن النفس ، وعن المال واجبة ؛ لكن هل يجوز التنازل عن المدافعة عن المال في بعض الأحيان ؛ كأن يكون المال قليلاً أو إذا أردت أن تعطيه المال ، ولاتدخل معه في قتال ؛ هل يجوز هذا أو لايجوز ؟ بعض أهل العلم يرون أنَّه لايجوز ، وأنَّ النبي ﷺ قال : { قَاتِلْهُ } وبعضهم يقول : إن كان الطلب قليلاً ، فدافعه بالقليل ؛ أي دافعه بشيءٍ قليل ، فإن اندفع ، وإلاَّ قاتله .

مسألة الدفاع عن النفس هل يجب وجوباً حتمياً أو أنَّه يجوز في بعض الأحيان أن يستسلم الإنسان ؟ ورد في الحديث:{ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ }[1]

[1] الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه برقم الحديث ٣٩٥٨ وبنحوه أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم ٤٢٦١ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢١٣٢٥ و٢١٤٤٥ وأخرجه الإمام البزار في مسنده برقم

هذا الحديث يعتبر معارضاً ؛ لقول النبي ﷺ : { مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ }[1]بعض أهل العلم خصُّوا حديث أبي ذرٍّ بوقت الفتنة ، وأنَّه يجوز الاستسلام ، أمَّا في غير الفتنة ؛ فيجب دفع الصائل .

كذلك أيضاً في مسألة الدفاع عن الحُرُم [الأهل] هذا لاخلاف بين أهل العلم بأنَّه يجب الدفاع عنهم حتماً ، ولايجوز التنازل عن هذا أبداً مرةً واحدةً .

فمن قصد حُرُمُه بسوء يجب عليه أن يقاتل حتى يُقْتَل أو يغْلبْ ؛ فإن قُتِلَ عذر ؛ وإن غَلَب ، فالحمد لله ، أمَّا أنَّه يترك العابثين الذين يريدون العبث بالمحارم ؛ فهذا أمرٌ لايجوز باجماع الأمة .

٣٩٢٨ و٣٩٥٩ وأخرجه الإمام أبو بكر بن الخلال في السنة برقم ١٠٤ و١٨٧ و١٨٩ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٥٩٦٠ و٦٦٨٥ وأخرجه الإمام الحاكم في مستدركه برقم ٢٦٦٦ و٨٣٠٤ و٨٣٠٥ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٤٢٢٠ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٦٧٩٩ ، وصحح الحديث الإمام الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل برقم ٢٤٥١ من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٦٥٢ و١٦٥٢ وبنحوه أخرجه الإمام أبي داود في سننه برقم ٤٧٧٢ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ١٤٢١ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ٣٥٤٤ وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة برقم ٢٥٦٤ وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى برقم ٦٠٦٢ و١٦٧٧٧ ، والحديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٣٥٢٩ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه .

قوله : { فَأَنْتَ شَهِيدٌ } عدَّ النووي رحمه الله الشهداء ثلاثة :

١- شهيدٌ في الدنيا والآخرة ، وهو قتيل المعركة التي بين الإسلام والكفر ؛ أو بين المسلمين ، والكفار ؛ هذا بالنسبة لنا نحن في الدنيا ؛ أمَّا المقاصد ؛ فالله هو الذي يعلمها ، ويتولاها ؛ وقد جاء في الحديث : { إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ }[٢] وقد سئل الرسول ﷺ : { عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ }[١]وفي رواية : { أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ }[٢]هذا هو الذي يكون في سبيل الله ، أمَّا غيره إذا كانت له مقاصد أخرى ، فنحن نجري عليه أحكام الشهادة في الدنيا بألايُغَسَّل ، ولايُكفَّن ؛ بل يدفن في ثيابه ؛ ولايصلَّى عليه ؛ فهذا يعتبر شهيد الدنيا ، والآخرة .

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام ابن أبي شيبه في مسنده برقم الحديث ٤٠٣ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٣٧٧٢ ، وضعف الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٢٩٨٨ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

[١] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٩٠٤ وبنحوه الإمام البخاري في صحيحه برقم ٧٤٥٨ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم ٣١٢٦ ، و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٩٠٤ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

٢- شهداء الآخرة ؛ وهم المطعون ، والمبطون ، والغريق ، والحريق ، والهدم ، والنفساء تموت بجُمْعٍ أو قُتِلَ دون ماله ؛ فهؤلاء السبعة يعتبرون شهداء الآخرة ؛ بمعنى أنَّ أحكام الشهادة الدنيوية لاتجرى عليهم[٣] ؛ وإنَّما هم يعتبرون شهداء في الآخرة .

٣- مَنْ يعتبر أنَّه من الشهداء ، وتجرى عليه أحكام الشهادة في الدنيا ، ولكنَّه لاينال درجة الشهادة كاملة ؛ وهو الغالّ ، وما أشبهه[١]، وبالله التوفيق .

٦٣ - بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ

٢٢٧ - (١٤٢) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ ، عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، قَالَ مَعْقِلٌ ﷺ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } .

---

[٣] أي لايغسلون ، ولايكفنون ، ولايصلَّى عليهم .

[١] وممن يشبه الغال من الغنيمة ؛ من قاتل لغير الله إما رياءً أو للمغنم أو شجاعةً ؛ أو حميةً ؛ أو ليرى مكانه ؛ كما دلت عليه الأحاديث السابقة .

٢٢٨ – حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : دَخَلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ ، عَلَى مَعْقَلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ وَهُوَ وَجِعٌ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا لَمْ أَكُنْ حَدَّثْتُكَهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا يَسْتَرْعِي اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً ، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } ، قَالَ : أَلَّا كُنْتَ حَدَّثْتَنِي هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : { مَا حَدَّثْتُـكَ } ، أَوْ { لَمْ أَكُنْ لِأُحَدِّثَكَ } .

٢٢٩ – (١٤٢) وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ يَعْنِي الْجُعْفِيَّ ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامٍ ، قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : كُنَّا عِنْدَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ نَعُودُهُ ، فَجَاءَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ ﷺ : إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمَا .

وَحَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وَقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ ﷺ فِي مَرَضِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ لَوْلَا أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ ، وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ } .

(التعليق)

أقول : أورد فيه حديث : { الْحَسَنِ ، قَالَ : عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ } عبيد الله بن زياد معروفٌ بطريقته السيئة ؛ فهو الذي أرسل جيشاً ؛ فقتلوا الحسين

بن علي بن أبي طالب ﷺ { مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ } نسبة إلى المزينة { فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، قَالَ مَعْقِلٌ ﷺ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ } يعني هذا الحديث ؛ لماذا ؟ لأنَّ هذا الرجل كان جبَّاراً ، فلذلك كتم هذا الصحابي هذا الحديث عنه ، فلمَّا أدركه الموت حدَّثه إيَّاه خروجاً من الإثم .

يؤخذ من هذا الحديث أنَّه يجوز كتم العلم إذا خاف الإنسان أن يترتب عليه ضررٌ لو حدَّث به ، وقد جاء عن أبي هريرة ﷺ في صحيح البخاري[1] أنَّه قال : { حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ : فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ } لكن إن قال الحق ، وصدع به ، فهذا له أجرٌ عظيم ، وقد جاء في الحديث : { إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا }[2] أي هذا فيه فضلٌ عظيم .

قوله : { مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ } إمَّا فيما يجب لها في الدين ، وإمَّا فيما يجب لها في الدنيا ، والدين أهمُّ من الدنيا .

---

[1] برقم الحديث ١٢٠ .

[2] الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم الحديث ٥١٣ وأخرجه الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم ٧٤٤ وصحح الحديث الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح برقم ٥٤٠٥ من حديث المقداد بن الأسود ﷺ .

قوله : { إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } إمَّا أن يحمل المعنى على من كان مستحلاً ؛ وإمَّا حرَّم الله عليه الجنة أن يدخلها مع الداخلين الأولين ، ويجوز أن يدخلها بعد ذلك ، وأنَّه لابدَّ لكلِّ موحد أن يدخل الجنة ، وقد جاء في حديث : { أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }[٣] وفي رواية : { ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ }[١] وفي حديث أنس بن مالك ﷺ : { عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ }[٢] كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠]

---

[٣] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٢ .

[١] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٨٣ من حديث أبي سعيد ﷺ .

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٤ .

وقد جاء في الحديث : { لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا ؛ وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ }[٣]

فالمسلم يرجو الله أن يكون من أهل الجنة ؛ نسأل الله أن نكون من أهلها ، وأن يعيذنا من النار ، وبالله التوفيق .

٦٤ - بَابُ رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ ، وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ

٢٣٠ - (١٤٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ، ح **وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا : { أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ } ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ : { يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ

---

[٣] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٧٣٨٤ وأخرجه الإمام مسلمٌ قي صحيحه برقم الحديث ٢٨٤٨ من حديث أنس بن مالك ﷺ .

أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا } . وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، وَوَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

(التعليق)

أقول : أورد فيه حديث : { حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا : أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ } أي في أصل قلوب الرجال ، قال النووي رحمه الله : " أَمَّا الْجَذْرُ فَهُوَ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا لُغَتَانِ ، وَبِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ فِيهِمَا وَهُوَ الْأَصْلُ ؛ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَذْهَبُ الْأَصْمَعِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ؛ فَتْحُ الْجِيمِ ، وَأَبُو عَمْرٍو يَكْسِرُهَا ، وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا التَّكْلِيفُ ؛ الَّذِي كَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ ، وَالْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ " **أقول** : الأمانة هي العدالة ، والقيام بالتكاليف طاعةً لله عزَّوجل ، وامتثالاً لأمره ؛ وأداء الحقوق إلى أصحابها ؛ هذا من الأمانة .

قوله : { ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ } أي القرآن شدَّد على الأمانة ، التي نزلت في جذر قلوب الرجال ؛ حتى في زمن الجاهلية قبل

أن يعرفوا القرآن كان منهم من يكون وفيَّاً ؛ مؤدِّياً لما التزم ، ومنهم من لايكون كذلك .

إذن من الناس من يكون أميناً طبيعةً حتى لو كان غير مسلمٍ ، أمَّا المسلم ، فقد أوجب الله عليه الأمانة لأمرين :

١- الخلقة التي كانت في قلوب الرجال .

٢- القرآن الذي أمر بالوفاء ، وأداء الأمانة ؛ لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء : ٥٨] ولهذا يقول الله تعالى عن أهل الكتاب : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] فيتبيَّن من هذا ؛ أنَّ القرآن أمر بالوفاء ، وبأداء الأمانة ؛ فيجب على المسلم أن يكون وفياً ، وأن يكون أميناً .

قوله : { يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ } الوكت : هو محل الجرح الذي قد برأ ؛ يبقى هناك أثر ؛ قال النووي رحمه الله الْوَكْتِ : " هُوَ الْأَثَرُ الْيَسِيرُ ؛ كَذَا قَالَهُ الْهَرَوِيُّ "

قوله : { ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ } ما هو المجل ؟ النفطة ؛ هي التي أصابتك بسبب شررةٌ من النار ؛ فصارت مرتفعة ، وليس فيها ماء ؛ ومعنى ذلك أنَّ بعض الناس فيه صورة الأمانة ، وهو ليس بأمين .

قوله : { كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ } مُنْتَبِرًا ، يعني منتفخاً .

قوله : { فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا } يعني يقل الأمناء حتى يتحدث الناس أنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً .

قوله : { حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ } يعني أنَّ الناس يمدحون الإنسان يقولون { مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ } .

قوله : { وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ } يعني دينه الإسلامي ، وتكيُّفه به ، سيرده عليَّ ، وسيؤدي أمانته .

قوله : { وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ } يعني رئيس القوم أو المتكفِّل بالإنسان .

قوله : { وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا } يعني الناس الذين قد عرفتهم بالأمانة ، أمَّا غيرهم ، فلا ؛ لأنَّهم ليسوا بأوفياء ، هذا قد قاله في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد مرَّ على الناس أزمنة ، وأزمنة ؛ فلا إله إلا الله ، ونسأل الله التوفيق ، والخير للمسلمين ؛ وأن يوفقهم لما يحبه ويرضاه ، وبالله التوفيق

٦٥ – بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا ، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ

٢٣١ – (١٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ ، يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ : أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ ، فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟ قَالُوا : أَجَلْ ، قَالَ : تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ ،

وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ ، فَقُلْتُ : أَنَا ، قَالَ : أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ } ، قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ ، { أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ } ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ ، قُلْتُ : { لَا بَلْ يُكْسَرُ } ، وَحَدَّثْتُهُ { أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ } قَالَ أَبُو خَالِدٍ : فَقُلْتُ لِسَعْدٍ : يَا أَبَا مَالِكٍ ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ ؟ قَالَ : { شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ } ، قَالَ : قُلْتُ : فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا ؟ قَالَ : { مَنْكُوسًا } .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الْفَزَارِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه مِنْ عِنْدِ عُمَرَ رضي الله عنه جَلَسَ ، فَحَدَّثَنَا ، فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْسِ لَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ سَأَلَ أَصْحَابَهُ ، أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتَنِ ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي خَالِدٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ تَفْسِيرَ أَبِي مَالِكٍ لِقَوْلِهِ : { مُرْبَادًّا مُجَخِّيًا } .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، وَعُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدَ ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : مَنْ يُحَدِّثُنَا أَوْ قَالَ : أَيُّكُمْ

يُحَدِّثُنَا – وَفِيهِمْ حُذَيْفَةُ – مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ : أَنَا ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه : حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ ، وَقَالَ : يَعْنِي أَنَّهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

٢٣٢ – (١٤٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ ، جَمِيعًا عَنْ مَرْوَانَ الْفَزَارِيِّ ، قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ كَيْسَانَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ } .

(١٤٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ ، قَالَا : حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا } .

٢٣٣ – (١٤٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا } .

(التعليق)

أقول : أورد فيه أيضاً حديث : { حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ : أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ ، فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟ قَالُوا : أَجَلْ ، قَالَ : تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ ،

وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ }سبحان الله ؛ سبحان الله{ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ } أي ما أحداً منهم تكلَّم { فَقُلْتُ : أَنَا ، قَالَ : أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ }[1] هذه كلمة من عمر لحذيفة رضي الله عنهما ؛ صاحب السر الذي أعطاه النبي ﷺ أسماء المنافقين { قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ } معروف ، والمراد به الخصف المصنوع من عيدان متتالية { عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا } بمعنى قَبِل هذه البدعة ، قبل هذه المصيبة ؛ قبل هذه المحدثة { نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ } القلب الذي ينكر البدعة تُنكت فيه نكتةٌ بيضاء ، لكن اليوم ما فيه إلا موضةٌ جديدة ؛ جاءتنا من عند الغرب أعداء الإسلام ؛ سواءً كانت حسنة أو سيئة ، وغالباً أنَّهم لايأتوننا إلا بالسيء ؛ ومع ذلك المسلمون يذهبون إليها باعتبارها موضات جديدة[2]، ودخلت الفتن ، وشاعت بين المسلمين ، والعياذ بالله ، ونسأل العفو والعافية { حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ } لاتضره الفتنة ؛ لأنَّه كلمَّا جاءت بدعة ، ودعوةً سيئةً أنكرها ، لكن العكس بالعكس ،

---

[1] قال الإمام النووي رحمه الله : " وَقَوْلُهُ □ لِلَّهِ أَبُوكَ □ كَلِمَةُ مَدْحٍ تَعْتَادُ الْعَرَبُ الثَّنَاءَ بِهَا ؛ فَإِنَّ الْإِضَافَةَ إِلَى الْعَظِيمِ تَشْرِيفٌ ، وَلِهَذَا يُقَالُ : بيت الله ، وناقة اللَّهِ ؛ قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ : فَإِذَا وُجِدَ مِنَ الْوَلَدِ مَا يُحْمَدُ ؛ قِيلَ لَهُ لِلَّهِ أَبُوكَ ؛ حَيْثُ أَتَى بِمِثْلِكَ " انتهى .

[2] ومنها القصات المختلفة لشعور رؤوس الرجال ، وحلقهم للحاهم ، ومنها قطع ثياب النساء من الأسفل لتبدو سيقان النساء، مع تقصير ثيابهنَّ مشابهة للرجال ، وغيرها من الموضات كثير .

فالقلب الذي يقبلها ، ويأخذها ، تنكت فيه نكتٌ سوداء { وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا } أي غبرة أو قترة ؛ بمعنى أنَّ نور الإيمان تطمسه ظلمة المعصية { كَالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا } أي الكوز إذا كان مائلاً لايأخذ من الماء شيئاً ، وهكذا قلب المنافق منكوس لايدخل فيه شيء من الخير ، ونسأل الله العفو والعافية { لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ } هوي الرياضة ؛ فهو يحب أن يكون رياضياً ، إمَّا لاعباً أو مشجعاً يصفق بيديه ، ويركض الأرض برجليه ؛ إنَّك والله لتعجب عندما ترى أناساً ألوفاً مؤلفة في مثل هذا الميدان تذهب عليهم أوقات الصلاة وهم ما بين زاعقٍ وناعق ، وربما حصل بينهم صدامٌ ، ومضاربة بين المشجعين ، وهكذا أمورٌ أخرى مثل ذلك[1] ؛ وإنا لله إنا إليه راجعون ، ونسأل الله العفو والعافية ؛ { قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ ، أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ ، قَالَ عُمَرُ ﷺ : أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ ، قُلْتُ : لَا بَلْ يُكْسَرُ ، وَحَدَّثْتُهُ { أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ } وهو عمر بن الخطاب ﷺ { أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ ؛ قَالَ أَبُو خَالِدٍ : فَقُلْتُ لِسَعْدٍ : يَا أَبَا مَالِكٍ ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ ، قَالَ : قُلْتُ : فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا ؟ قَالَ : مَنْكُوسًا } .

---

[1] يقصد الشيخ وجود مخالفات أخرى في الرياضة أو يقصد أمور أخرى غير الرياضة مما تهواه النفوس كحضور مسارح الغناء أو التمثيل أو التصوير لذوات الأرواح وغيرهما مما فيه من مخالفات شرعية يضعف معها الإيمان ، ويغضب بها الرحمن والله المستعان .

ثم أورد فيه حديث : { أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا } أي بدأ الإسلام غريباً ولاشك ؛ حيث كان أهله ، ومعتنقوه غرباء بين الأهلين ، وفي القبائل ، والعشائر ؛ لأنَّهم اعتنقوا ديناً غريباً عن دين أولئك ، فلذلك صاروا غرباء .

وقول النبي ﷺ : { وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ } هذا إخبارٌ منه صلوات الله وسلامه عليه بغربة الإسلام الحقيقي ، أمَّا الإسلام بالادعاء ، والتجنس ؛ فهو كثيرٌ ، وكثير ، وعدد المسلمين اليوم يقدر بألف مليون [٢] ولكنهم مع ذلك هم مضطهدون في كل مكان ، ومطاردون في كل بلدٍ ، ويستثنى من هذا بلدنا هذا ، والحمد لله ، المسلمون في غير بلدنا يقتلون ، ويشردون ، ويحبسون ، ويسجنون ، فهذا دليلٌ على غربة الإسلام الحقيقي .

وقوله : { فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ } من هم الغرباء ؟ إنَّهم الذين يمثلون الإسلام الحقيقي بتعاليمه الصحيحة ، وأحكامه الشرعية ، يمثلونها في واقعهم ، ويمثلونها في أقوالهم ، وأعمالهم ؛ ومعاملاتهم ؛ هؤلاء هم الغرباء ؛ لأنَّهم تركوا العوائد والأعراف ، وأخذوا بالشرع الإسلامي الحنيف ، نبذوا كلَّ عرفٍ ، و عادةٍ تتنافى مع تعاليم الإسلام ، لذلك صاروا غرباء .

وما معنى طوبى ؟ أي أنَّ لهم الطيابة في الدنيا والآخرة ، فهم طيبون ، ويعاملون بالطيابة في الدنيا والآخرة ؛ لأنَّهم استقاموا على شرع الله ، واستقاموا على دينه ،

---

[٢] هذا العدد قاله شيخنا النجمي رحمه الله قبل أربعين عاماً تقريباً ، وأمَّا عدد المسلمين في نهاية العام الهجري ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م ، فهو يشكل ٢مليار شخص مسلم ، كما ذكره صاحب موقع يكيبديا.

وعملوا بما أمرهم الله به في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه سبحانه وتعالى في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ويمكن أن يقال أنَّ طوبى شجرةٌ في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عامٍ لا يقطعها ، وهي الظل الممدود الذي ورد في سورة الواقعة كما فسره بذلك بعض المفسرين[1]، إذاً يصح التفسير بهذا ، وبهذا .

ثم أورد مسلم الرواية الأخرى من حديث : { ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا } ما معنى : { يَأْرِزُ } أي يأوي ، يقال أرزت الحية إلى جحرها بمعنى أوت ودخلت فيه ؛ فالاسلام يأوي إلى بين المسجدين أي يعود إلى محله الأول مكة ، والمدينة ، الذي خرج منهما أولاً ، وينتشر منهما ثانياً ؛ هكذا أخبر النبي ﷺ الصادق المصدوق ، وبالله التوفيق .

٦٦ - بَابُ ذَهَابِ الْإِيمَانِ آخَرِ الزَّمَانِ

٢٣٤ - (١٤٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللهُ ، اللهُ } .

---

[1] كما فسَّرها بذلك الإمام الطبري ، وابن كثير في تفسيرهما على آية ٣٠ من سورة الواقعة بدلالة النص النص النبوي في ذلك .

حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللهُ ، اللهُ } .

(التعليق)

أقول : قد ورد في الأحاديث التي يبيِّن بعضها بعضاً أنَّه في آخر الزمان يقوم المهدي ؛ الذي يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه ؛ اسمه أبيه ﷺ وأنَّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملأت جوراً وظلماً ؛ وليس هذا هو المهدي المنتظر عند الرافضة ، والأحاديث الورادة في المهدي أحاديث كثيرة ، جمعها بعض المعاصرين ، وهو الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله ؛ الذي كان رئيساً للجامعة الإسلامية قبل سنوات[1]، وهذه الأحاديث منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف ، ولكن بمجموعها تدل على أنَّ للأمر حقيقة ، وهذا يكون قبيل خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، هذا[1] يفتح أوروبا من طريق روما ، ثم يسير بفتحه إلى القسطنطينية ، فإذا بلغ القسطنطينة ، وفتحوها ؛ وعلقوا سيوفهم بأشجار الزيتون ، يأتيهم الصريخ بأنَّ الدجال قد خرج في أهليكم ، فيرسل أميرهم عشرة فوارس ؛ يقول النبي ﷺ : { إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ ، هُمْ خَيْرُ

---

[1] وكان ذلك في عام ١٣٨٩ هـ واستمر فيها إلى عام ١٣٩٥ هـ . انظر موقع الشبكة العلمية السلفية . وكتابه في المهدي اسمه " عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر " .

[1] أي المهدي .

فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - }[٣] فيأتون ؛ فيجدون الخبر كما هو صحيح ، وقد جاء في حديث : { النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَقَالَ : غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا ، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا ؛ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ؛ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : لَا ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ؛ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ : كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ؛

---

[٣] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ٢٨٩٩ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ

لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ ، فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، ؛ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ؛ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ ، فَيُقْبِلُ ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ ، يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ ، فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ ، وَنَتْنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ ؛ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ ،

فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ }[1].

فهذا معنى قوله ﷺ : { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللهُ ، اللهُ } يعني أنَّ المسلمين الذين يذكرون الله ؛ هؤلاء يموتون حين تقبضهم الريح ، وبعد أن تقبضهم الريح يبقى شرار الخلق ، وعليهم تقوم الساعة ، وبالله التوفيق .

٦٧ - بَابُ الِاسْتِسْرَارِ لِلْخَائِفِ

٢٣٥ - (١٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ شَقِيقٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : { أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ } ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ ؟ قَالَ : { إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا } ، قَالَ : { فَابْتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا } .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ٢٩٣٧ .

(التعليق)

أقول : إخبار النبي ﷺ بأنَّ المسلمين سيبتلون ، هذا معجزةٌ من معجزاته ، وكم من الابتلاء قد حصل للمسلمين ؛ كثير ، وكثير .

وقول حذيفة رضي الله عنه : { فَابْتُلِيَنَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا } لعلَّه حصل له ذلك في بعض المواقف ؛ لكن انتشر الاسلام ، وشاع في حياة النبي ﷺ ولما توفي النبي ﷺ وقعت الردة ، وانتشرت في العرب ، ولم يبق أهل بلدٍ يصلُّون إلاَّ أهل المدينة ، ومكة ، وجماثان التي في البحرين ، وهي بلدة بني عبد القيس ، فلعله[1] يريد هذا الموقف ، أمَّا وقت حصار عثمان رضي الله عنه فهذا لم يلحق حذيفة رضي الله عنه ؛ بل توفي حذيفة رضي الله عنه بعد قتل عثمان رضي الله عنه أظنُّه بأربعين يوماً تقريباً ، ولكن كان حذيفة رضي الله عنه في المدائن ، وعثمان رضي الله عنه في المدينة .

والمهم أنَّ حذيفة رضي الله عنه يقول : { فَابْتُلِيَنَا } ولكن الابتلاء الذي وقع بعده بالمسلمين ، لايزال في أماكن متعددة من بقاع الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولعلَّ الله عزَّ وجل أن يجعل الدَّالة للمسلمين على أعدائهم ، وينصرهم في المستقبل ؛ كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة .

قوله ﷺ : { أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ } يعني كم إنسانٍ يلفظ الشهادتين ، وبالله التوفيق .

---

[1] أي حذيفة رضي الله عنه .

٦٨ - بَابُ تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يَخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ

٢٣٦ - (١٥٠) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { أَوْ مُسْلِمٌ } أَقُولُهَا ثَلَاثًا ، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا { أَوْ مُسْلِم } ، ثُمَّ قَالَ : { إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ } .

٢٣٧ - حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ ، قَالَ سَعْدٌ ﷺ : فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَوْ مُسْلِمًا } ، قَالَ : فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَوْ مُسْلِمًا } ، قَالَ : فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَوْ مُسْلِمًا ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ } .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، وَزَادَ ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ يُحَدِّثُ هَذَا ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ بَيْنَ عُنُقِي وَكَتِفِي ، ثُمَّ قَالَ : { أَقِتَالًا ؟ - أَيْ سَعْدُ - إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ } .

(التعليق)

أقول : يؤخذ من هذا الحديث تألُّف من يخاف عليه إذا منع عنه المال أن ينقلب عن إسلامه ، وهذا إذا كان الرجل أو الأمير أو القائد يرى أنَّ هذا لو لم يُتألَّف يخشى على إسلامه أو يخشى منه أو يكون في تألُّفه مصلحةٌ للاسلام ، وذلك لكونه رئيساً متبوعاً ؛ فإذا تؤلِّف على الإسلام عند ذلك يكون له تأثيرٌ في أتباعه ؛ وقد فعل النبي ﷺ من ذلك ما فعل ؛ وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : { بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ } رواه البخاري ، وفي رواية له : { بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا } { فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ ثُمَّ المجَاشِعِيِّ ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ ،

وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيّ ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ } وفي رواية له أيضاً : { فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ ، وَزَيْدِ الخَيْلِ ، وَالرَّابِعُ : إِمَّا عَلْقَمَةُ ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ }{ فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ ، وَالأَنْصَارُ ، قَالُوا : يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا ، قَالَ : إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ }[1] وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : { لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا ، أَعْطَى الأَقْرَعَ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى نَاسًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُرِيدَ بِهَذِهِ القِسْمَةِ وَجْهُ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ }[2]وفي رواية : { أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ، وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ...وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

قَالَ : فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِائَةً }[1] وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ ﷺ قَالَ : { لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المؤَلَّفَةِ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٣٤٤ و ٤٣٥١و ٧٤٣٢

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٣٣٦ .

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٠٦٠من حديث رافع بن خديج ﷺ .

قُلُوبُهُمْ ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا ، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ، فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي ؛ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ، قَالَ : مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ قَالَ : كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ، قَالَ : لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ : جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا ، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا ، الأَنْصَارُ شِعَارٌ ، وَالنَّاسُ

دِثَارٌ ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ }[1]

فهذا دأب النبي ﷺ أن يتألَّف من يرى أنَّ إيمانه ضعيفاً ؛ فلذلك قال : { عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوْ مُسْلِمٌ ؛ أَقُولُهَا ثَلَاثًا ، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا ؛ أَوْ مُسْلِم ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ } .

فأولاً : يستفاد من هذا الحديث : التألُّف على الإسلام .

ثانياً : يؤخذ منه : أنَّ أصحاب الإيمان العميق ؛ لايهمُّهم أُعطوا أو لم يعطوا ؛ لأنَّهم إنَّما آمنوا لله ، ولم يؤمنوا للدنيا .

---

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٣٣٠و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٠٦١.

ثالثاً : يؤخذ من قوله : { أَوْ مُسْلِمٌ } أنَّك لاتحكم على الإنسان بالشيء الذي لاتعلمه ، فالإيمان من أعمال القلوب التي لايعلمها إلاَّ الله ، ولكن الإسلام هو الظاهر الذي يظهر للغير ؛ فكونه مسلماً ؛ هذا مقطوعٌ به ؛ أمَّا كونك تحكم بالإيمان الذي في القلب ؛ فهذا شيءٌ لاينبغي ، وبالله التوفيق .

٦٩ - بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ

٢٣٨ - (١٥١) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] } ، قَالَ : { وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ } .

وَحَدَّثَنِي بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ ، وَأَبَا عُبَيْدٍ ، أَخْبَرَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ : { ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] } قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى جَازَهَا .

حَدَّثَنَاهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، كَرِوَايَةِ مَالِكٍ بِإِسْنَادِهِ ، وَقَالَ : ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَنْجَزَهَا .

(التعليق)

أقول : قول النبي ﷺ : { نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ } هذا من تواضعه صلوات الله وسلامه عليه ، وإلاَّ فهو سيد المرسلين ؛ وهو أفضلهم ، وأزكاهم ، وأرفعهم درجةً عند الله ، وأقربهم وسيلةً إليه ؛ لذلك فإنَّ الأنبياء إذا طلبت منهم الشفاعة يوم القيامة ؛ كلُّ واحدٍ منهم يتخلَّى ، ويعتذر ، ويمتنع ، ويحيلها إلى غيره ، حتى تصل الإحالة إلى النبي ﷺ ، فيقول : { أنا لها }[1] .

ولكن لما كان بعض أصحابه يفضلونه على غيره من الأنبياء عند ذلك قال : { لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى } وفي رواية : { لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ

---

[1] سيأتي شرح هذا الحديث في باب رقم : ٨٤ – بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا من كتاب الإيمان حديث رقم ٣٢٦ .

بِصَعْقَةِ الطُّورِ }[1] وهذا سببه معروفٌ ، وهو أنَّ رجلًا من المسلمين كان يحاور رجلًا من اليهود ، ويجادله في شيء ؛ فقال اليهودي : والذي فضَّل موسى بن عمران على العالمين ؛ فرفع المسلم يده ، ولطمه لطمةً ، وقال : له أتقول هذا ؟ ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، فذهب اليهودي يشكو المسلم إلى النبي ﷺ وأخبره بالسبب ، فقال النبي ﷺ : { لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ .... } الحديث

فقول النبي ﷺ : { نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ } يعني إذا كان الشك لا يتطرق إلى إبراهيم عليه السلام ، فكذلك لا يتطرق إلى نبينا ﷺ لأنَّ إبراهيم عليه السلام ما شكَّ في إحياء الله للموتى ، ولكن قال ذلك [2] ؛ ليكون عنده علم المشاهدة ؛ الذي هو أعلى من العلم الآخر ؛ والذي هو علم اليقين ، ولا شكَّ أنَّ الأنبياء أعلى الناس إيماناً ، لأنَّ عندهم يقينًا لا مرية فيه أنَّ الله يحيي الموتى .

والمهم أنَّ إبراهيم عليه السلام لما قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فعند ذلك قال الله له : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٤١٢ و٤٦٣٨ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[2] يشير إلى قول الله تعالى في سورة البقرة آية ٢٦٠ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٦٠] فأخذ إبراهيم عليه السلام أربعةً من الطير ، وقد اختلفوا فيها فقيل غرابًا ، وقيل كذا ، وكذا ، وكذا [1]، والمهم أنهَّا مختلفة ، فذبحها ، وخلط بين لحومها ، ووزَّعها على عدة جبال ، وترك الرؤوس بيده ، فدعاها ، فجاء اللحم إلى اللحم ، والجلد إلى الجلد ؛ حتى تكونت طيوراً بلا رؤوس، وجاءت تسعى إليه ، والرؤوس في يده ، وكان إذا مدَّ بغير رأسه لا يقبل ، فإذا مدَّ برأسه قبله ، والتحم فيه ، وإذا هو كما كان قبل الذبح ، فسبحان الله العظيم .

والشاهد من هذا الحديث أن النبي ﷺ قال : { نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ .... } تواضعًا ، واعترافًا [بفضل الأنبياء] صلوات الله وسلامه عليهم ، لما كان لهم من الإيمان ، واليقين العميق .

وقوله : { وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } وذلك عندما جاءت الملائكة إلى لوطٍ عليه السلام في صور شباب في غاية الجمال ، والنظافة ، وطيب الريح ، فجاءوا [1] إليه [2] يريدون أن يمكنهم من ضيوفه ، وهو يدافع عنهم ، فيروى أنهَّم مروا على لوط عليه السلام ،

---

[1] قال الإمام الطبري في تفسيره ج٤ / ٦٣٣: " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: □ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ □ يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِذَلِكَ: قَالَ اللَّهُ لَهُ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ، فَذُكِرَ أَنَّ الْأَرْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ: الدِّيكُ، وَالطَّاوُوسُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحَمَامُ " انتهى .

[1] أي قومه .

[2] أي لوطٌ عليه السلام .

وهو في مزرعةٍ له ؛ قريبةٍ من المدينة [٣] ، فقالوا له نحن أضيافك اليوم ، فلم يجد بُدَّاً أن يقبلهم على مضضٍ ، لما يعرف من قومه أنهَّم قوم سوءٍ ، فمروا [٤] على ملأٍ منهم[٥] ، وهم يعملون الفاحشة ، فقالوا ما يعمل هؤلاء ؟ قال [٦] : هؤلاء قوم سوءٍ ، فشهد عليهم النبيون .

ثم بعد أن بلغتهم [٧] الأخبار ، جاءوا يريدون أن يمكنهم [٨] من ضيوفه ، فجعل يدافعهم على الباب ، وهم يدافعونه ، يريدون أن يفتحوا الباب بالقوة ، ولوطٌ عليه السلام ، وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، أو ابن عمه ، وقد آمن بإبراهيم عليه السلام ، وهاجر معه ، ولم يؤمن بإبراهيم عليه السلام إلا سارة زوجته ، وابن عمه أو ابن أخيه في ذلك الوقت ، فنبَّأه الله ، وبعثه إلى تلك القرى ؛ قرى سُدوم ؛ أو مدائن سدوم ، وكانوا يجمعون بين الكفر ؛ وفعل الفاحشة ، وقد سمعتم ما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل : ٥٤ -٥٥]

---

[٣] أي سدوم من أرض غور زُغَر كما قاله ابن كثير رحمه الله في قصص الأنبياء ٢١٠ من قصة لوط عليه السلام .

[٤] أي الملائكة ، وهم جبريل وميكائل وإسرافيل . كما قاله ابن كثير ص٢١٧ المصدر السابق .

[٥] أي من قومه .

[٦] أي لوطٌ عليه السلام .

[٧] أي قوم لوط عليه السلام .

[٨] أي لوطٌ عليه السلام .

وقال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۞ قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۞ قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٧٨ -٨٠] يعني ليس لي قبيلة تدفعكم ، ولهذا يقول النبي ﷺ : { وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ [1]} وهو ركن الله عز وجل ؛ الذي لايُقلُّ ، ولايُهَدْ ؛ فعندئذٍ خرج جبريل عليه السلام إلى قوم لوطٍ عليه السلام ، فضربهم بجناحه ، فالتئم جلود الأجفان على عيونهم ، وعادوا يتلمسون الجدران ، وقالت الملائكة للوط عليه السلام : ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨١ – ٨٣] وقال تعالى : ﴿ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ

---

[1] يقول الإمام النووي رحمه الله على قوله ﷺ : ... وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ : " فهو ثناء على يوسف عليه السلام ، وَبَيَانٌ لِصَبْرِهِ ، وَتَأَنِّيهِ . وَالْمُرَادُ بِالدَّاعِي رَسُولُ الْمَلِكِ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ : ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قطعن أيديهنَّ ﴾ فَلَمْ يَخْرُجْ يُوسُفُ ﷺ مُبَادِرًا إِلَى الرَّاحَةِ ، وَمُفَارَقَةِ السِّجْنِ الطَّوِيلِ بَلْ تَثَبَّتَ ، وَتَوَقَّرَ ، وَرَاسَلَ الْمَلِكَ فِي كَشْفِ أَمْرِهِ الَّذِي سُجِنَ بِسَبَبِهِ ، وَلِتَظْهَرَ بَرَاءَتُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَغَيْرِهِ ، وَيَلْقَاهُ مَعَ اعْتِقَادِهِ بَرَاءَتَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ ، وَلَا خَجَلَ مِنْ يُوسُفَ وَلَا غَيْرِهِ ، فَبَيَّنَ نَبِيُّنَا ﷺ فَضِيلَةَ يوسف فى هذا وقوة نفسه في الخير ، وَكَمَالِ صَبْرِهِ ، وَحُسْنِ نَظَرِهِ ،وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ ؛ مَا قَالَهُ تَوَاضُعًا ، وَإِيثَارًا لِلْإِبْلَاغِ فِي بَيَانِ كَمَالِ فَضِيلَةِ يُوسُفَ ﷺ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [النمل : ٥٦ -٥٨] ، وبالله التوفيق .

٧٠ - بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ

٢٣٩ - (١٥٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

(التعليق)

قال النووي رحمه الله : " اختلف فِيهِ عَلَى أَقْوَالٍ : -

أَحَدُهَا : أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا كَانَ مِثْلُهُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَآمَنَ بِهِ الْبَشَرُ .

وَأَمَّا مُعْجِزَتِي الْعَظِيمَةُ الظَّاهِرَةُ ؛ فَهِيَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِثْلَهُ ؛ فَلِهَذَا قَالَ : { أَنَا أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا } .

وَالثَّانِي : مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي أُوتِيتُهُ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ تَخْيِيلٌ بِسِحْرٍ ، وَشُبْهَةٍ بِخِلَافِ مُعْجِزَةِ غَيْرِي ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُخَيِّلُ السَّاحِرُ بِشَيْءٍ مِمَّا يُقَارِبُ صُورَتَهَا كَمَا خَيَّلَتِ السَّحَرَةُ فِي صُورَةِ عَصَا مُوسَى ﷺ وَالْخَيَالُ قَدْ يَرُوجُ عَلَى بَعْضِ الْعَوَامِّ ،

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ ، وَالسِّحْرِ ، وَالتَّخْيِيلِ يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ ، ونظر ؛ وقد يخطىء النَّاظِرُ فَيَعْتَقِدُهُمَا سَوَاءً .

وَالثَّالِثُ : مَعْنَاهُ أَنَّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ ، وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ ، وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ الْقُرْآنُ الْمُسْتَمِرُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَ خَرْقِ الْعَادَةِ فِي أُسْلُوبِهِ ، وَبَلَاغَتِهِ ، وَإِخْبَارِهِ بِالْمُغَيَّبَاتِ ، وَعَجْزِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بسورة من مثله مجتمعين ؛ أومتفرقين فى جميع الأعصار ؛ مع اعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا وَهُمْ أَفْصَحُ الْقُرُونِ مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ ﷺ : { فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا } عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ؛ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا فِي زَمَنِ قِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلَادَ ، وَبَارَكَ فِيهِمْ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ ، وَاتَّسَعَ الْإِسْلَامُ فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَسَائِرِ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى .

٧١- باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام

٢٤٠ - (١٥٣) حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي عَمْرٌو ، أَنَّ أَبَا يُونُسَ ، حَدَّثَهُ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } .

٢٤١ - (١٥٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ صَالِحٍ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ سَأَلَ الشَّعْبِيَّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إِنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ إِذَا أَعْتَقَ أَمَتَهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا : فَهُوَ كَالرَّاكِبِ بَدَنَتَهُ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ ، فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ "، ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ : خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، ح **وَحَدَّثَنَا** ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، ح **وَحَدَّثَنَا** عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، كُلُّهُمْ عَنْ صَالِحِ بْنِ صَالِحٍ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ .

(التعليق)

قال النووي رحمه الله : " الْحَدِيثُ الأول : فِيهِ نَسْخُ الملل كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا ﷺ .

وَفِي مَفْهُومِهِ : دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ ؛ فَهُوَ مَعْذُورٌ ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْأُصُولِ ؛ أَنَّهُ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ ﷺ : { لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ } أَيْ من هُوَ مَوْجُودٌ فِي زَمَنِي ، وَبَعْدِي إِلَى يَوْمِ القيامة ؛ فكلُّهم يجب عليهم الدُّخُولُ فِي طَاعَتِهِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَهُودِيَّ ، وَالنَّصْرَانِيَّ ؛ تَنْبِيهًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ والنصارى لَهُمْ كِتَابٌ ؛ فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا ؛ فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي : فَفِيهِ فَضِيلَةُ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِنَبِيِّنَا ﷺ وَأَنَّ لَهُ أجرين لإيمانه بنبيه قبل النسخ ، والثانى لإيمانه بِنَبِيِّنَا ﷺ .

وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ ؛ الْقَائِمِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحُقُوقِ سَيِّدِهِ .

وَفَضِيلَةُ مَنْ أَعْتَقَ مَمْلُوكَتَهُ ، وَتَزَوَّجَهَا ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الرُّجُوعِ فِي الصَّدَقَةِ فِي شَيْءٍ ؛ بَلْ هُوَ إِحْسَانٌ إِلَيْهَا بَعْدَ إِحْسَانٍ .

وَقَوْلُ الشَّعْبِيِّ : خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

فَفِيهِ جَوَازُ قَوْلِ الْعَالِمِ مِثْلَ هَذَا تَحْرِيضًا لِلسَّامِعِ عَلَى حِفْظِ مَا قَالَهُ ، وَفِيهِ بَيَانُ مَا كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الرِّحْلَةِ إِلَى الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ فِي حَدِيثِ وَاحِدٍ ؛ أَوْ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى بتصرف يسير .

٧١

- بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٢٤٢ - (١٥٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، ح **وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ } .

وَحَدَّثَنَاهُ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، ح **وَحَدَّثَنِيهِ** حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يُونُسُ ، ح **وَحَدَّثَنَا** حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ ، كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ : { إِمَامًا مُقْسِطًا ، وَحَكَمًا عَدْلًا } وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ : { حَكَمًا عَادِلًا } ، وَلَمْ يَذْكُرْ { إِمَامًا مُقْسِطًا } ، وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ : { حَكَمًا مُقْسِطًا } ، كَمَا قَالَ اللَّيْثُ : وَفِي حَدِيثِهِ مِنَ الزِّيَادَةِ : { وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا } ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء : ١٥٩] الْآيَةَ .

٢٤٣ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ،

عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا ، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ } .

٢٤٤ – حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي نَافِعٌ ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ؟ } .

٢٤٥ – وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي نَافِعٌ ؛ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ ؟ } .

٢٤٦ – وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ نَافِعٍ ؛ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ ؟ ، فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي ذِئْبٍ : إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ ، حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ { وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ } قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ : { تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ ؟ } قُلْتُ : تُخْبِرُنِي ، قَالَ : { فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ } .

٢٤٧ – (١٥٦) حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﵁ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } ، قَالَ : { فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ لَنَا ، فَيَقُولُ : لَا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ } .

(التعليق)

أورد الحديث من طريق قتيبة بعد سعيد البغلاني ؛ أخبرنا الليث بن سعد ؛ عن ابن شهاب ؛ عن سعيد بن المسيب ؛ عن أبي هريرة ﵁ وهذا السند سندٌ صحيحٌ ؛ رجاله رجال الصحيحين ، وأخرج الحديث أحمد ، والشيخان .

قوله : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ } حلف النبي ﷺ { لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ } .

أمَّا كونه سينزل ، فهذا لا شكَّ فيه ، وهل يكفر من أنكره ؟ محل نظر ، وأظنُّ أنَّ بعض أهل العلم صرَّح بكفر من أنكر ذلك [1]، وبنزوله يكون معدودًا من أمة محمدٍ ﷺ .

---

[1] قال العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤٢٩/١): " وأمَّا من زعم أنه □ أي عيسى عليه السلام – قد قتل ؛ أو صلب ، فصريحُ القرآن يردُّ قوله ، ويبطله . وهكذا قول من قال: إنه لم يرفع إلى السماء ، وإنما هاجر إلى كشمير ، وعاش بها طويلاً ، ومات فيها بموتٍ طبيعي ، وإنه لا ينزل قبل الساعة ؛ وإنما يأتي مثيله ؛ فقوله ظاهرُ البطلان

قوله : { حَكَمًا مُقْسِطًا } أي عادلًا ، وهو أن يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ

قوله : { وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ } وكونه يضع الجزية في ذلك الوقت ؛ فلا يقبلها من أهل الكتاب ؛ لا يعتبر هذا نسخًا للشريعة ، ولعله نسخ لجزئيةٍ واحدةٍ بأمر من الله ، ومن زعم أنَّ وضع الجزية هو من أحكام الشريعة ؛ فزعمه هذا باطل ، والحق أنَّ حكم الشريعة باقٍ إلى يوم القيامة ، وأنَّ عيسى عليه السلام يحكم حين ينزل بشريعة محمد ﷺ أمَّا إلغاء جزئيةٍ واحدةٍ ؛ فلا يعتبر نسخًا ؛ لكل الشريعة ؛ هذا الذي يظهر لي " انتهى .

قوله : { وَيَفِيضُ الْمَالُ } أي يكثر .

قوله : { حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ } لعلمهم بقرب الساعة ، وليس هناك امتدادٌ للخليقة ؛ حتى يخشى منه الفقر على الأولاد ، والأحفاد ، وبالله التوفيق [1] .

، بل هو من أعظم الفرية على الله تعالى ، والكذب عليه ، وعلى رسوله ﷺ فإنَّ المسيح عليه السلام لم ينزل إلى وقتنا هذا ، وسوف ينزل في مستقبل الزمان ؛ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ، ومما تقدَّم يعلم السائل وغيره أنَّ من قال: إنَّ المسيح قتل ؛ أو صلب ، أو قال إنَّه هاجر إلى كشمير ، ومات بها موتا طبيعيًا ، ولم يرفع إلى السماء ، أو قال: إنه قد أتى ؛ أو سيأتي مثيله ، وإنَّه ليس هناك مسيح ينزل من السماء ؛ فقد أعظم على الله الفرية، بل هو مكذب لله ولرسوله ﷺ، ومن كذَّب الله ورسوله ؛ فقد كفر ، والواجب أن يستتاب من قال مثل هذه الأقوال ، وأن توضح له الأدلة من الكتاب ، والسنة ؛ فإن تاب ، ورجع إلى الحق ؛ وإلا قتل كافرًا " انتهى .

[1] انظر شرح شيخنا أحمد النجمي رحمه الله في سنن الترمذي على الحديث رقم الحديث ٢٢٣٤ .

قال النووي رحمه الله : " قوله ﷺ : { وَلَيُتْرَكَنَّ الْقِـلَاصُ ، فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا } فَالْقِلَاصُ بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قَلُوصٍ بِفَتْحِهَا ، وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ ؛ كَالْفَتَاةِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْحَدَثِ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَمَعْنَاهُ أَنْ يُزْهَدَ فِيهَا ، وَلَا يُرْغَبُ فِي اقْتِنَائِهَا ؛ لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقِلَّةِ الْآمَالِ ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ ، وَالْعِلْمِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقِلَاصُ لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الْإِبِلِ ؛ الَّتِي هِيَ أَنْفَسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ واذا العشار عطلت ﴾ وَمَعْنَى لَا يُسْعَى عَلَيْهَا لَا يُعْتَنَى بِهَا ؛ أَيْ يَتَسَاهَلُ أَهْلُهَا فِيهَا ، وَلَا يَعْتَنُونَ بِهَا ؛ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ ، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَصَاحِبُ الْمَطَالِعِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ : مَعْنَى لَا يُسْعَى عَلَيْهَا ؛ أَيْ لَا تُطْلَبُ زَكَاتُهَا ؛ إِذْ لَا يُوجَدُ مَنْ يَقْبَلُهَا ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ تُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ ؛ بَلِ الصَّوَابُ مَا قَدَّمْنَاهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : { وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ } فَالْمُرَادُ بِهِ الْعَدَاوَةُ .

وَقَوْلُهُ ﷺ : { وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ } هُوَ بضم العين ، وَفَتْحِ الْوَاوِ ، وَتَشْدِيدِ النُّونِ ، وَإِنَّمَا لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقِصَرِ الْآمَالِ ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ ، وَقِلَّةِ الرَّغْبَةِ لِلْعِلْمِ بِقُرْبِ السَّاعَةِ " انتهى .

وأقول : " هذا الحديث يؤول على أهل العقيدة الصحيحة ؛ هم أهل الحديث ؛ الذين ساروا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد قال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ [1].

---

[1] أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص (٣٧) بإسناد صحيح ، وانظر أيضاً شرف أصحاب الحديث ص٢٥ .

وقال الإمام النووي في تفسير هذه الترجمة : وفي هذا الحديث معجزةٌ ظاهرةٌ ؛ فإنَّ هذا الوصف مازال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث .

قلت : قول النووي إنَّ أهل الحديث ، وأهل العقيدة الصحيحة لا يزالون قائمين ظاهرين على من ناوأهم إلى زمنه ، وبعد زمنه لم يزل أهل الحديث ، وأهل العقيدة الصحيحة السالمة من غبش أهل الكلام ، وغيرهم إلى الآن أيضاً ، وسيستمرون على ذلك إلى قيام الساعة ، وهو أن يأتي أمر الله بمجيء الريح التي تقبض أرواح المؤمنين قبيل الساعة .

وحين تدوين هذا الحديث كان في سنة ألفٍ وأربعمائة وثمانٍ وعشرين في اليوم السابع عشر من شهر شعبان ، ولن يزال الأمر على ذلك تصديقاً بوعد الله ، وإيماناً بأنَّ ذلك كائنٌ إلى يوم القيامة ، وليس المراد بظهورهم ظهور ولايةٍ ، وحربٍ ، ولكن ظهورهم هو بالحجة ؛ فهم ظاهرون بالحجة على من ناوأهم ؛ سواء كانوا أهل الكلام ؛ أصحاب المنطق المتأولين للصفات من جهميةٍ ، ومعتزلةٍ ، وغيرهم ، أو من شيعةٍ ، وروافض ؛ أو من خوارج ، وغيرهم من أصحاب النحل الضالة ؛ أو من أصحاب الحزبيات التي ظهرت في زمننا هذا من إخوانيةٍ ، وسروريةٍ ، وقطبيةٍ ، وجماعة تبليغٍ ، وجماعة تحريرٍ ... إلى غير ذلك ، فهم لا يزالون ظاهرين بالحجة فالجين بها ؛ لأنَّهم أخذوا بكتاب الله ، وأخذوا بسنة رسول الله ﷺ وساروا على ما سار عليه السلف الأول ، فصدق فيهم قول النبي ﷺ حينما سئل عن الفرقة الناجية ، فقال : { هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي }[1] هذا هو القول الحق في هذا الحديث ، ومعناه الصحيح .

ويؤخذ منه استعمال لفظ المقاتلة على من يكونوا في موقف الخصومة ، فيفلجوا وتنتصر جماعةٌ منهم وهم أهل الحديث كما سبق، فهم يعتقدون في الصفات أنها تمر كما وصفها الله ووصفها رسوله ﷺ مع اعتقاد أنها تحمل المعنى الذي سيقت له ، ولكنَّهم يحملون ذلك على ما يليق بجلال الله ، وهكذا يقال في سائر ما حصلت فيه المخالفة بينهم وبين أهل الأهواء ، وقد حمل معنى المقاتلة على بيان ما ينبغي لله ﷻ من العقائد ، فهم يقاتلون الذين يريدون تعطيلها ، ويبينون أنَّ هذا هو الحق ، يتولى فرقةٌ منهم ذلك في كلِّ زمانٍ جماعةٌ يخلفون أصحابهم ، وإن كانوا قليلين .

وفي هذه الأحاديث بشارةٌ للذين يتولون هذه العقيدة يقولون بها أحكاماً ، ويعتقدونها في قرارة قلوبهم ، ويدعون إليها من خالفهم ، ويظهرون بالحجة من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله على من ناوأهم ؛ فهم على ذلك سائرون ليس لهم اسمٌ إلا اسم الجماعة ، واسم السلفية ؛ لقول النبي ﷺ : { هم الجماعة }[1] ، فلا يغرنك أهل الحزبيات بخداعهم ؛ فإنهم إلى الباطل يدعون ، وعليه سيعيشون ، أمَّا أهل الحق فهم مقيمون على ما صح به التفسير من كتاب الله ، وصحت به الرواية من سنة رسول الله ﷺ ، والتابعين ، ومن بعدهم ، وبالله التوفيق " [2] انتهى بتصرف .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٩٩٢ وأخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم ٦٣ ، وصحح الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٩٢ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه .

[2] انظر شرح شيخنا أحمد النجمي رحمه الله على صحيح الإمام مسلم على الحديث رقم ١٩٢٠ .

٧٣ - بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ

٢٤٨ - (١٥٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] } .

حَدَّثَنَا أَبُو بكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وابْنُ نُمَيْرٍ ، وأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، **ح وَحَدَّثَنِي** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، كِلَاهُمَا عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، **ح وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

٢٤٩ - (١٥٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنِيهِ** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقُ ، جَمِيعًا عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ } .

٢٥٠ – (١٥٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ ، – سَمِعَهُ فِيمَا أَعْلَمُ – عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا : { أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ } قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : { إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً ، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَيُقَالُ لَهَا : ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا } ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] } .

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا : { أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ } بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ ، قَالَ : { يَا أَبَا ذَرٍّ ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ ؟ } قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : { فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ ، فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا } ، قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ : وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا .

٢٥١ – حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وَقَالَ الْأَشَجُّ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس: ٣٨] ؟ قَالَ : مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ .

(التعليق)

قال النووي رحمه الله : " فِيهِ قَوْلُهُ ﷺ : { لاتقوم السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ؛ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فى ايمانها خيرا } وفى الرواية الاخرى : { ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ } قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَالْفِقْهِ ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ خِلَافًا لِمَا تَأَوَّلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي الحديث الآخر فِي الشَّمْسِ { مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً } فَهَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ :

فَقَالَ جَمَاعَةٌ بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ ؛ قَالَ الْوَاحِدِيُّ : وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِذَا غَرَبَتْ كُلَّ يَوْمٍ اسْتَقَرَّتْ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا .

وَقَالَ قَتَادَةُ ، وَمُقَاتِلٌ : مَعْنَاهُ تَجْرِي إِلَى وَقْتٍ لَهَا ، وَأَجَلٍ لَا تَتَعَدَّاهُ ؛ قَالَ الْوَاحِدِيُّ ، وَعَلَى هَذَا مُسْتَقَرُّهَا ؛ انْتِهَاءُ سَيْرِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا اخْتِيَارُ الزَّجَّاجِ ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : تَسِيرُ فِي مَنَازِلِهَا حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى آخِرِ مُسْتَقَرِّهَا الَّذِي لَا تُجَاوِزُهُ ؛ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ مَنَازِلِهَا ، واختار بن قُتَيْبَةَ هَذَا الْقَوْلَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا سُجُودُ الشمس ؛ فهو بتمييزٍ ، وادراكٍ بخلق اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا .

وَفِي الْإِسْنَادِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ هُوَ بِبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ ، ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتُ .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَقَايَا تَأْتِي فِي آخِرِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ حَيْثُ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ " انتهى .

٧٣ - بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٢٥٢ - (١٦٠) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى

رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : { مَا أَنَا بِقَارِئٍ } ، قَالَ : فَأَخَذَنِي ، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : قُلْتُ : { مَا أَنَا بِقَارِئٍ } ، قَالَ : فَأَخَذَنِي ، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : أَقْرَأْ ، فَقُلْتُ : { مَا أَنَا بِقَارِئٍ } ، فَأَخَذَنِي ، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٢] ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ : { زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي } ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ : { أَيْ خَدِيجَةُ ، مَا لِي } وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، قَالَ : { لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي } ، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَلَّا أَبْشِرْ ، فَوَاللهِ ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، وَاللهِ ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أَيْ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ ،

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ﷺ ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ } قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا .

٢٥٣ – وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : فَوَاللهِ ، لَا يُخْزِنُكَ اللهُ أَبَدًا ، وَقَالَ : قَالَتْ خَدِيجَةُ : أَيْ ابْنَ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ .

٢٥٤ – وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، يَقُولُ : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ ، يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ ، وَمَعْمَرٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِمَا مِنْ قَوْلِهِ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ ، وَتَابَعَ يُونُسَ عَلَى قَوْلِهِ ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، وَذَكَرَ قَوْلَ خَدِيجَةَ : أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ .

٢٥٥ – (١٦١) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ ،

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ – قَالَ فِي حَدِيثِهِ – : { فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا ، فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ ﴾ [المدثر : ٢] فَاهْجُرْ – وَهِيَ الْأَوْثَانُ – قَالَ : { ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ } .

٢٥٦ – وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، يَقُولُ : أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي } ، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : { فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ } ، قَالَ : وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ : وَالرُّجْزُ الْأَوْثَانُ ، قَالَ : ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ بَعْدُ وَتَتَابَعَ .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ يُونُسَ ، وَقَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١] ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر : ٥] قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ – وَهِيَ الْأَوْثَانُ – وَقَالَ : فَجُئِثْتُ مِنْهُ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ .

٢٥٧ – وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى ، يَقُولُ : سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قَالَ :

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، فَقُلْتُ : أَوِ اقْرَأْ ؟ فَقَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قَالَ : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، فَقُلْتُ : أَوْ اقْرَأْ ؟ قَالَ جَابِرٌ : أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : { جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي ، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٢] } .

٢٥٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَقَالَ : { فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } .

(التعليق)

الوحي في اللغة : الإعلام الخفي ، وفي الشرع : إعلام الله عزَّ وجل لعبدٍ من عباده بحكمٍ شرعي .

كيف حصل الوحي للنبي ﷺ ؟ الوحي تارةً يطلق ويراد به الإلهام ، وتارةً بواسطة الرؤيا أو غيرها .

وعندما يكون الوحي لغير نبيٍّ نعرف أنَّه لم يكن بواسطة الملك مباشرةً ، وإنَّما بواسطة الملك لرؤيا يراهـا الإنسان ،

فالله عزَّ وجـــل قال في كتابــه : ﴿ وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩] إذن ، فإيحاء الله عزَّ وجل للنحل إيحاء إلهام ، كذلك أيضاً إيحاء الله عزَّ وجل لأمِّ موسى حينما أوحى إليها أن تقذف ابنها في التابوت ، وأن تقذفه في اليم ، فهذا الوحي إمَّا أن يكون إلهاماً أو يكون بواسطة رؤيا أو ما أشبه ذلك من الأساليب التي يعلمها الله عزَّ وجل عباده .

لكن الوحي الذي يرى فيه الملك ، ويخاطبه مخاطبة ، ويكلمه مشافهة ، فهذا لايحصل إلا لنبيٍّ ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] .

والنبي ﷺ أول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح : { لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ ؛ قَالُوا : وَمَا المُبَشِّرَاتُ ؟ قَالَ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ }[1] وفي رواية : { عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ؟ قَالَ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ }[2]وفي الحديث أيضاً : { الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ }[3]

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم ٦٩٩٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم الحديث ٢٢٧٥ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٢٧٦٧ والحديث صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٣٨ .

[3] الحديث أخررجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث **٦٩٨٩**وأخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم ٨ من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما .

فلذا قيل أنَّ أجزاء النبوة ستة وأربعون جزءاً ، وأنَّ كلَّ ستة أشهرٍ من السنين التي عاشها النبي ﷺ بعد الإيحاء إليه قد أخذ جزءاً من تلك الأجزاء ، وأنَّه استكملها جميعاً ، وعلى هذا فإنَّ الرؤية الصالحة تعتبر نوعاً من الوحي ، لأنَّ الرؤيا ، وهو الشيء الذي يراه الإنسان في النوم ينقسم إلى ثلاثة : إمَّا أن يكون من الشيطان ، وإما أن يكون من الله بواسطة الملك ، وإمَّا أن يكون نتيجة وسوسةٍ حصلت للإنسان في حالة يقظته [1]، فتمتثلت له في حالة نومه ، فلا تخرج الرؤى عن هذه الثلاث .

وعلى هذا ، فأمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تخبر بأنَّه : { كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ } يعني تأتي واضحة .

قولها : { ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ } أي المكان الخالي { فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ } أي ذوات العدد أسبوعاً أو أسبوعين أو ما أشبه ذلك ، وكانت خديجة رضي الله عنها تذهب إليه بزاده أحياناً ، وأحيانا يتزود ويجلس في ذلك المكان .

---

[1] وفي الحديث الذي أوررده مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٢٦٣ من حديث أبي هريرة : □ وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ " وبنحوه أروده البخاري في صحيحه برقم ٧٠١٧ بلفظ : □ الرُّؤْيَا ثَلاَثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلاَ يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ ".

قولها : { حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ } أي جاءه مفاجأةً { وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ } حيث كان غالب تعبده وجلوسه فيه .

قوله : { مَا أَنَا بِقَارِئٍ } ليس معناه امتناعاً منه ، ولكن معناه أنَّه أمْيٌّ لايقرأ ؛ فعند ذلك ، أخذه ، فغطَّه .

قوله : { فَغَطَّنِي } معناه ضمَّني ضماً شديداً .

قوله : { حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ } يعني مثل قولنا حتى كدت أن أموت .

قوله : { ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي } أي تركني .

قوله : { فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٢] } هذه الخمس الآيات أول ما نزل من القرآن ؛ كما أنَّ آخر ما نزل من القرآن على الصحيح قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] فأمر الله عزَّ وجل بالقراءة في أول ما نزل [من القرآن] ، وأمر بالتقوى في آخر ما نزل .

قولها : { فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ } البوادر هي اللحمة التي بين الكتف والنحر أي أنَّها ترتجف عند الخوف { حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي } أي غطوني بثيابي ، ودثروني مثل ذلك {حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ } أي الخوف { ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ : أَيْ خَدِيجَةُ ، مَا لِي ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، قَالَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَلَّا أَبْشِرْ ، فَوَاللهِ ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ....} تأكيدٌ للنفي ،

وحلفت على ذلك ، وهي بارةٌ عاقلة ، لأنَّها تعلم من صنع الله في عباده ، أنَّ الله لايخزي من يكون كذلك ، وأنَّه لايوقعه في جنون أو تسلط الشياطين ، قولها : { وَاللهِ ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ } ما معنى صلة الرحم ؟ هو الإحسان إليهم ، وكف الأذى عنهم { وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ } والكل هو [الرجل] الذي لايستطيع أن يعايش نفسه { وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ } ، وتَكسَب المعدوم ، قد لايكون فيه مفخرة ؛ لأنَّ من وجد المال ، ووجد الغنى ، ولو كان عمله عملاً رديئاً وسيئاً يمكن أن يكسب المعدوم ، ولكن فيما يظهر لي أنَّ رواية : { وتُكسِب المعدوم }هي الأولى بمعنى أنَّ الشيء المعدوم تُكْسِبُه غيرك أي تعطيه غيرك ، وتزكو نفسك منه ، وهذا واضحٌ في فطرة نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، واحتقاره للدنيا ، وازدرائه لها حتى إنَّ صفوان بن أمية رضي الله عنه : { حينما طلب أن يكون له شهرين خيار ، قال له النبي ﷺ : لك أربعة أشهر ، فلما انتهى النبي ﷺ من وقعت هوازن ، ومن حصار ثقيف ؛ عدل عنهم ، وجاء ليقسم الغنائم ، كان عنده صفوان بن أمية ، وبين جبلين شياهٌ ، ونعمٌ كثيرةً ، ورعاتها ، فجعل يرمقها صفوان ، فقال له النبي ﷺ : أيعجبك هذا ؟ قال نعم . قال هو لك ، فقال : بأبي أنت وأمي ، والله ما طابت بها نفس بشر : أشهد أنَّك رسول الله }[1]

[1] لم أجد تخرجه .

وقال للأنصار : { أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[1] ولم يرجع النبي ﷺ بشاةٍ ولابعير ، وقد كانت أربعين ألفاً من الإبل ، ومائةً وعشرين ألفاً من الغنم ؛ فكلُّها قسمها ، ورجع على ناقته التي جاء عليها صلوات ربي وسلامه عليه ، ويقول النبي ﷺ : { شَهِدْتُ ؛ وَأَنَا غُلَامٌ حِلْفًا مَعَ عُمُومَتِي الْمُطَيَّبِينَ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ }[2] وهذا الحلف يسمَّى بحلف الفضول ، وذلك أنَّ رجلاً من اليمن ، جاء ومعه ابنةٌ حسناء ، فأخذها رجلٌ من قريش ، ومنع أباها منها ، فذهب إلى مجالس قريش ، وعند ذلك قالوا للقرشي ؛ لتخرجنَّ الفتاة ، ولتسلمنَّها أباها ، فأخرجها رغماً عن أنفه ، وسلَّمها لأبيها ، وبعد ذلك إذا أراد الحلف أن يتعاقدوا جاءوا بجفنةٍ مليئةٍ بالطيب ، ثم وضعوا أيديهم فيها ، ثم تعاقدوا ، وتعاهدوا على ألا يجدوا مظلوماً في هذا البلد إلا نصروه ، فحضر النبي ﷺ وهو شابٌّ مع أعمامه هذا الحلف ، ثمَّ ذلك جاءت شريعته صلوات الله وسلامه عليه ، والتي هي غاية العدل ، وغاية الحق .

قولها : { وَتَقْرِي الضَّيْفَ } أي تعطيه قِراءه [أي ضيافته] .

قولها : { وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ } استدلت خديجة من هذا على أنَّ من يكون كذلك لايخزيه الله أبداً .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٤٣٣٣وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٠٦١ من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه .

[2] الحديث أخرجه الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم الحديث ٨٤٤ من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأخرجه الإمام البيهقي في سننه برقم ١٣٢٠٨ و١٣٠٧٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قولها : { فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ﷺ } المراد بالناموس جبريل عليه السلام .

قوله : { يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا } أي شاباً ، وأصل الجذع الإسقاط ، فالدابة إذا أسقطت أسنانها يقال لها جذع ، كالبعير إذا انتهى من السنة الرابعة ودخل في الخامسة يقال له جذع ، وهي غاية قوته ، والإنسان في السنة الثامنة والتاسعة يسقط أسنانه أيضاً .

قوله : { أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ } لأنَّ ورقة يعرف من قومه ﷺ الكرام والاحترام له غاية الاحترام اللائق به ﷺ ، ولهذا الواحد منهم إذا كان عنده أمانة يأتي بها إلى النبي ﷺ ، ولما اختلفوا في وضع الحجر ، وكادوا أن يتقاتلوا ، وهم اثنا عشر قبيلة ، وكلُّ قبيلة تقول أنا أضع الحجر ، وقالوا : نحكم أول داخل من باب كذا ، فكان أول داخل منه هو النبي ﷺ فقالوا هذا الأمين رضينا بحكمه ، وهو في سن الخامسة والثلاثين في ذلك الوقت ، ولم يتكلم بالوحي والدعوة ، فهو ما زال عندهم محترماً وصادقاً وأمينا ، وما جربوا عليه كذباً ، وكيف صنع النبي ﷺ معهم ؟ قال لهم : تختارو كلَّ قبيلة رجلاً منهم ، فيكونون اثني عشر رجلاً ، فوضع النبي ﷺ رداءه ، ووضع الحجر في وسطه ، ثمَّ قال لهم كل ثلاثة تأخذ بجانب من جوانب الرداء ، فأخذوا ورفعوا الحجر ، ووضعه النبي ﷺ بيده ، وبني عليه الكعبة ، فرضوا كلُّهم [1].

---

[1] الحديث أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحن برقم الحديث ١٦٨٣ من حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه .

فهذا كمثال واحد من الاحترام الذي كان يلاقيه النبي ﷺ من قومه ، لكنَّ لما أخبره ورقة بأنهم سيخرجونه من مكة ، وهذا خلاف ما كان يتصوره النبي ﷺ من قومه حتى قال النبي ﷺ : { أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ } وذلك لما صارحهم بالدعوة ، وعند ذلك حصل ما حصل ، فأخرجوه ، وأرادوا قتله ، والأمر في هذا معروف .

قوله : { وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا } أي قوياً ، وأكيداً ، ومتيناً ثمَّ سيقت الأحاديث بمثل هذه الصيغ .

أمَّا حديث جابر رضي الله عنه ففيه أنَّ أول ما نزل سورة المدثر بعد فترة الوحي ، وحديث عائشة رضي الله عنها أول ما نزل على الإطلاق سورة اقرأ [العلق] وهذا هو الصحيح .

وفيه : { ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً } يقال أنَّه ثلاثة أشهر ؛ حتى قال بعضهم ثلاث سنين ، لكن ثلاث سنين بعيد ، حتى قيل إنَّ النبي ﷺ أسف على انقطاع الوحي عنه ، وكان يحاول أن يتردى ، وكلما حاول أن يتردى نودي ؛ حتى جاءه المرة الثانية ، فتبدى له الملك على كرسي في الهواء بين السماء والأرض ، ولاشكَّ أنَّ هذا أمرٌ يختلف عن تصور الإنسان اختلافاً كثيراً ، كيف يكون كرسي في الهواء ، وعليه واحد جالس ويخاطبك .

ومعنى قوله : { فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا } أي النبي ﷺ جلس من الرعب عندما رأى هذا المنظر ، كيف وهو أشجع الناس ؛ أمَّا لو كان غيره ربما يموت .

بعد ذلك رجع إلى خديجة ، وقال زملوني ، زمولوني ، فزملوه بثيابه ، ورشوا عليه الماء .

قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ يعني انتهى وقت التدثر ، والتزمل ، وانتهى وقت الراحة ، وبقي وقت العمل والحركة والدعوة ، وتنقذ يا محمد هذه الأمة من الأصنام والأوثان ، عبادة المخلوق ، فقام بهذه المهمة خير قيام ، وينبغي أن نتحرك لدعوة الناس إلى عبادة الله ، ولتعليمهم ما أوجب الله عليهم ، حتى نكون من خلفاء النبي ﷺ في دعوته : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] وبالله التوفيق .

٧٤ - بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ

٢٥٩ - (١٦٢) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ } ، قَالَ : { فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ } ، قَالَ : { فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ } ، قَالَ { ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ، فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقِيلَ : مَنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ

بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا ، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ، قَالَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : { وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا } [مريم : ٥٧] ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ ، فَرَحَّبَ ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ } ،

قَالَ :{ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ } قَالَ : { فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ } ، قَالَ : { فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً } ، قَالَ : { فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ } ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ }

٢٦٠ – حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ ، حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :{ أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي ، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ } .

٢٦١ – حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ – يَعْنِي ظِئْرَهُ – فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ : « وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ » .

٢٦٢ – حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ ، أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ وَزَادَ وَنَقَصَ .

٢٦٣ – (١٦٣) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ يُحَدِّثُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ ، فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا : افْتَحْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ ، قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، قَالَ : فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفَتَحَ ، قَالَ : فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ، قَالَ : فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى ، قَالَ : فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ } قَالَ : { قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا آدَمُ ﷺ ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى }قَالَ :{ ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ

خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا : فَفَتَحَ } ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ ، وَإِدْرِيسَ ، وَعِيسَى ، وَمُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، قَالَ : فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قَالَ : { ثُمَّ مَرَّ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، قَالَ : ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ } ، قَالَ : { قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مُوسَى } قَالَ : { ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } ، قَالَ : { ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ } ، قَالَ : { قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ } ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ ، وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ ، يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ } ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً } ، قَالَ : فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَرَاجِعْ رَبَّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَرَاجَعْتُ رَبِّي ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخْبَرْتُهُ

قَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَرَاجَعْتُ رَبِّي ، فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَقُلْتُ : قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ، قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ .

٢٦٤ – (١٦٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، لَعَلَّهُ قَالَ : عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ : قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : { بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا – قَالَ قَتَادَةُ : فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي مَا يَعْنِي قَالَ : إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ – فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ ، يُقَالُ لَهُ : الْبُرَاقُ ، فَوْقَ الْحِمَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَفَتَحَ لَنَا ، وَقَالَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ } ، قَالَ: { فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ﷺ } ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ { لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى ، وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ ﷺ } ، قَالَ : { ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى ، فَنُودِيَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : رَبِّ ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي } ، قَالَ : { ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ } ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ ، { أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ ؟ قَالَ : أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ : فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقِيلَ : أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ أُمَّتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً } ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ .

٢٦٥ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : { فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا } .

٢٦٦ – (١٦٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ فَقَالَ:{ مُوسَى آدَمُ، طُوَالٌ،كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ

شَنُوءَةَ } ، وَقَالَ : { عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ } ، وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ .

٢٦٧ – وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، سَبْطَ الرَّأْسِ} ، وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ ، { فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ } [السجدة : ٢٣] ، قَالَ : كَانَ قَتَادَةُ « يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

٢٦٨ – (١٦٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ ، فَقَالَ : { أَيُّ وَادٍ هَذَا ؟ } فَقَالُوا : هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ ، قَالَ : {كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ } ، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى ، فَقَالَ : { أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ؟ } قَالُوا : ثَنِيَّةُ هَرْشَى ، قَالَ : {كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي } ، قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ : قَالَ هُشَيْمٌ : يَعْنِي لِيفًا .

٢٦٩ – وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ ، فَقَالَ : { أَيُّ وَادٍ هَذَ ا؟ } فَقَالُوا : وَادِي الْأَزْرَقِ ، فَقَالَ : {كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷺ – فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعَرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ – وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي } قَالَ : ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ ، فَقَالَ : { أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ؟ } قَالُوا : هَرْشَى – أَوْ لِفْتٌ – فَقَالَ : { كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا } .

٢٧٠ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ ، فَقَالَ : { إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ } ، قَالَ : فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لَمْ أَسْمَعْهُ قَالَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : { أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ ، وَأَمَّا مُوسَى ، فَرَجُلٌ آدَمُ ، جَعْدٌ ، عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي } .

٢٧١ – (١٦٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ

شَبَهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ } وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ : { دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ } .

٢٧٢ - (١٦٨) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ : حَدَّثَنَا ، وَقَالَ عَبْدٌ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ — مُضْطَرِبٌ ، رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ } ، قَالَ : { وَلَقِيتُ عِيسَى - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ } - يَعْنِي حَمَّامًا — قَالَ : { وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ } ، قَالَ : { فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ ، فَقِيلَ لِي : خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ ، فَشَرِبْتُهُ ، فَقَالَ : هُدِيتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ } .

(التعليق)

الكلام على هذا الباب طويل ، ويحتاج إلى وقت طويل ، وسأذكر مقتطفات منه : حادثة شق الصدر حصلت للنبي ﷺ مرتين : مرةً في بني سعد بن بكر ، وهو صغير ، ولهذا السبب ردته مرضعتنه [إلى أمِّه] رغم أنَّها قد وجدت فيه البركة تقول مرضعته حليمة : أنَّها جاءت على أتانٍ[1] ، ومعها جملٌ ، مع جماعةٍ مع أهل قريتها ، وقبيلتها ، جاءت تلتمس غلاماً ترضعه ، من أجل

[1] أي حمار .

الأجر[٢] من أجل أنَّهم يأخذون الرضعاء ؛ لينالوا براً من آبائهم ، فعرض النبي ﷺ عليها ، فردته لكونه يتيماً ،وعرض على صويحباتها ، فرددنه لكونه يتيماً ، ولكنها هي بعد ذلك لم تحصل على رضيعٍ غيره ، فرجعت ، وأخذته ، وكانت زاملتها [١] ضعيفة لاتستطيع أن تلحق مع الدواب ، وإذا بها عند الرجوع تمشي مشياً لم يعهد عنها ، ولما وصلت [بلدتها] كان القحط مخيماً ، والشياة عجز وضعاف ، وليس فيها لبن ، والناقة أيضاً كذلك ، فقام زوجها إلى الناقة ، وإذا هي تحلب حليب ما عهده عنها ، وهكذا غنمها يعود غنمها من المرعى ، وإذا هو به ممتلئ الضروع ، وإذا بغنم أولئك الناس غنمٌ جياع ، وليس فيه لبن ، فقال لها زوجها : إنَّ هذا لغلامٌ مبارك ، فمكث عندها ، حتى إذا ما بلغ أربع سنين ، وإذا هو يشب في السنة الواحدة ما لايشب غيره في سنتين .

وبعد ذلك خرج مع أخيه من الرضاع ذات يوم ، فلما عاد أخوه منتقع اللون خائفاً وجلاً ، فقال يا أمَّه يا أبت : ذاك أخي القرشي جاء إليه رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فصرعاه ، وشقا صدره ، فخرج إليه أبوه ، وخرجت إليه أمُّه من الرضاعة ، وإذا به منتقع اللون ، فقالا له : ما شأنك يا بني ، فقال : والله ما هو إلا أن أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ ، فقال أحدهما : أهو هو ؟ قال : نعم ، فأخذاني ، وشقا صدري ، واستخرجا منه شيئاً ، ثمَّ لأماه ،

---

[٢] أي المال .

[١] أي دابتها التي تركب عليها .

فالتأم ، فخافت عليه أمه من الرضاع أن يكون عليه بأس ، فرجعت به إلى أمِّه آمنة بنت وهب ، فقالت لها : أخفت عليه ، قالت : نعم . قالت : لاتخافي عليه ليس على ابني بأس ، فبقي عند أمه حتى السنة السادسة من عمره ، فذهبت به أمه لتزور قبر أبيه في المدينة ، فوصلوا إلى المدينة ، وعند رجوعهم ، مرضت أمه ، ثمَّ ماتت بالأبواء ، ودفنت هناك ، وعادت به أمته أمُّ أيمن [إلى مكة] .

والمهم أنَّ حادثة الصدر وقعت مرتين ، مرةً في صغره ، ومرةً ليلة أسري به .

أمَّا باقي الكلام على الإسراء ، فهو يحتاج إلى وقت طويل ، ونقتصر على هذا ، وبالله التوفيق .

٧٥ - بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ

٢٧٣ - (١٦٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ - أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ - يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ ، أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ } .

٢٧٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ يَعْنِي ابْنَ عِيَاضٍ ، عَنْ مُوسَى وَهُوَ ابْنُ عُقْبَةَ ، عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا :

ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ : { إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ ، عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ } ، قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا ، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ }

.

٢٧٥ – حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { رَأَيْتُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ رَجُلًا آدَمَ ، سَبْطَ الرَّأْسِ ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى رَجُلَيْنِ يَسْكُبُ رَأْسُهُ – أَوْ يَقْطُرُ رَأْسُهُ – فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – أَوِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، لَا نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ – وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْمَرَ ، جَعْدَ الرَّأْسِ ، أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطَنٍ ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ }

٢٧٦ – (١٧٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ } .

٢٧٧ – (١٧١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً – أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً – قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ ، جَسِيمٌ ، جَعْدُ الرَّأْسِ ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الدَّجَّالُ ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ } .

٢٧٨ – (١٧٢) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنِ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : { لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ } ، قَالَ : { فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي نَفْسَهُ – فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ } .

٧٦ - بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى

٢٧٩ - (١٧٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ ، ح **وَحَدَّثَنَا** ابْنُ نُمَيْرٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ ، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ ، عَنْ طَلْحَةَ ، عَنْ مُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : { لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا } ، قَالَ : { إِذْ يَغْشَى } [النجم : ١٦] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى } ، قَالَ : { فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ } ، قَالَ : { فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا ، الْمُقْحِمَاتُ } .

٢٨٠ - (١٧٤) وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ ، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ ، قَالَ : سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ ، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٩] ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » .

٢٨١ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ زِرٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١] ، قَالَ : « رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » .

٢٨٢ – حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ ، سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٨] ، قَالَ : « رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » .

(التعليق)

أورد فيه الحديث الأول عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا } قال النووي عن سدرة المنتهى : " كذا هو في السماء السادسة ، وقد تقدم في الروايات الأخر من حديث أنس أنَّها في السماء السابعة ؛ قال القاضي : كونها في السابعة هو الأصح " يعني كون الملائكة الذين يعرجون من الأرض ينتهون إلى فوق السماء السابعة ، ثم يكون ذلك منتهاهم ، أي ينزل جبريل بالوحي من عند الله ، فينتهي به إلى سدرة المنتهى ومنها يقبض ، والمهم أنَّ الصحيح أنَّ سدرة المنتهى في السماء السابعة ، وهو الذي يقتضيه هذا الاسم " سدرة المنتهى " أي أنَّه ينتهي إليها ما جاء من الأرض ، وما جاء من السماء .

أمَّا قوله عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٨] ، قَالَ : « رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » } أي في صورته الأصلية له ستمائة جناح ، الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ، وقد خلق الملائكة على

خلقٍ يعلمه هو ، ونحن بني آدم لانقدر أن نرى الملائكة على صورهم ، فلو رأى الواحد منا ملكاً على صورته ، لانخلع قلبه ومات ، ولكن الله عزَّ وجل إذا أراد أن يرسل جبريل بالوحي إلى أحدٍ من الأنبياء يأتيه على صورة بشر ، ولهذا يقول النبي ﷺ [عن جبريل] : { أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ، فَيُفْصَمُ عَنِّي ، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا }[1] ففي تلك الليلة راى جبريل على صورته له ستمائة جناح ، وبروى أنَّه لم ير جبريل على صورته إلاَّ مرتين ، مرةً رآه وهو هابطٌ من عند الله ، ومرةً قال له النبي ﷺ إني أريد أن أراك على صورتك ، فوعده بالأبطح ، فخرج للأبطح ، فأتى إليه جبريل ، وقد نشر جناحيه ، من أجنحته الستمائة ، وإذا بها قد ملأت الأفق من المشرق إلى المغرب ، سبحان الله العظيم ، وفي الحديث : {عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ . قَالَ : وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْظِرِينِي ، وَلَا تُعْجِلِينِي ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣]

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢ وبرقم ٣٢١٥ وأخرجه بنحوه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٣٣٣ .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم : ١٣] ؟ فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَتْ : أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] ؟ ، قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ [النمل : ٦٥] }[1]وبالله التوفيق .

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٧٧ .

٧٧ - بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ

٢٨٣ - (١٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ رضي الله عنه وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم : ١٣] ، قَالَ : « رَأَى جِبْرِيلَ » .

٢٨٤ - (١٧٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : « رَآهُ بِقَلْبِهِ » .

٢٨٥ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ ، جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ ، قَالَ الْأَشَجُّ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم : ١١] ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم : ١٣] ، قَالَ : « رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ » .

٢٨٦ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، حَدَّثَنَا أَبُو جَهْمَةَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

٢٨٧ - (١٧٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، قَالَ : وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْظِرِينِي ، وَلَا تُعْجِلِينِي ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ،

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم : ١٣] ؟ فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » ، فَقَالَتْ : أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام : ١٠٣] ، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] ؟ ، قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ [النمل : ٦٥] .

٢٨٨ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ ، وَزَادَ قَالَتْ : وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

٢٨٩ – حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟

فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلْتَ ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ وَحَدِيثُ دَاوُدَ أَتَمُّ وَأَطْوَلُ .

٢٩٠ – وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : فَأَيْنَ قَوْلُهُ ؟ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم : ٩] قَالَتْ : إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ .

٧٨ – بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُورًا»

٢٩١ – (١٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ : « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » .

٢٩٢ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، **ح وَحَدَّثَنِي** حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا عفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ ، قَالَ : قُلْتَ لِأَبِي ذرٍّ رضي الله عنه لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَدْ سَأَلْتُ ، فَقَالَ : « رَأَيْتُ نُورًا » .

٧٩ - بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ ، وَفِي قَوْلِهِ : حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ

٢٩٣ - (١٧٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ : { إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ } . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، وَلَمْ يَقُلْ : حَدَّثَنَا .

٢٩٤ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ : { مِنْ خَلْقِهِ } وَقَالَ : حِجَابُهُ النُّورُ .

٢٩٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي شُعْبَةُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ : { إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ } .

٨٠ - بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

٢٩٦ - (١٨٠) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، وَأَبُو غَسَّانَ الْمَسْمَعِيُّ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» .

٢٩٧ - (١٨١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ } .

٢٩٨ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ﷺ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] .

٨١ - بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ

٢٩٩ - (١٨٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللهُمَّ سَلِّمْ ، سَلِّمْ ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى ،

حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابُ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابُ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ

أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ : تَمَنَّهْ ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ } ، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا ، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ : { وَمِثْلُهُ مَعَهُ } ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : { وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ } ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ : « ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ : { ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ } ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ .

٣٠٠ – حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا ، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ .

٣٠١ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ

يَقُولَ لَهُ : تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى ، وَيَتَمَنَّى ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَمَنَّيْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ } .

٣٠٢ - (١٨٣) وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { نَعَمْ } قَالَ : { هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ } قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : { مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ، فَاسْقِنَا ، قَالَ : فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ

يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَال : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَقُولُونَ : اللهُمَّ سَلِّمْ ، سَلِّمْ { قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا

كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا } ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ : إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ؟ } فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ ، قَالَ : { فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ

هَذَا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا ، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَايَ ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا } ، قَالَ مُسْلِمٌ : قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ ، وَقُلْتُ لَهُ : أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ : أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَرَى رَبَّنَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ } قُلْنَا : لَا ، وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : { لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ } ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وَمَا بَعْدَهُ } ، فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ .

٣٠٣ – وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِإِسْنَادِهِمَا نَحْوَ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ إِلَى آخِرِهِ ، وَقَدْ زَادَ وَنَقَصَ شَيْئًا .

(التعليق)

أقول : حديث عائشة رضي الله عنها ، وسؤال مسروق بن الأجدع لها كما في الحديث الثاني ، وإمَّا أن تكون هي التي ابتدأت الكلام كما في الحديث

الأول ، ثمَّ إنَّ الحديثين اتفقا على أنَّ النبي ﷺ لم ير ربَّه عزَّ وجل ، وعائشة رضي الله عنها ذكرت أنَّ هذا مما لايصح ، ولايجوز ، واستدلت بقوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وبقوله تعالى : ﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] على أنَّ النبي ﷺ لم ير ربَّه ، والمسألة فيها خلاف بين الصحابة ، وبين أهل العلم من بعدهم ، فبعضهم قال إنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه ، وأنَّ الله قسم الرؤية ، والتكليم بين محمدٍ ﷺ وموسى ، فكلَّم موسى مرتين ، ورأى محمدٌ ربَّه مرتين ، هذا يروى عن ابن عباس .

ثمَّ إنَّ حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه : { هل رأيت ربَّك ؟ فقال : نورٌ أنَّى أراه } يعني كيف أراه ، وفي رواية : { رأيت نوراً } .

وكذلك أيضاً حديث أبو ذر رضي الله عنه ورد فيه روايتان ؛ رواية : { نورٌ أنَّى أراه } وهذا فيه نفيٌ ؛ يعني كيف أراه من النور ، ورواية : { نورٌ إنَّى أراه }[1] معناه أنَّه رآى نوراً ، فالخلاف حاصلٌ بين أهل العلم ، ولعلَّ القول بأنَّ النبي ﷺ لم ير ربَّه ، وإنَّما رأى نوراً ؛ لعلَّ هذا القول هو الأولى ، والأقرب ، أمَّا الآية التي استدلت بها عائشة رضي الله عنها ، فإنَّها نفت الرؤية التي في الدنيا ، ولاتنفي الرؤية التي في الآخرة ، والمعتزلة ينكرون رؤية المؤمنين لربهم عزَّ وجل ، ويستدلون بقوله تعالى : ﴿ لن تراني ﴾ وزعموا أنَّ ﴿ لن ﴾ هنا للتأبيد ، لكن قولهم هذا باطلٌ بإجماع السلف ، وهو أنَّ ﴿ لن ﴾ للتأبيد في الدنيا ،

---

[1] لم أجد تخريجها .

أمَّا في الآخرة ، فهذا لاينفي ، وقد وردت الأحاديث الصحيحة التي قد يكون أنَّها تبلغ إلى حدِّ التواتر أنَّ النبي ﷺ أخبر أنَّ الله يكشف الحجب عن وجهه في جنة عدنٍ ، فينظر إليه المؤمنون ، وعندما ينظرون إليه لايرون شيئاً أحسن من الرؤية التي أعطوها ؛ يعني أنَّ كلَّ ما أوتوه من النعيم في الجنة ، والخلود فيها ، والرضا من الله عزَّ وجل ؛ كلُّ ذلك يرونه أقلَّ من نعمة الرؤية ، ولذة الرؤية ، والنبي ﷺ أخبر بأنَّ المؤمنين يرون ربهم كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ } وفي رواية : { إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا }[1] ومعنى { تضامُّون } أي لاينضمُّ بعضكم إلى بعض ، ومعلومٌ أنَّ الشيء الصغير أو الدقيق إذا رآه الناس يحتاجون إلى أن ينضمَّ بعضهم إلى بعض ؛ فأنت ترى الناس ليلة الهلال يراه واحدٌ ، والآخرون يقولون له أين هو ؟ فيقول لهم : تعالوا إنَّه هناك ، فيحتاجون أن ينضم بعضهم إلى بعض .

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٥٥٤ و٥٧٣ و٤٨٥١ و٧٤٣٤ و٧٤٣٦ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٦٣٣ من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

أمَّا معنى : { لاتضارُّون } أي لايضر أحدٌ أحداً في رؤيته ؛ فلاتحتاجون إلى أن تجتمعوا ، وتروه من مكانٍ واحد ، فكلُّ واحدٍ منكم يراه ، وهو في مكانه ، ولذا جاء في حديث : { أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : نَعَمْ ؛ قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا } فرؤية الله ثابتةٌ في الآخرة ، والله يقول : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ ۞ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٣] ﴿ ناضِرَةٌ ﴾ من النضرة ، وهو البهاء والحسن و﴿ ناظِرَةٌ ﴾ من النظر ، وهو الرؤية ، إذن هذا دليلٌ على رؤية الله في الآخرة ، ومثل ذلك قول الله عزَّ وجل : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس : ٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي في الدنيا بالعمل الصالح و ﴿ الْحُسْنَى ﴾ هي الجنة و ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ وهي رؤية الله في الآخرة ؛ كما يقوله المفسرون ، وبالله التوفيق .

٨٣ – بَابُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ ، وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ

٣٠٤ – (١٨٤) وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ

إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ ، أَوِ الْحَيَا ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ؟ } .

٣٠٥ – وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ كِلَاهُمَا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَقَالَا : فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ : الْحَيَاةُ ، وَلَمْ يَشُكَّا ، وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ : { كَمَا تَنْبُتُ الْغُثَاءَةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ } ، وَفِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ : { كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِئَةٍ – أَوْ حَمِيلَةِ السَّيْلِ } .

٣٠٦ – (١٨٥) وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا ، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ } ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ .

٣٠٧ – وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ : { فِي حَمِيلِ السَّيْلِ } وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ .

(التعليق)

أقول : إذا فصل الله بين عباده ينادي المنادي من قبل الله عز وجل لتتبع كلُّ أمةٍ ما كانت تعمل ، فكلُّ أمةٍ كانت تعبد شيئاً غير الله ؛ فإنَّه يصور لها ذلك

الذي تعبده ، فيتبعونه ؛ حتى يتساقطون في نار جهنم : ﴿ إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ ۞ لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ ۞ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ ۞ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ ۞ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨ – ١٠٣] في الحديث : { لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى : أَنَا أَخْصِمُ لَكُمْ مُحَمَّدًا ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَلَيْسَ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَهَذِهِ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ، وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا ، وَهَذِهِ بَنُو تَمِيمٍ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ ، فَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] }[1] .

والمهم أنَّ الناس ينقسمون إلى قسمين ، كفرةٌ ، ومؤمنون معهم أصل الإسلام :

[1] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم الحديث ١٢٧٣٩ ، وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم ٣٤٤٩ ، وأخرجه الإمام الطحاوي في مشكل الآثار برقم ٩٨٦ ، وصححه الإمام الألباني في صحيح السيرة النبوية في فصل : في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

فأمَّا الكفرة ، فيساقون إلى أبواب جهنم [سوقاً] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٣-٤٤] وأمَّا المسلمون ، وأتباع الرسل ؛ فإنَّهم يمرون على الصراط ، وأول أمةٍ تجيز الصراط هي أمة محمدٍ ﷺ وفي الحديث : { وَيُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ ، قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ، ثُمَّ يَنْجُو }[1] وفي رواية : { فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، وَشَدِّ الرِّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا }[2] قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : { بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ }[3] نسأل الله السلامة ، وبعد أن ينجو المؤمنون ، ويدخلون الجنة ، بعد ذلك يتساءلون عن أهليهم ، وقراباتهم

---

[1] متفق عليه ؛ أخرج الحديث الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٨٠٦ و٦٥٧٣ و٧٤٣٧ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٨٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

[2] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ١٩٥ من حديث ربعي ، وحذيفة رضي الله عنهما .

[3] كما في حديث مسلمرحمه الله السابق برقم الحديث ١٨٣ .

، وأصدقائهم ، فإذا فقدوا أحداً يسعون حينئذٍ في الشفاعة له ، فيأذن الله بالشفاعة ، فيخرج هؤلاء من النار قد امتحشوا ، وصاروا حمماً ، لأنَّهم يموتون فيها إماتة ، أمَّا أهلها الذين هم أهلها ، فإنَّهم لايموتون فيها ، ولايحيون ، والعياذ بالله ، وبالله التوفيق .

٨٣ - بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا

٣٠٨ - (١٨٦) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ ، قَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ } ، قَالَ : { فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - } ، قَالَ : { فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ } ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ : { فَكَانَ يُقَالُ : ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً } .

٣٠٩ – وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنِّي لَأَعْرِفُ آخَرُ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ } ، قَالَ : { فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى ، فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا } ، قَالَ : { فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ } ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

٣١٠ – (١٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً ، وَيَكْبُو مَرَّةً ، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَا ، يَا رَبِّ ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا ، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ،

أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا ، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ، قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا ، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِيهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ } ، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ ، قَالَ : هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : { مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ } .

(التعليق)

أقول : سبحان الله وبحمده ، نسألك يا رب أن تغفر لنا ، وأن تجعلنا من الناجين من النار ، هذه الأحاديث أحاديث عظيمة تجلو القلب ، وتبسط الرجاء للمؤمن بربه سبحانه وتعالى .

وإذا كان الله عزَّ وجل يأمر ملائكته أن يخرجوا [من النار] من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار ، ثم شعيرةٍ ، ثمَّ برَّةٍ ، ثمَّ حبَّة خردلٍ ، ثمَّ ذرةٍ ، ثمَّ بعد ذلك يحثو الله عزَّ وجل ثلاث حثياتٍ من النار ، ويخرج أقوماً [من النار] لم يقدِّموا عملاً ، فإنَّ هذا يبسط الرجاء للمؤمن أنَّ الله يدخل عباده المؤمنين ؛ الذين يصلون ، ويصومون ، ويتصدقون ، ويحجون ، ويؤمنون به ، يدخلهم الجنة بغير عذاب ؛ إنَّ هؤلاء الذين أخرجوا من النار لم يخرجوا منها إلاَّ بعد زمنٍ طويل الله أعلم بمقداره .

والذي يدخل الجنة لابدَّ أنَّه يذهب إلى الجنة ، ويرتاح مع أهله ، وبعد ذلك بزمنٍ طويل ؛ يلتقي المؤمنون بعضهم مع بعض في يوم المزيد وهو في يوم الجمعـة ، ويسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان ، ما فعلت فلانة ، وبالله التوفيق .

٨٤ - بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا

٣١١ - (١٨٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا } وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ : فَيَقُولُ : { يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي

مِنْكَ ؟ } إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ ، وَزَادَ فِيهِ : { وَيُذَكِّرُهُ اللهُ ، سَلْ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ ، قَالَ اللهُ : هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ } ، قَالَ : { ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فَتَقُولَانِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا ، وَأَحْيَانَا لَكَ } ، قَالَ : { فَيَقُولُ : مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ } .

٣١٢ – (١٨٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مُطَرِّفٍ ، وَابْنِ أَبْجَرَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً – إِنْ شَاءَ اللهُ – **ح وَحَدَّثَنَا** ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ – وَاللَّفْظُ لَهُ – حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ ، وَابْنُ أَبْجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ – قَالَ سُفْيَانُ : رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا ، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ – قَالَ : { سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ،

قَالَ : رَبِّ ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } ، قَالَ : وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [السجدة : ١٧] الْآيَةَ .

٣١٣ – حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ الْأَشْجَعِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ : إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا حَظًّا ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ .

٣١٤ – (١٩٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ : اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ ، فَيُقَالُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً ، فَيَقُولُ : رَبِّ ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ } .

٣١٥ – وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَوَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

٣١٦ – (١٩١) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ : حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ ، فَقَالَ : نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا ، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ : فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا ، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ تَنْظُرُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَنْظُرُ رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا ، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا .

٣١٧ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرٍو ، سَمِعَ جَابِرًا ﷺ يَقُولُ : سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأُذُنِهِ ، يَقُولُ : { إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ } .

٣١٨ – حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ : أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : { إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ } .

٣١٩ – حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ سُلَيْمٍ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا ، إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ } .

٣٢٠ – وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ ، قَالَ : كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ : فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ ؟ وَاللهُ يَقُولُ : { إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ } [آل عمران : ١٩٢] وَ ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة : ٢٠] ، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ ؟ قَالَ : فَقَالَ : { أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ } قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : { فَهَلْ

سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ - ؟ } قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : { فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ } ، قَالَ : ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ، - قَالَ : وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ : غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا ، قَالَ : - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ ، قَالَ : { فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ } ، فَرَجَعْنَا قُلْنَا : وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، أَوْ كَمَا قَالَ : أَبُو نُعَيْمٍ .

٣٢١ - (١٩٢) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ ، وَثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا ، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا } .

٣٢٢ - (١٩٣) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ - قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ - وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ : فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ - فَيَقُولُونَ : لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ ، أَبُو الْخَلْقِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا

، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ } ، قَالَ : { فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى ﷺ ، الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ } ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، قُلْ تُسْمَعْ ، سَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ تُسْمَعْ ، سَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ } – قَالَ : فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ – قَالَ { فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ } . قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ : قَالَ قَتَادَةُ : « أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ » .

٣٢٣ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ – أَوْ يُلْهَمُونَ ذَلِكَ – } بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : { ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ – أَوْ أَعُودُ الرَّابِعَةَ – فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ } .

٣٢٤ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : { يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ } بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا ، وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ : { فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ } .

٣٢٥ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، وَهِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتَوَائِيِّ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . ح **وَحَدَّثَنِي** أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : { يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً } . زَادَ ابْنُ مِنْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ : قَالَ : يَزِيدُ ، فَلَقِيتُ شُعْبَةَ فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ ، فَقَالَ شُعْبَةُ : حَدَّثَنَا

بِهِ قَتَادَةُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَدِيثِ ، إِلَّا أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ مَكَانَ الذَّرَّةِ ذُرَةً ، قَالَ يَزِيدُ : صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بِسْطَامَ .

٣٢٦ – حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ ، **ح وَحَدَّثَنَاهُ** سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ ، قَالَ : انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى ، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ : لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ، إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ : { إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ : اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ ، فَيُؤْتَى مُوسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَيُؤْتَى عِيسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، فَأُوتَى ، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا ، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ : يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ : انْطَلِقْ ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ

بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ لِي : انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ لِي : انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ } هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَّانِ ، قُلْنَا : لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ ، قَالَ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ ، قَالَ : هِيَهِ ، فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : هِيَهِ قُلْنَا : مَا زَادَنَا ، قَالَ : قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ ، فَتَتَّكِلُوا ، قُلْنَا لَهُ : حَدِّثْنَا ، فَضَحِكَ وَقَالَ : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ : لَيْسَ ذَاكَ لَكَ – أَوْ قَالَ : لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ – وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي

وَجِبْرِيَائِي ، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } ، قَالَ : فَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أُرَاهُ قَالَ : قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ جَمِيعٌ .

٣٢٧ – (١٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ إِلَّا مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْحَرْفِ بَعْدَ الْحَرْفِ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ : { أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : ائْتُوا آدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ

بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ ، فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ ، فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ، وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَنْطَلِقُ ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ

يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابُ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى } .

٣٢٨ – وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ ، فَنَهَسَ نَهْسَةً ، فَقَالَ : { أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى ، فَقَالَ : { أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قَالَ : { أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهْ ؟ } قَالُوا : كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : ﴿ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام : ٧٦] وَقَوْلَهُ لِآلِهَتِهِمْ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، وَقَوْلَهُ : { إِنِّي سَقِيمٌ } [الصافات : ٨٩] ، قَالَ : { وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ الْبَابُ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ ، أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ ، قَالَ : لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ } .

٣٢٩ – (١٩٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ وَأَبُو مَالِكٍ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا ، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ } ، قَالَ : { فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ } قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : { أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، وَشَدِّ الرِّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا } ، قَالَ : { وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ } وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا } .

(التعليق)

أقول : قوله : { فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ } أي يدخلون الجنة بغير حسابٍ ، ولاعذاب .

وقوله : { ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ } يعني مثل أول كوكب في السماء .

قوله : { ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً } معنى ذلك من قال لا إله إلا الله وثبت عليها ، وكان موحداً ، أمَّا من قال : لا إله إلاَّ الله ، وهو مع ذلك يخالفها ، فيدعو غير الله عزَّ وجل أو يذبح لغير الله ، أو ينذر لغير الله أو يذهب إلى السحرة والمنجمين والكاهنين ، أو يزعم أنَّ غير الله يعلم الغيب أو يزعم أنَّ الأقطاب يتصرفون في هذا الكون ؛ فهؤلاء ناقضوا لا إله إلا الله ، ولاتنفعهم أبداً .

قوله : { حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ } يزيد الفقير ، سمي بالفقير ؛ لأنَّه مصابٌ في فقار ظهره ، وليس معنى الفقير الفقر الذي هو ضد الغنى .

قوله : { ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ } لأنَّهم يريدون أنَّ الناس كلهم كفرة .

قوله : { فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ - ؟ } يعني قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] فعند ذلك أنشأ يحدثهم ، وآفة الخوارج

أنَّهم يقرأون القرآن بمعزلٍ عن السنة ، فهم اعتقدوا أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كلهم كفَّارٌ ، فلايأخذون منهم شيئاً ، وهذه هي البلية ، لأنَّهم لم يسمعوا بأنَّ أناساً يدخلون النار ، ويخرجون منها ، وإن سمعوا من الصحابة ، فإنَّهم لايوقنون ، والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية .

قوله : { وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ } أي وسطه .

قوله : { قَالَ : وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ } هذا يزيد الفقير يتحاشى أن يصف ما وصفه جابر بن عبد الله خوفاً من أن يكون لم يحفظه تماماً .

قوله : { فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ } السماسم معروف ، ولكن العلماء أنكروا ذلك ، وقالوا إنَّه ليس بمعروف ، ولكن هذا يدل على سعة لغة العرب ؛ قال النووي : " قَوْلُهُ : { فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ } هُوَ بِالسِّينَيْنِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ؛ الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ مَكْسُورَةٌ ، وَهُوَ جَمْعُ سِمْسِمٍ ؛ وَهُوَ هَذَا السِّمْسِمُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الشَّيْرَجُ ؛ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيُّ ؛ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَنَّ السَّمَاسِمَ جَمْعُ سِمْسِمٍ ، وَعِيدَانُهُ تَرَاهَا إِذَا قُلِعَتْ ، وَتُرِكَتْ فِي الشَّمْسِ ؛ لِيُؤْخَذُ حَبُّهَا دِقَاقًا سُودًا ؛ كَأَنَّهَا مُحْتَرِقَةٌ ؛ فَشَبَّهَ بِهَا هَؤُلَاءِ ؛ قَالَ : وَطَالَمَا طَلَبْتُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ ، وَسَأَلْتُ عَنْهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا شَافِيًا ؛ قَالَ : وَمَا أَشْبَهَ أَنْ تَكُونَ اللَّفْظَةُ مُحَرَّفَةً ، وَرُبَّمَا كَانَتْ عِيدَانُ السَّاسَمِ ؛ وَهُوَ خَشَبٌ أَسْوَدُ كَالْآبَنُوسِ ؛ هَذَا كَلَامُ أَبِي السَّعَادَاتِ ، وَالسَّاسَمُ الَّذِي ذَكَرَهُ : هُوَ بِحَذْفِ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ السِّينِ الثَّانِيَةِ ؛ كَذَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ

وَأَمَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ فَقَالَ : لَا يعرف معنى السماسم هنا ؛ قال : ولعله صَوَابَهُ عِيدَانُ السَّاسَمِ ، وَهُوَ أَشْبَهُ ، وَهُوَ عُودٌ أَسْوَدُ ، وَقِيلَ هُوَ الْآبَنُوسُ ؛ وَأَمَّا صَاحِبُ الْمَطَالِعِ ؛ فَقَالَ قَالَ بَعْضُهُمْ : السَّمَاسِمُ كُلُّ نَبْتٍ ضَعِيفٍ ؛ كَالسِّمْسِمِ ، وَالْكُزْبَرَةِ . وَقَالَ آخَرُونَ لَعَلَّهُ : السَّأْسَمُ مَهْمُوزٌ ، وَهُوَ الْآبَنُوسُ شَبَّهَهُمْ بِهِ فِي سَوَادِهِ ..." والمهم أنَّ الكلام الأول ، هو المعروف كأنَّه عيدان السماسم ، ومعروفٌ أنَّ عيدان السمسم بعد ما ينتف[1] ويخيَّم[2] ويجِف ، تؤخذ حبوبه ؛ ييبس ، ويكون أسود ، فهم يكونون [3] كذلك .

قوله : { كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ } أي تتبدل خلقتهم من السواد إلى البياض .

قوله :{ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ – وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ : فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ – فَيَقُولُونَ : لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ ، أَبُو الْخَلْقِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ ...} قال النووي رحمه الله : " اعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ ، وَالْأُصُولِ ، وَغَيْرِهِمُ اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ الْمَعَاصِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ؛ وَقَدْ

---

[1] أي يقلع ، ومثله حديث : □ خمس من الفطرة □ ومنها □ ونتف الإبط □ رواه الإمام البخاري برقم الحديث ٥٨٨٩ ورواه الإمام البخاري برقم ٢٥٧ من حديث أبي هريرة ﷺ .

[2] أي يجمع ويكون مثل الخيمة .

[1] أي أهل النار عياذاً بالله .

لَخَصَّ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَاصِدَ الْمَسْأَلَةِ ؛ فَقَالَ : لَا خِلَافَ أَنَّ الْكُفْرَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ لَيْسَ بِجَائِزٍ ؛ بَلْ هُمْ مَعْصُومُونَ مِنْهُ ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ . وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَلَا خِلَافَ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ كُلِّ كَبِيرَةٍ ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْعَقْلِ أَوِ الشَّرْعِ ؟ فَقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ ، وَمَنْ مَعَهُ : ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ مِنْ مُقْتَضَى دَلِيلِ الْمُعْجِزَةِ ؛ وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ وَافَقَهُ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْإِجْمَاعِ . وَذَهَبَتِ الْمُعْتَزِلَةُ : إلى أنَّ ذلك من طريق العقل ، وكذلك اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ طَرِيقُهُ الْإِبْلَاغَ فِي الْقَوْلِ ؛ فَهُمْ مَعْصُومُونَ فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ وَأَمَّا مَا كَانَ طَرِيقُهُ الْإِبْلَاغَ فِي الْفِعْلِ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْعِصْمَةِ فِيهِ رَأْسًا ؛ وَأَنَّ السَّهْوَ ، وَالنِّسْيَانَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ فيه ، وتأولوا أَحَادِيثَ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا بِمَا سَنَذْكُرُهُ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمُظَفَّرِ الْإِسْفَرَايِنِيُّ مِنْ أَئِمَّتِنَا الْخُرَاسَانِيِّينَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَشَايِخِ الْمُتَصَوِّفَةِ . وَذَهَبَ مُعْظَمُ الْمُحَقِّقِينَ ، وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ وَوُقُوعِهِ مِنْهُمْ ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ .." المهم أنَّ هذا الخلاف في عصمة الأنبياء ، والذي يظهر لي أنَّه الحق في هذه المسألة ، أنَّ الأنبياء معصومون من قصد المعصية ، سواءً كانت كبيرةً أو صغيرةً ، وقد تقع منهم الصغيرة بسبب اجتهادٍ أخطأوا فيه ، كقول الله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣] وكقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] وكقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنَّ الأنبياء قد يقعون في شيءٍ من الصغائر باجتهادٍ يخطئون فيه .

وقول النووي رحمه الله : " وَأَنَّ السَّهْوَ ، وَالنِّسْيَانَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ فيه ، وتأولوا أَحَادِيثَ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ " وأقول : إنَّ النبي ﷺ كان يسهو أحياناً من أجل أن يرتب الله على ذلك أحكاماً لولا هذا السهو ما ترتبت .

إذن فهناك من فرق فيما سبيله التبليغ بين القول والفعل ، فقال بعضهم : إنَّ الأنبياء معصومون في القول دون الفعل ، واستدلوا على ذلك بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] وبقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى ﴾ [النجم : ٣-٤] وما أشبه ذلك ، وأمَّا الفعل فإنَّهم رأوا أنَّ الرسول ﷺ قد سها في مواضع كثيرة ، فلذلك قالوا أنَّ الفعل ليسوا بمعصومين فيه من السهو والخطأ ، وبعضهم قال إنَّ السهو على النبي ﷺ لايصح ، لأنَّه معصوم ، ولكن يتعمد صورة السهو ، وهذا القول خطأ ، والقول الأول خطأ ، ولكن الذي نقول أنَّ الرسول ﷺ بشر ، وأنَّه في أعلى مقامات البشرية إلاَّ أنَّه إذا أراد الله عزَّ وجل أن يشرع شيئاً ، فإنَّ الله عزَّ وجل ربما يقدر الله عليه السهو الذي يترتب عليه الحكم ،

ولولاه[1] لم يترتب الحكم ، الذي يريد الله ترتيبه عليه كما في حديث ذي اليدين[2] ، وغير ذلك .

قوله : { وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي ، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } الخروج من النار لابدَّ أن يكون بشرط أن يقول لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه ، بأن يكون عاملاً بمعناها ، عاملاً بمقتضاها ، أمَّا أن يقول لا إله إلا الله بلسانه ، وهو مع ذلك يخالفها بأفعاله ، وباعتقاداته ، فهذا لاتنفعه لا إله إلا الله .

وما يدل على ذلك قوله ﷺ : { أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ }[1] ومعنى قوله : { خالصاً من قلبه } أي معتقداً الألوهية لله وحده دون سواه ، لايعتقد في وليٍّ ، ولانبي ، ولاملك ، ولاجنيٍّ ، أو أحدٍ دون الله سبحانه وتعالى .

فإذا كان يعتقد هذا الاعتقاد ، فهذا هو الذي تنفعه لا إله إلا الله ، ولهذا فقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه : قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : { بَشِّرْ

---

[1] أي السهو .

[2] كما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله برقم الحديث ٥٧٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: □ صَلَّى بِنَا رَسُولُ ﷺ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشِيِّ، إِمَّا الظُّهْرَ، وَإِمَّا الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى جِذْعًا فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَاسْتَنَدَ إِلَيْهَا مُغْضَبًا، وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَهَابَا أَنْ يَتَكَلَّمَا، وَخَرَجَ سَرَعَانُ النَّاسِ، قُصِرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ؟ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ: «مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟» قَالُوا: صَدَقَ، لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَفَعَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَرَفَعَ □ .

[1] الحديث اخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٩٩ و٦٥٧٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، وَإِنْ سَرَقَ ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ شَرِبَ الخَمْرَ }[٢] وفي رواية : { مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ ؛ قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؛ قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؛ قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ }[٢] .

إذن حينما تشبث أقواماً من الخرافيين ، ومن الصوفيين بالأولياء ؛ واعتقدوا أنَّ الله وَكَلَ إليهم التصرف في العالم ، واستعان بهم في ذلك ، والعياذ بالله ، فهؤلاء لاتنفعهم لا إله إلا الله مهما قالوها .

وأنَّ الذي ينبغي للإنسان ألا يتكل على مثل هذا [١]حتى لايقع في شيءٍ من الكبائر ، والمعاصي ، بل يجب عليه أن يتقيها ، لأنَّ الوقوع في المعاصي ربما أدى بالإنسان إلى الشك ، فيحدث له ذلك انقلاباً في عقيدته ، وإيمانه ، فيموت شاكاً فيخلد في النار ، والعياذ بالله ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] ولأنَّه

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٦٤٤٣ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٩٤ .

[٢] الحديث اخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٥٨٢٧ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٩٤ .

[١] أي مجرد النطق بلا إله إلاَّ الله ، وفضل قولها .

لايدري إذا دخل النار متى يخرج منها ، فعلى هذا ينبغي للإنسان أن يحذر من الوقوع في المعاصي والكبائر ، وعليه أن يسأل الله العون والتوفيق .

قوله : { أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابُ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ } الله أكبر ، هؤلاء هم الذين تحدث عنهم النبي ﷺ بقوله : { هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[٢] وفي الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال : { وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ ؛ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي }[١] وهؤلاء أيضاً هم الذين تحدث عنهم النبي ﷺ بقوله : { يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ }[٢].

يؤخذ من قوله : { إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ } أنَّ الأنبياء لم يقولوا ذلك إلا بخبر عن الله سبحانه وتعالى

---

[٢] وسيأتي في باب ٩٤ – بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ على الحديث رقم ٢١٨ .

[١] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٣٠٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه برقم ٤٢٨٦، وأخرجه الإمام الترمذي برقم ٢٤٣٧ وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٤٣٠ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

[٢] وسيأتي في باب ٩٤ – بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ على الحديث رقم ٢١٦ .

كذلك يؤخذ منه : أنَّ الأنبياء كلٌّ يذكر لنفسه ذنباً ، فآدم عليه السلام يقول : { وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي } ونوحٌ عليه السلام يقول : { وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي } وهي قوله تعالى : ﴿ وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً ﴾ [نوح : ٢٦ – ٢٧] وإبراهيم عليه السلام : { ذَكَرَ كَذَبَاتِهِ } وهي كلماته التي نافح فيها عن عقيدة التوحيد ، ، وهي وإن كانت طاعة إلا أنَّ نبي الله إبراهيم عليه السلام اعتبرها كذبات ، فإذا كان نبي الله إبراهيم اعتبرها كذبات ، فما بالنا نحن الذين نقول كلاماً لا أصل له ، ولانبالي بهذا الكلام ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكذلك أيضاً نبي الله موسى عليه السلام قال : { وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا } فالأصل في العباد أنَّهم عبيدٌ مأمورون لايجوز لهم أن يعملوا شيئاً غير ما أمرهم به سيدهم ، ومالكهم ، وإلهم ؛ الذي خلقهم ، ويتصرف فيهم ، فهو [1] عليه السلام ، وإن كان الذي قتله كافراً إلاَّ أنَّه قال : { وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا } فاعتبره ذنباً ، وأمَّا عيسى عليه السلام ، فلم يذكر لنفسه ذنباً ، ولكنه أحال بذلك [2] إلى النبي ﷺ وهذه الشفاعة كما قلت هي الشفاعة العظمى التي تكون في عرصات القيامة ، وفي فصل القضاء [3] .

---

[1] أي موسى عليه السلام .

[2] أي بالشفاعة الكبرى لأهل الموقف .

[3] أي بين الناس إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وأمَّا حديث الشفاعة في استفتاح باب الجنة ، والذي سقط منه نوحٌ عليه السلام ، وهل هذا من بعض الروات أو أنَّه هكذا حصل ، الله أعلم .

قوله : { وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى } بصرى قريبةٌ من دمشق ، وهجر هي بلاد الأحساء ، أو أنَّها البحرين ، ولعله البحرين ، وإذا كان هي البحرين معروفة المسافة بالكيلوات ، ومع هذه المسافة ، فإنَّ النبي ﷺ يقول : { أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ }[٤] مليءٌ من البشر ؛ علماً بأنَّ أول زمرة يدخلون الجنة ؛ يدخلون متماسكين ، لايدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ؛ بمعنى يدخلون سوياً ؛ فسبحان الله العظيم .

والمرور على الصراط ؛ والصراط في أصل اللغة هو الطريق الواضح ، وطريق النبي ﷺ وشريعته العظيمة الواضحة من سار عليها في الدنيا ، وسارع إلى طاعة الله عز وجل في الدنيا ، فإنَّه يسير على الصراط في الآخرة ، ولئن كان الصراط في الدنيا أمراً معنوياً ؛ فإنَّه يكون في الآخرة أمراً محسوساً ؛ جسر يوضع على متن جهنم النار عن يمينه ، وعن شماله ، ومن تحته ، وعليه كلاليب ، فما ظنكم بهذا الجسر إذا كانت النار تحته ، والتي وصفها النبي ﷺ بقوله : { نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ

---

[٤] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٩٦٧ .

كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ : فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا }[1] فكيف لايكون هذا الجسر حامياً [2]، حارًّا ؛ بحيث أنَّه لاتثبت عليه الأقدام ، ولايستطيع أحدٌ المشي عليه ، ولكنَّ الله عزَّ وجل يُقدر المؤمنين على المشي عليه ، وتكون مسارعتهم على الصراط على قدر سرعتهم في طاعة الله تعالى ، أمَّا لو انحرف [عن الحق] يميناً أو شمالاً ، فإنَّه في ذلك الموقف ينحرف يميناً أو شمالاً ، وإذا كان متباطئاً عن طاعة الله ، فإنَّه في ذلك الموقف سيكون بطيئاً في مشيه وسيره ، وربما أنَّه يزحف على بطنه وهو أدناهم ، ومنهم من يكون معه على ظفر إبهام قدمه اليمنى شمعة تشع تارةً ، فيقدم قدمه ، وتنطفئ الأخرى ، فيقف ، نسأل الله أن يبثتنا على الصراط ، ولهذا فإنَّ هذا أمرٌ مهم ، ولأهميته فقد أمرنا الله عزَّ وجل بأن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم في كل ركعةٍ من صلاتنا : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] وقد جاء في الحديث : { فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ }[1]وفي الحديث الآخر : { فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجْرَى ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٢٦٥ من حديث أبي هريرة ﷺ .

[1] انظر الحديث السابق برقم ١٨٣ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا }[٢] نسأل الله أن يعيينا ، ويوفقنا .

قوله : { وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ }[٣] فإذا خطفت الإنسان ربما تضربه في جبهته ، فتنتظم[٤] جبهته مع قدميه ، وتكسر ظهره إلى الوراء ، ثم ترميه في نار جهنم ، ونسأل الله العفو والعافية ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن : ٤١] نعوذ بالله من ذلك ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ولهذا كثير من الرجال ، وكثير من النساء يقلدون أعداء الله ؛ من اليهود ، والنصارى ، والكفار الملحدين ، يقلدونهم في لباسهم ، في شعورهم ، في التهاون بالصلاة أيضاً ، والعياذ بالله ، والمتقى عند الله ، لأنَّ الناس مشغولون بهذه الدنيا ، وبأعراض الدنيا ، وبمناصب الدنيا ، وبلهو الدنيا ، وبجمع المال فيها ، وبالتباهي ، والتفاخر فيها ، ولكنهم لاهون عما يقربهم من الله سبحانه وتعالى ، ويوم

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم الحديث ٧٣٧٩ وأخرجه الإمام أبو يعى الموصلي في مسنده برقم ١٢٥٣ وصححه الإمام الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم ٧٣٣٥ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[٣] انظر الحديث السابق برقم ١٨٢ .

[٤] أي تلتصق .

القيامة يتبين البيان ، ويتضح الخطأ من الصواب ، من كان على الحق ، ومن كان على الباطل ، والذين يقلدون أهل الباطل سيكونون معهم ، كالنساء اللاتي يقلدن غيرهنَّ في الغُرَّة [1] من غرور الشيطان ، وترفع ثيابها إلى نصف ساقها ، تفتح في مؤخر ساقها فتحة في الثوب حتى ترى بشرتها ، وينظرون الناس إليها ، ويعجبون منها ، وهكذا تجد الشاب يحلق شعره على حلاقة فلان اليهودي أو النصراني ، ونسأل الله العفو والعافية ، تجد الرجل يسخر من المصلين ، ويرى أنَّهم متأخرون ، ورجعيون ، وهذا كله من غرور الشيطان ، ونسأل الله العفو والعافية .

فمن يريد النجاة لنفسه ، ومن يريد النعيم ، الذي لاينقطع في الآخرة عليه باتباع شرع الله عزَّ وجل : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] وقال تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود : ١١٢] وهل شرع الله يعرف بالتمني ؛ بل يعرف بأن تعقد رجلك في حلقات العلم ؛ لتعرف شرع الله كما ينبغي ؛ أمَّا الذين يقولون يكفي لطالب العلم أن يعرف مبدأً قليلاً من العلم ثم بعد ذلك يدعون ، فهذا خطأٌ فاحشٌ ، وما أكثر ما حصل من الأخطاء بهذا السبب ، ممن يتعجلون ، ويزهدون في حلقات العلم ، ويزعمون أنَّهم دعاة ، فعليك يا أخي أن تطلب العلم من مظانه ، وبالأخص من الأمهات الست ، ومن تفسير القرآن ، وما أشبه ذلك ، على

[1] وهو إنزال شيء من شعرها على وجهها .

أيدي العلماء ، ثم عليك أن تنظر ما هي دعوة النبي ﷺ وبأي شيء بدأ [في دعوته] فلتبدأ بذلك ، وما تحققته من المسائل عندئذٍ لامانع أن تدعو إلى ما تحققته ، وعليك أن تتوقف عما لاتعلم ، وألا تتبع طريقةً تخالف طريقة النبي ﷺ أو نهجاً يخالف نهجه ، أو مبدأً يخالف مبدأه ، فإنَّك إذا فعلت ذلك فقد أخطأت الطريق ، وبالله التوفيق .

٨٥ - بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»

٣٣٠ - (١٩٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ قُتَيْبَةُ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا } .

٣٣١ - وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ } .

٣٣٢ - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ ، قَالَ : قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : {

أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ } .

٣٣٣ – (١٩٧) وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ } .

٨٦ – بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ

٣٣٤ – (١٩٨) حَدَّثَنِي يُونسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلى ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا ، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

٣٣٥ – وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَعبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ زُهيْرٌ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهابٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ ، وَأَرَدْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

٣٣٦ – حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَعبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهابٍ ، عَنْ عمِّهِ ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

٣٣٧ – وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيَّ ، أَخْبَرَهُ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ : إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا ، فَأَنَا أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } فَقَالَ كَعْبٌ ، لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : { نَعَمْ } .

٣٣٨ – (١٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا } .

٣٣٩ – حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عُمَارَةَ وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ ، فَيُؤْتَاهَا ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

٣٤٠ – **حَدَّثَنَا** عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ابْنُ زِيَادٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

٣٤١ – (٢٠٠) **حَدَّثَنِي** أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَانَا ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُعَاذٌ يَعْنُونَ ابْنَ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

٣٤٢ – **وَحَدَّثَنِيهِ** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَابْنُ أَبِي خَلَفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا رَوْحٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

٣٤٣ – **وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنِيهِ** إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ جَمِيعًا عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ ، قَالَ : قَالَ : أُعْطِيَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

٣٤٤ – **وَحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ .

٣٤٥ – (٢٠١) **وَحَدَّثَنِي** مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ

يَقُولُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

(التعليق)

أقول : أورد المؤلف هذا الحديث من عدة أوجه ، وهو أنَّ النبي ﷺ أخبر أن : {لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ } فنوحٌ ، وصالحٌ ، وهودٌ ، وغيرهم من الأنبياء ،كلهم دعوا بتلك الدعوات ، لكن النبي ﷺ اختبأ دعوته ؛ لتكون شفاعة لأمته يوم القيامة كما قال ﷺ : { وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } رغم أنَّه كُذِّب كما كُذِّبوا ، وأُذي كما أُوذوا ، وقد خرج النبي ﷺ من مكة حين اشتد عليه الأذى ، وقد قالت له عائشة رضي الله عنها : { هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ } وذلك أنَّه عرض نفسه عليهم ، وطلب منهم أن ينصروه على تبليغ دعوته " وَهُمْ أُخْوَةٌ : عَبْدُ يا ليل بْنُ عَمْرٍو ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرٍو ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو... فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَمْرُقُ[1] أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللهُ بَعَثَكَ بِشَيْءٍ قَطُّ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَعَجَزَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ غَيْرَكَ ، وَقَالَ الْآخَرُ : وَاللهِ لَا أُكَلِّمُكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا أَبَدًا ، وَاللهِ لَئِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَعْظَمُ شَرَفًا ، وَحَقًّا مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللهِ لَأَنْتَ أَشَرُّ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ ،

---

[1] أي أمزق .

وَتَهَزَّءُوا بِهِ ، وَأَفْشَوْا فِي قَوْمِهِمُ الَّذِي رَاجَعُوهُ بِهِ ، وَقَعَدُوا لَهُ صَفَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ صَفَّيْهِمْ جَعَلُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ ، وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ ، وَكَانُوا أَعَدُّوهَا حَتَّى أَدْمَوْا رِجْلَيْهِ ، فَخَلَصَ مِنْهُمْ ، وَهُمَا يَسِيلَانِ الدِّمَاءَ ، فَعَمَدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِهِمْ ، وَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ حَبَلَةٍ[٢] مِنْهُ ، وَهُوَ مَكْرُوبٌ مُوجَعٌ تَسِيلُ رِجْلَاهُ دَمًا ، فَإِذَا فِي الْحَائِطِ : عُقْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَلَمَّا رَآهُمَا كَرِهَ مَكَانَهُمَا لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ أَرْسَلَا إِلَيْهِ غُلَامًا لَهُمَا يُدْعَى عداساً نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ؛ مَعَهُ عِنَبٌ ، فَلَمَّا جَاءَهُ عَدَّاسٌ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ؟ قَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : أَنَا مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَقَالَ لَهُ ؛ النَّبِيُّ ﷺ : مِنْ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَى ، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُونُسُ بْنُ مَتَّى ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ لَا يَحْقِرُ أَحَدًا أَنْ يُبَلِّغَهُ رِسَالَةَ رَبِّهِ – أَنَا رَسُولُ اللهِ ، وَاللهُ تَعَالَى أَخْبَرَنِي خَبَرَ يُونُسَ بْنِ مَتَى ؛ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِمَا أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، خَرَّ عَدَّاسٌ سَاجِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ ، وَهُمَا يَسِيلَانِ الدِّمَاءَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَ عُقْبَةُ وَشَيْبَةُ مَا يَصْنَعُ غُلَامُهُمَا سَكَنَا ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا ، قَالَا : مَا شَأْنُكَ سَجَدْتَ لِمُحَمَّدٍ ، وَقَبَّلْتَ قَدَمَيْهِ ، وَلَمْ نَرَكَ فَعَلْتَهُ بِأَحَدٍ مِنَّا ؟ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ ، أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ عَرَفْتُهُ مِنْ شَأْنِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْنَا يُدْعَى : يُونُسَ ابن مَتَى ،

---

[٢] أي شجرة من عنب .

فَضَحِكَا بِهِ ، وَقَالَا : لَا يَفْتِنُكَ عَنْ نَصْرَانِيَّتِكَ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ خَدَّاعٌ ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ "[1].

وفي الحديث الآخر : { عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، فَانْصَرَفَ ، فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ ؛ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ؛ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي ، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ ، فَلَا أُبَالِي ، إِنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ }[2] وفي حديث عائشة رضي الله عنها يقول النبي ﷺ : { فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ ؛ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ } يعني

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي ج٢ / ٤١٥ .

[2] الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم الحديث ١٨١ وضعف إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٢٩٣٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٦ / ٢٥ برقم الحديث ٩٨٥١: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُدَلِّسٌ ثِقَةٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ " .

الجبلين { فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا }[1] وفي الحديث الآخر : { عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ : لَمَّا كُسِرَتْ رُبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ ، فَجَعَلَتِ الدِّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ﷺ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَّانًا ، وَلَا لَعَّانًا ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحْمَةً ، اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } قال البيهقي " هَذَا مُرْسَلٌ "[2] وفعلاً استبقى النبي ﷺ تلك الدعوة ، وادخرها ؛ لتكون شفاعةً لأمته يوم القيامة ، لهذا فإنَّ الذي يحب على كل مسلم أن يشكر الله على ذلك ، وأن يسأل الله عزَّ وجل أن يكون ممن يشفع فيه نبيه ﷺ نسأل الله أن يشفعه فينا ، وأن يجعلنا من أهل شفاعته ، وأن يوفقنا للعمل بشريعته ، والسير على سنته ، وبالله التوفيق .

٨٧ - بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ، وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ

٣٤٦ - (٢٠٢) حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[إبراهيم: ٣] الْآيَةَ

---

[1] الحديث متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٢٣١ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٧٩٥ .

[2] الحديث أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم الحديث ١٣٧٥وضعف الحديث الإمام الألباني في ضعيف الجامع برقم ١٦٣٦ .

، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة : ١١٨] ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : { اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي } ، وَبَكَى ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : { يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ } فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ اللهُ : { يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ ، وَلَا نَسُوءُكَ } .

(التعليق)

أقول : فيه خطأ في شرح النووي رحمه الله عند قوله : " { حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا } " حيث قال : " هذا الإسناد كله بصريون " وإنَّما الحقيقة الإسناد كلهم مصريون ؛ فيونس بن عبد الأعلى الصَّدفي من علماء مصر ، وعبد الله بن وهب من علماء مصر ، وهو من تلامذة مالك ؛ وعمر بن الحارث من علماء مصر ، وبكر بن سوادة من علماء مصر ؛ فكلهم هؤلاء من علماء مصر ، فالاسناد كلهم مصريون .

ثانياً : قوله : " عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا " لاشكَّ أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص استوطن مصر ؛ لأنَّ أباه كان أميراً على مصر .

قوله : { فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، وَبَكَى } صلوات الله وسلامه عليه شفقةً على أمته ، وصدق من سماه الررؤف الرحيم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] وقال تعالى : ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقوله : { فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ } فالله يعلم ما في قلوب عباده { فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ } أي اسأله ما السبب الذي أبكاك { فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ اللهُ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ ، وَلَا نَسُوءُكَ } لقد ظنَّ بعض الناس أنَّ الله سيرضي نبيه في أمته ؛ بأن يدخلهم الجنة بغير عمل ، ولكن سيرضيه بأن يشفعه في كل موحدٍ من أمته ، ويدخل كلَّ موحدٍ الجنة ، وإن دخل النار ؛ أمَّا من مات على الشرك بالله عزَّ وجل الشرك الأكبر ، وإن انتسب إلى النبي ﷺ فهذا ولاشكَّ أنَّه بعيدٌ عن الإسلام ، وعقيدته ، لأنَّ من مات على الشرك الأكبر لم يؤمن برسالة محمدٍ ﷺ ولو كان هذا [1] نافعاً أحداً بدون عمل لنفع أبا طالبٍ ، الذي دافع عن النبي ﷺ كلَّ المدافعة :

ولقد علمت بأن دين محمدٍ ** من خير أديان البرية دينـاً

[1] أي الانتساب للنبي ﷺ .

لولا الملامة أو حذارِ مسبةٍ ** لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

إلى أن قال :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ** حتى أُوَسَّد في التراب دفينا

ومع هذه المدافعة لم تنفع أبا طالب ، ولكن العذاب حتم عليه ؛ لما طلب منه أن يقول لا إله إلا الله في وقتٍ لايقبلها الله من غيره لحديث : { ابْنِ المسَيِّبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : أَيْ عَمِّ ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ ، فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ : عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ ؛ فَنَزَلَتْ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] وَنَزَلَتْ : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] }[1] وقال ﷺ : { يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٨٨٤ ، و٤٦٧٥ ، و٤٧٧٢ ، و٦٦٨١ .

وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا }[٢]فإذا كان النبي ﷺ لم يغن عن قرابته شيئاً ، فكيف بغيره ؛ إذن فلابدَّ من التوحيد الذي تقبل ، وتنفع به الشفاعة ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] فالشفاعة مشروطةٌ بأن تكون في الموحدين ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : { قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ : أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ، أَوْ نَفْسِهِ }[٣] فمن مات على الكفر أو النفاق الأكبر أو الاعتقادي أو مات على الشرك الأكبر فإنَّ هؤلاء لاتنفع فيهم شفاعةٌ ، ولكن أصحاب الكبائر من الموحدين ، فهؤلاء هم الذين تنفع فيهم الشفاعة .

وقوله : { يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ ، وَلَا نَسُوءُكَ } لاشكَّ أنَّ هذا أمرٌ مطلق مقيدٌ بما ورد في التقييد أو عامٌّ مخصوصٌ بما ورد فيه التخصيص ، وبالله التوفيق .

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٢٧٥٣ و ٤٧٧١ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٠٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٣] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٩٩ .

٨٨ – بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ

٣٤٧ – (٢٠٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : { فِي النَّارِ } ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ ، فَقَالَ : { إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ } .

(التعليق)

قوله : " بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ " انظروا إلى فقه الإمام مسلم رحمه الله ؛ يعني بعد قوله : { إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ ، وَلَا نَسُوءُكَ } ليس معنى ذلك بإطلاقه ، فالنبي ﷺ أخبر أنَّ أباه في النار ؛ إذن ، فهذا الإطلاق مقيَّدٌ بالموحدين ، كما في الحديث السابق : { أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ }[1] معنى ذلك أنَّه ستكون نهايته وعاقبته إلى الجنة ، مهما عذب في النار ، وطالت مدته فيها ، وليس معنى ذلك أنَّه لايعذب ؛ لا ؛ بل من مات وعليه ذنوبٌ كبائر، فإنَّه معرضٌ للعذاب ، وكونه يدخل النار ، فلابد أن يبقى [مدةً] ما أراد الله أن يبقى . وأمور الآخرة ؛ ووعيد الآخرة أعظم ، وأشد مما نتصوره ،

---

[1] انظر حديث مسلم رقم ٩٤ عند ٤٠ – بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ .

فإذا كان النبي ﷺ يقول : { لَوْ يَعْلَمُ المارُّ بَيْنَ يَدَيِ المصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ } أي من الإثم { لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي ، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ شَهْرًا ، أَوْ سَنَةً }[1] فهذا مرورٌ بين يدي المصلي يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمر بين يديه ،لأنَّ التبعة فيها عظيمة ، وضخمة .

فلو دخل انسانٌ النار ، وعليه ذنوبٌ كبائر ؛ فمتى يرجو أن يخرج منها ، ومتى يشفع فيه ، ومتى يدخل الجنة ؟ هذا شيءٌ الله أعلم به ، وقد يبقى في النار مدة ألف سنة أو خمس مائة سنة أو مائتي سنة أو مائة سنة قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] وقال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] حينئذٍ لاينبغي أنة يستهين العبد بهذا ؛ حتى ولو كان يرجو الجنة ، لكن العذاب قبل دخول الجنة شديد ، ومن يتحمل النار ، وإلى أي مدى تصل قدرتك أيها الإنسان ، جرب نفسك مع جمرة من جمرات الدنيا ، وقد قال النبي ﷺ :{ نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ : فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا }[1] .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، واللفظ به برقم الحديث ٥١٠ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه أيضاً برقم ٥٠٧ من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٢٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قوله : { عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : فِي النَّارِ } لأنَّه مات في الجاهلية .

قوله : { فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ } وفي رواية : { وَأَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَإِذَا الْأُخْرَى أَجْمَلُ ، فَقُلْتُ : وَأَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَهْلِي ، لَعَمْرُكَ مَا أَتَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْرٍ عَامِرِيٍّ ؛ أَوْ قُرَشِيٍّ مِنْ مُشْرِكٍ ؛ فَقُلْ : أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ ، وَأَبْشِرْ بِمَا يَسُوؤُكَ ، تُجَرُّ عَلَى وَجْهِكَ ، وَبَطْنِكَ فِي النَّارِ }[٢] .

وحديث الباب ، وحديث : { اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي }[١] فإذا كان أبوا النبي ﷺ في النار ، فهل ينفع أحداً أن يموت على الشرك ، ثمَّ بعد ذلك يرجو الشفاعة ؟ الجواب : لا . لعلَّ بعض الناس يزعم أنَّ أبوي النبي ﷺ أحياهم الله عزَّ وجل ، وأنَّهما آمنا به ، فهذا حديثٌ موضوع لا أساس له من الصحة ، فهو مكذوبٌ غير صحيح من الناحية الشرعية ، ومن الناحية الاصطلاحية ، ومن الناحية العقلية .

---

[٢] الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده برقم الحديث ١٦٢٠٦ ، وأخرجه الإمام ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم الحديث ٦٣٦ واخرجه الإمام ابن خزيمه في توحيده بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا أَوْلِيَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم ٤٧٧ من حديث لقيط بن عامر ﷺ .

[١] الحديث أخرجه الإمام مسلم برقم الحديث ٩٧٦من حديث أبي هريرة ﷺ .

أمَّا من الناحية الشرعية ، فقد أخبر الله عزَّ وجل بأنَّ التوبة لاتقبل من العبد إلاَّ إذا كان في حياةٍ مستقرة ، فإذا كان في حالة الغرغرة ؛ فإنَّها لاتقبل منه التوبة بعد أن يستيقن الموت ، وإنَّما تقبل توبته ما دام حيَّاً ، وطامعاً في الحياة [٢] .

أيضاً من الناحية الاصطلاحية : أنَّ أهل العلم بالحديث قرروا على هذه الأحاديث أنَّها لاتصح .

أمَّا من الناحية العقلية ؛ فإنَّ الله عزَّ وجل يعتبر الإيمان صحيحاً لمن آمن بالغيب أمَّا من تجاوز الحياة الدنيا ومات ؛ فإنَّه قد أفضى إلى ما قدَّم ، وعندئذٍ فإنَّه إذا آمن بعد الموت ، فإيمانه لايكون إيماناً بالغيب ، فلو قدِّر أنَّ إنساناً أحياه الله بعد الموت ؛ أليس قد شاهد من خلال الموت ما شاهد ، فحينئذٍ فإنَّ إيمانه بعد ذلك لايعتبر إيماناً صحيحاً ، وهذا كلامٌ لايصحُّ أبداً ؛ إنَّ من تجاوز الامتحان ، وهي دار الدنيا ؛ التي فيها ينفع العمل ، وينفع فيها الإيمان ؛ ثمَّ مات وتجاوزها ، فإنَّ إيمانه بعد ذلك لاينفعه ، أليس قد ورد أنَّ الإنسان إذا كان قد أساء يتمنى الرجعة عند الموت ؛ قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠] ؟ ! .

---

[٢] قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً ﴾ [النساء :١٧ – ١٨] .

إذن فالذين يقولون أنَّ أبوى النبي ﷺ أحياهما الله عزَّ وجل ، وآمنا به ، وأنَّهما يدخلان الجنة ؛ الذين يقولون هذا الكلام لايقولانه على أساسٍ صحيح ؛ بل على أكذوبةٍ باطلة ؛ حتى وإن صدقها ، وكتب فيها بعض العلماء كالسيوطي ؛ فهذا لايصح ، وهذا يعتبر منتقداً على السيوطي في كونه يكتب في هذا الموضوع ، ويؤيد أنَّ أبوي النبي ﷺ أحييا ، ثم بعد ذلك آمنا ؛ فمن آمن بعد الموت فإيمانه لايصح ، وبالله التوفيق .

٨٩ - بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤]

٣٤٨ - (٢٠٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا ، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ ، فَقَالَ : { يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا } .

٣٤٩ – وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَحَدِيثُ جَرِيرٍ أَتَمُّ وَأَشْبَعُ .

٣٥٠ – (٢٠٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا ، فَقَالَ : { يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ } .

٣٥١ – (٢٠٦) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] { يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا } .

٣٥٢ – وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا .

٣٥٣ – (٢٠٧) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، قَالَ : انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجَرًا ، ثُمَّ نَادَى { يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَ إِنِّي نَذِيرٌ ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ ، يَا صَبَاحَاهُ } .

٣٥٤ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ .

٣٥٥ – (٢٠٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا ، فَهَتَفَ : { يَا صَبَاحَاهْ } ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ ؟ قَالُوا : مُحَمَّدٌ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : { يَا بَنِي فُلَانٍ ، يَا بَنِي فُلَانٍ ، يَا بَنِي فُلَانٍ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ } ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : { أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ } قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ، قَالَ : ﴿ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

٣٥٦ – وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، قَالَ : صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا ، فَقَالَ : { يَا صَبَاحَاهُ } بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ نُزُولَ الْآيَةِ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] .

(التعليق)

هذا الحديث فيه عظةٌ وعبرةٌ ، وهو أنَّ النبي ﷺ لايستطيع أن ينفع أحداً ما دام هذا لم يقدم إيماناً ، وعملاً صالحا ، فهو عندما نزلت عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] { خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا ، فَهَتَفَ : يَا صَبَاحَاهْ } وهذه الكلمة تقال عند الإنذار ، وعندما يكون هناك خطرٌ محدق ، وعند ذلك نادى بأعلى صوته ، حتى إذا اجتمعوا قال : { أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ } قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ، قَالَ : ﴿ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ فناداهم بأسمائهم ، ونادى كلَّ قبيلةٍ باسمهم الذي يعرفون به ، وقال لهم : { اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا } بماذا يشترون أنفهسم ؟ يشترونها بالايمان بالله عزَّ وجل .

إذن فمن لم يؤمن بالله ، فإنَّه هالكٌ ولابد ؛ من لم يوحد الله عزَّ وجل ، فإنَّه هالكٌ ولابد ؛ فشراء النفس من الله بالإيمان بالله عزَّ وجل ، وبوحدانيته سبحانه وتعالى ، وأنَّه هو الواحد الأحد ؛ المتصرف في عباده ، وأنَّه لايجوز

لأحدٍ أن يتخذ إلهاً دونه ، لجلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ ، ومن لم يوحد الله ؛ فقد اتخذ آلهةً مع الله عزَّ وجل؛يوجب ذلك عليه الغضب الله من سبحانه وتعالى وحينئذٍ فإنَّ الذي يجب علينا أن نأخذ من هذا الموقف من النبي ﷺ عظةً ، وعبرةً بأن نشتري أنفسنا من الله بالإيمان به ، وتقديم العمل الصالح الذي نسعى به في فكاك أنفسنا [من النار] قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] وقال ﷺ : { كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا }[1] فأنت لابدَّ أن تغدو ، وأنت لابدَّ أن تبيع نفسك ؛ فإمَّا أن تغدو إلى طاعة الله ، وإمَّا أن تغدو إلى معصية الله ، وإمَّا أن تبيع نفسك من الله ، وإمَّا أن تبيع نفسك من الشيطان ، وحينئذٍ إذا بعت نفسك من الله ، وغدوت في طاعة الله ، ورحت في طاعته ، فإنَّك تشتري نفسك من الله ؛ اسع [يا عبد الله] في فكاك نفسك ؛ بالخطوات إلى المساجد ، وبالسجدات بين يدي ربك ، وبالدعاء ، وبأداء الفرائض ، وبالتقرب إلى عزَّ وجل ، وفيما تستطيع عليه من النوافل ؛ سواءً كانت صلاةً أو صياماً أو صدقةً أو طلباً للعلم أو نشراً له أو عظةً لأخيك ، أودعوةً إلى الله أو أيِّ شيءٍ من هذا القبيل ؛ كلُّ ذلك طاعةً لله ، فاشترِ نفسك من الله بالعمل الصالح ؛ لعلَّ الله عزَّ وجل أن ينقذك من النار ، وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه برقم الحديث ٢٢٣ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

٩٠ - بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ

٣٥٧ - (٢٠٩) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيُّ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ ؟ قَالَ : { نَعَمْ ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } .

٣٥٨ - حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ ﷺ يَقُولُ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : { نَعَمْ ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ } .

٣٥٩ - وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ .

٣٦٠ - (٢١٠) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ

عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ : { لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ } .

(التعليق)

هذا الحديث أورد له الإمام مسلم طرقاً ، فالأول عن العباس بن عبد المطلب ، والثاني عن أبي سعيد الخدري ، وكذلك الثالث الذي لم يذكر فيه أبو طالب ، فهو عن أبي سعيد الخدر ي ، ومعلومٌ أنَّ هذا [1] لم يكن لغير أبي طالب ؛ لأنَّ أبا طالبٍ ، هو الذي كان يدافع عن النبي ﷺ فشفع فيه ﷺ وهذه إحدى الشفاعات السبع[2] ، منها ثلاثٌ خاصَّةٌ بالنبي ﷺ الشفاعة في فصل القضاء ، وهي المقام المحمود الذي وعده فيه ربه ، والشفاعة في فتح باب الجنة ، والشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

والحديث الذي لم يذكر فيه أبو طالب ، فإنَّ المقصود به أبا طالب ، وعلى هذا فالحديث تحدث عن شخصٍ واحد ، واخبار النبي ﷺ عن أبي طالب بأنَّه

---

[1] أي الشفاعة للكفار الذين دخلوا النار .

[2] بقية الشفاعات السبع ، فقد قال شيخنا أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله في الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق المجد الذي ألفه الشيخ محمد في باب الشفاعة ص١٥٨طبعة دار المنهاج : " أمَّا الشفاعات في أقوام استحقوا دخول النار ألا يدخلوها ، أو في أقوامٍ دخلوا النار أن يخرجوا منها ، والشفاعة في أهل الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ، والشفاعة في رفعة درجات أقوامٍ في الجنة ، فهذه الأربع عامَّة يشارك فيها النبي ﷺ وغيره من الأنبياء ، والصديقين ، والشهداء ، وسائر المؤمنين ، فهذه أربعٌ ، وتلك ثلاث (أي الخاصة بالنبي ﷺ) إذاً ، فالجملة سبع شفاعات ، اللهم اجعلنا ممن تُشفِّع فيهم نبيك ﷺ " .

وجده : { فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ } الضحضاح هو الماء القليل الذي لايتجاوز الكعب ، وهذا خاصٌّ بأبي طالب ، والذي في منزلة أبي طالب مستحقٌّ أن يكون في وسط النار ، والعياذ بالله ، لكن أبا طالب بشفاعة النبي ﷺ أذن الله بإخراجه من وسط النار ، إلى أن يكون في ضحضاحٍ منها ، ونسأل الله العفو والعافية ، وقوله تعالى : { فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ } [المدثر : ٤٨] أي لاتنفع الكفار الشفاعة بالكلية ، ولكن النبي ﷺ جعل الله الشفاعة له ، ولأبي طالب وحده ، وأن يخرج من وسط النار إلى ضحضاحٍ منها ، فهذه شفاعةٌ خاصة بالنبي ﷺ فلايشفع أحدٌ لغيره من المشركين ، لا في تخفيفٍ ، ولا في انقاذٍ من النار ، فيبقى هذا على عمومه ، ويخص منه الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب دون الإخراج من النار ، وبالله التوفيق .

٩١ - بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا

٣٦١ - (٢١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ } .

٣٦٢ - (٢١٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ } .

٣٦٣ – (٢١٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَابْنُ بَشَّارٍ ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ } .

٣٦٤ – وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا } .

(التعليق)

أورد فيه قوله : { أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ } وفي الرواية الأخرى : { إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا } والله سبحانه وتعالى يقول عن النار بـ : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۞ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ ۞ [المعارج : ١٥ – ١٨] والشَّوى قشرة الدماغ الذي يلف فيها ، وقيل أنَّ الشوى الجلد ، والمهم أنَّ حرَّ النار شديد ؛ نسأل الله أن يعافينا منها ،

فإذا كان هذا هو حال أبي طالب الذي دافع عن النبي ﷺ ، فكيف يأتي شخص ، ويقول أنا سيد ، وأنا جدي رسول الله ، ويفعل المناكر والموبقات ، والعياذ بالله

؛ جاهل جهلاً عظيم ، جهلاً بالشرع الإسلامي ، والذي يخالف رسول الله يعدُّ محارباً له ، فيكون مشاقّاً له ، وإذا كان ينتسب إليه ، وهو على غير دينه ، أو على غير العمل الذي ترك عليه أمته صلوات لله وسلامه عليه ، فكيف تنفعه نسبته إلى النبي ﷺ ؟ إذن نسبته إلى النبي ﷺ لاتنفع ؛ بل إنَّ بعض الناس لو انتمى وانتسب إلى رجلٍ من الصوفية الذين يقولون بوحدة الوجود ، لافتخر ، والعياذ بالله من غرور الشيطان ، علماً بأنَّ أصحاب وحدة الوجود الذين يعتقدون أنَّ للأقطاب تصرفاً ، وأنَّ الله حالٌّ في مخلوقاته أو بعضها ؛ وهذا كفرٌ أعظم من كفر اليهود والنصارى ، ونسأل الله العفو والعافية .

والذي يجب على المسلم أن يتبصر في دينه ، وأن يطلب العلم ليعرف الحق من الباطل ، حتى إنَّ الله عزَّ وجل ينقذه من نار جهنم ، إن هو وفقه الله ، وهداه الله للعمل ، ومع هذا فعليه أن يضرع إلى الله دائماً بالتوفيق والهداية : { اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[٣] وفي رواية : { إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ }[٢] ، وبالله التوفيق .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم الحديث ٦٨٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٨٣٤ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ٣٥٢٢ وصححه الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٠٩١ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٦٥٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

٩٢ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ

٣٦٥ - (٢١٤) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ : { لَا يَنْفَعُهُ ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } .

(التعليق)

قوله : " بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ " هذا هو الاعتقاد الصحيح ؛ مهما قدم من أعمال ؛ فإنَّ أعماله غير مقبولة ، لأنَّ الكفر بالله عزَّ وجل ، منع استفادتهم من تلك الأعمال ؛ والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ ﴾ [النور : ٣٩] ،وبالله التوفيق .

٩٣ - بَابُ مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُقَاطَعَةِ غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ

٣٦٦ - (٢١٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ قَيْسٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه

قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ ، يَقُولُ : { أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي ، يَعْنِي فُلَانًا ، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } .

(التعليق)

أولاً : يؤخذ من هذا الحديث الستر على من ذكر في شيء ربما يكون فيه فضيحةٌ له .

ثانياً : عدم ذكر الشيء الذي يؤدي إلى فتنة ، وسكوت الراوي عن هذا الرجل الذي ذكر في الحديث ، إنَّما هو من أجل أنَّه لو ذكر ؛ كان فيه فضْحٌ له ، وأنَّه سيؤدي إلى فتنة ، فلذلك ترك ذكر اسمه .

ثالثاً : أنَّ النبي ﷺ تبرأ من هذا مع أنَّه من قرابته من قريش .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه : { إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } يعني من كانوا ، وحيث كانوا ، فرابطة النسب مبنيةٌ إذا كان هذا الذي يكون قريباً للإنسان غير صالح ؛ بل كان من الفساق أو الكفار ؛ أو ما أشبه ذلك ؛ وهذا قد ضرب فيه الصحابة مثلاً عظيماً ، والله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ ..﴾ [المجادلة : ٢٢] إذن يجب عليك أن تتبرأ من أبيك ، ومن ابنك ، ومن أخيك ، إذا كانوا على الباطل ، ومن باب أولى أن تتبرأ من غيرهم من أهل الباطل ؛ وقال تعالى : ﴿ وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] كذلك أصحاب رسول الله ﷺ ضربوا في هذا أروع الأمثال فأبو عبيدة يقال أنَّه قتل أباه ، وعمر بن الخطاب قتل خاله ، ومصعب بن عمير مرَّ بأخيه وهو يؤسر أسره رجلٌ

من الأنصار ، فقال للأنصاري : " اشدد يديك به أو زد رباطه يا أخي ، فإنَّ أمَّه ذات متاع " يعني أمَّه صاحبة مال ستفتديه منك ، فقال له : هذا غناؤك عني يا أخي ، قال لست لك بأخ ، هذا أخي دونك " وقد رفع الله بلالاً الحبشي ، وصهيباً الرومي ، وخباب بن الأرت ، وأمثالهم من الموالي رفعهم الله ، ووضع أبا لهب ؛ الذي كان عدواً لابن أخيه محمدٍ ﷺ وحتَّى أبي طالبٍ الذي كان يحميه ، وكان يدافع عنه لم ينفعه ذلك ؛ إلاَّ في تخفيف العذاب عنه ، وقد نهي النبي ﷺ عن الاستغفار لهؤلاء المشركين ، ولذلك قال النبي ﷺ : { إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } .

ويؤخذ من هذا أنَّ الولاء ، والبراء أصلٌ من أصول هذا الدين ، فلايجوز أن نتولى من يكون متساهلاً في هذا الأصل أو في أصل الإسلام الذي هو التوحيد ، فبعض الدعاة في هذا الزمن ، وقبله بقليل ؛ تساهلوا في أمر توحيد العبادة تساهلوا فيه تساهلاً عظيماً بحيث أنهم لم يتكلموا عمن يعبدون غير الله ، ويتطوفون بالقبور ، وينذرون لأصحابها ، ويطلبون منهم جلب النفع ، ودفع الضر الذي لايقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، فتساهلوا في هذا ، وركزوا على نوعٍ واحدٍ من أنواع الشرك ألا وهو شرك التحكيم [أو الحاكمية] ولاشكَّ أنَّ هذا نوعٌ من أنواع الشرك بالله ، ولكن يجب أن نرفض الشرك بجميع أنواعه سواءً كان شركاً في العبادة أو شركاً في التحكيم أو من أي نوعٍ يكون ، يجب علينا أن نرفض جميع أنواع الشرك .

فمن تساهل في هذا ، فلايجوز لنا أبداً أن نتولاه ، وإنَّ بعض هؤلاء الدعاة الذين صار لهم أتباعٌ كثيرون في هذا الزمان ، تساهلوا في هذا تساهلاً عظيماً ، ولقد حاضر بعضهم في بعض أوكار الشرك بالله تعالى ، ولكنَّه لم ينبس عن الشرك بالله

ببنت شفة ، بل تكلم عن المحبة , والصفاء ، والتآخي ، فعلى ماذا ؟ هل يكون ذلك على عقائد مختلفة ؟ لا ، بل لابدَّ أن تكون العقيدة واحدة ، وهي التوحيد لله ، وأن يكون هذا الذي تجعله أخاً بريئاً من المعتقدات التي تناقض الإسلام ، كمعتقدات الخوارج أو المعتزلة أو الجهمية أو الأشعرية أو ما أشبه ذلك ، فيجب علينا أن نتولى من يوحد الله عزَّ وجل في جميع أنواع التوحيد الثلاثة ؛ التي هي توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ؛ ويحارب جميع أنواع الشرك ، فلايجوز أن نتولى من يتساهل فيها ، وبالله التوفيق .

ملحوظة :

قيل المكنى عنه هو الحكم بن أبي العاص ؛ الذي هو عمُّ عثمان بن عفان ﷺ ووالد مروان بن الحكم ، وقيل غير ذلك ، ومهما يكن الأمر ، سواء كان الحكم أو غيره ، فإنَّه يجب أن تتولى أكثر من اصطبغ بصبغة الإسلام والإيمان ، وتحبه محبةً أعظم من غيره ، فلذلك يجب أن تكون محبتنا لله ، وبغضنا لله ، وولاؤنا لله ، وتبرؤنا لله ، وألا يدفعنا لذلك شيءٌ من الهوى أو العاطفة ، فتوقعنا في إثمٍ عظيمٍ ، لايجوز لنا أن نفعله أو ندخل فيه أنفسنا ، وبالله التوفيق .

٩٤ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ

٣٦٧ - (٢١٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَّامِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْجُمَحِيُّ ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : { يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، فَقَالَ رَجُلٌ

: يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : { اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ } ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ : { سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ } .

٣٦٨ – وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : بِمِثْلِ حَدِيثِ الرَّبِيعِ .

٣٦٩ – حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ حَدَّثَهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : { يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ } ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ ﷺ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ } ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ } .

٣٧٠ – (٢١٧) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا زُمْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ } .

٣٧١ – (٢١٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ الْبَاهِلِيُّ ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عِمْرَانُ ﵁ قَالَ : قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : { يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، قَالُوا : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : { هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : { أَنْتَ مِنْهُمْ } ، قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : { سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ } .

٣٧٢ – حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ عُمَرَ أَبُو خُشَيْنَةَ الثَّقَفِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْأَعْرَجِ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : { هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } .

٣٧٣ – (٢١٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : { لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا ، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ – لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيَّهُمَا قَالَ – مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ } .

٣٧٤ – (٢٢٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى

الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ قُلْتُ : أَنَا ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ ، قَالَ : فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : اسْتَرْقَيْتُ ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ : وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ ، أَوْ حُمَةٍ ، فَقَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ } ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : { مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟ } فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : { هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، فَقَالَ : { ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : { أَنْتَ مِنْهُمْ ؟ } ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : { سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ } .

٣٧٥ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ حُصَيْنٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ } ، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ هُشَيْمٍ وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِ .

(التعليق)

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه من عدة طرق :

الطريق الأول عن : { مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه } والطريق الثاني عن : { سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه } والطريق الثالث عن : { أَبُو يُونُسَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه } والطريق الرابع عن : { مُحَمَّدٍ ، يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ } والطريق الخامس عن : { الْحَكَمُ بْنُ الْأَعْرَجِ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه } والطريق السادس عن : { أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه } والطريق السابع عن : { بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ ... عن ابْنُ عَبَّاسٍ } وحديث ابن عباس أتم ، من حيث أنَّه أتى بعرض الأنبياء ، وأممهم على رسول الله ﷺ والأحاديث الأولى ذكرت السبعين ألفاً ؛ الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ، ولاعذاب ، وقد ورد في الحديث : { إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ

الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً }[1] .

وعلى هذا ما هي الأعمال التي في الحديث استوجبت لهم دخول الجنة بغير حساب ، ولقد خاض أصحاب النبي ﷺ في أولئك ، وما هي أعمالهم التي استوجبوا بها دخول الجنة بغير حساب ، فقال بعضهم : { فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } وفي الرواية الأخرى : { هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } .

قوله : { وَلَا يَسْتَرْقُونَ } الاسترقاء : هو طلب الرقية من الغير ، والتطير هو أن يتشاءم الإنسان بالطير إذا صاح عليه أو على طريقة من يتشاءمون بالطيور من المشركين ، وقد جاء في الحديث : { الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ }[2] وفي الحديث الآخر : { إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ ، أَوْ

---

[1] الحديث متفقٌ عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٣٣٢٧ وأخرجه الإمام في صحيحه برقم ٢٨٣٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] الحديث أخرجه الإمام مسلم برقم الحديث ٣٦٨٧ و٤١٧١و٣٦٨٧ و٤١٧١ وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٥٣٨ وأخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم ٣٩١٠ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه برقم ١٦١٤ وصحح الحديث الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٤٢٩ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

رَدَّكَ }[1] يعني كونك تجد في قلبك بعض الشيء ، وتصرفه ، وتدفعه ، فهذا إن شاء الله لايضر ، ولكن كونك تتشاءم ، وترجع إذا رأيت ما تكره ، هذا هو التطير الذي لايجوز .

ثمَّ التطير هو التشاؤم مهما يكون ، فمثلاً أصحاب فرعون تشاءموا بموسى عليه السلام وقومه ، وتطيروا بدعوته ، فقال لهم : ﴿ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ [النمل : ٤٧] وكذلك أيضاً الأمم الكافرة تتطير بالدعوات الحقة ، وهذا حاصلٌ في المسلمين ، ففي المسلمين من الجفاء ما يجعلهم يقعون في ذلك وهم لايشعرون ، وقد سمعنا كثيراً من يقول : " منذ أن جاءنا هؤلاء المطاوعة ما رأينا خير " فهذا حاصلٌ ، وهكذا .. فمثل هذا التشاؤم لايجوز ، لأنَّه من الشرك .

قوله : { وَلَا يَكْتَوُونَ } قد اختلف أهل العلم في التطبب هل مكروهٌ أو مباحٌ ؟ وما هي المزية التي كانت لهؤلاء ؟ الأولى أن يقال أن التطبب بالمباح أمرٌ جائزٌ ، ولكن هؤلاء الذين تركوا التطبب المباح ؛ توكلاً على الله عزَّ وجل ، واطمئناناً إلى ما كتب ، وسجِّل في اللوح المحفوظ ، وتوكلاً على الله ، وثقةً ورضاً بما قدَّر هؤلاء لعلهم نالوا هذا [2] بهذه الدرجة .

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ١٨٢٤ من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما ؛ قال محقق جامع المسانيد لابن الجوزي : " وضعّف المحقّقون إسناده لضعف محمد بن عبد اللَّه بن عُلاثة، ولأن مسلمة الجهني لم يدرك الفضل " .

[2] أي أن يكونوا من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب .

قوله : { مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ } أي يكونون صفاً ، ويدخلون متماسكين ، وهذا يدل على اتساع أبواب الجنة ، وقد جاء في الحديث : { أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ }[1] وبعض أبواب الجنة وصف بغير ذلك [2]، إذن هذا يدل على سعة أبواب الجنة ؛ نسأل الله أن يجعلنا من أهلها .

قوله : { قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ ﷺ } من بني أسد بن رئاب ، هؤلاء يقال لهم بني أسد بن رئاب ، ومنهم عكَّاشة بن محصن ﷺ ، وأخته أمُّ قيس بنت محصن رضي الله عنها التي حديثها في بول الرضيع ، ومنهم زينت بنت جحش من بني أسد بن رئاب ، ومنهم إخوانها .

قوله : { فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ ﷺ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ } النمرة هو الكساء المخطط { فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ } وفي رواية : { أَنْتَ مِنْهُمْ ؟ } وفعلاً فقد قتل عكَّاشة بن محصن ﷺ شهيداً عندما وقعت الردة ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٩٦٧ من حديث عتبة بن غزوان ﷺ .

[2] جاء في صحيح الإمام البخاري برقم الحديث ٤٧١٢ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ – أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى – ﴾ وفي صحيح الإمام مسلم برقم ١٩٤ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ﴾ .

وارتد طليحة الأسدي ، وخرج خالد بن الوليد ﷺ لقتاله ، وأرسلهم عيناً هو ورجلٌ آخر ، والذي يقال له ثابت بن الأقرم ﷺ ، فلقيهم طليحة وقتلهما .

قوله : { ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ } وفي رواية:{ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ }وهذا من سياسة الشارع الحكيم ، فلو فتح الباب لهذا ، فإنَّ الكلَّ سيقولون : ادع الله أن يجعلني منهم ، فيأتي من لايستحق هذا ، فقال : { سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ } وسدَّ الباب .

قوله : { الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ } أي الكوكب الذي أضاء .

قوله : { قُلْتُ : أَنَا ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ } اتقاء أن يظن بأنَّه في صلاة ، وهو لم يكن كذلك ، فأراد أن يبين الحقيقة ، وقد ذمَّ الله عزَّ وجل الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا [1] والعياذ بالله ، وكذلك قال ذلك أيضاً خوفاً من الرياء .

قوله : { وَلَكِنِّي لُدِغْتُ } يعني قَبَصَني ثعبان أو عقرب أو ما أشبه ذلك .

قوله : { قَالَ : فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : اسْتَرْقَيْتُ } أي طلبت من يرقيني .

قوله : { قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ } لعلَّه كان يظنُّ أنَّ رقية نفسه لاتنفع أو لاتشرع أو ما أشبه ذلك .

---

[1] كما قال الله تعالى في سورة آل عمران في الآية رقم ١٨٨ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قوله : { قُلْتُ : حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ } عامر الشعبي أحد التابعين { قوله : { قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ } بشرط أن يكون ما سمعه حقّاً .

قوله : { عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ } أي من الأنبياء من يدعوا ولايسلم على يده أحد ، وفي هذا ردٌّ على من يتهم من لايستجيب له أحد بعدم الإخلاص ، وإذا استجاب له أحدٌ قالوا هذا مخلص ، فليس الأمر كذلك ؛ بل إنَّ الإخلاص ، وعدم الإخلاص ، هو أمرٌ يعلمه الله عزَّ وجل ، ولكن لايترتب عليه استجابة أو عدم استجابة .

فذلك لوطٌ عليه السلام مكث في قومه يدعوهم سنين طويلة تزوج منهم ، ومكث إلى أن عجزت امرأته وشاخت ، وهي ما زالت على دينهم ، وكانت تعاديه ، ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم : ١٠ – ١١] وكذلك كانت امرأة فرعون مؤمنة ، وفرعون أكفر الناس الذي ادعى الألوهية ، ومع ذلك لم يضرها كفره ، بل إنَّ الله سبحانه وتعالى رفعها ، ويقال إنَّهما ستكون هي ، ومريم بنت عمران من زوجات النبي ﷺ [في الجنة] .

والمهم في هذا أنَّ لوطاً عليه السلام ما استجاب له أحد إلا بناته ، اللاتي آمنَّ به فقط ، ولم يخرج منهم[1] لأنَّهم كانوا أشقياء ، والعياذ بالله .

قوله : { إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ } بين موسى بن عمران ، وبين عيسى بن مريم عليهما السلام ، فيما ذكره المؤرخون ألفٌ ، وتسعمائة سنة ، كالمدة التي بيننا الآن ، وبين ولادة عيسى بن مريم عليه السلام ، ومع ذلك فإنَّ أتباع موسى عليه السلام كثير ، ولكن أتباع محمدٍ ﷺ أكثر .

قوله : { وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ } أي نظر إلى الجهات كلها { فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ } أي غطَّى الأفق ، وفي بعض الروايات { انْظُرْ عَنْ يَمِينِكِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا الظِّراب ؛ ظِرَابُ مَكَّةَ ؛ قَدِ اسودَّ بِوجُوهِ الرِّجَالِ }[2] { فَقِيلَ لِي : انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ } .

وقد ورد في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال : { وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ ؛ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ

---

[1] أي لم يخرج أحدٌ من قومه من العذاب ؛ إلا من آمن به ، والعياذ بالله .

[2] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٣٩٨٧ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم ٧٣٤٦ وصحح الحديث الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم ٧٣٠٢ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

أَلْفًا ، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي }[1] وقيل مع كل رجلٍ سبعين ألفاً ، ولو ضربنا ٧٠٠٠٠ في ٧٠٠٠٠ يكون الناتج ٤،٩٠٠٠٠٠٠٠٠ (بليون وتسعمائة مليون) وعلى كلِّ حال هذا فضلٌ عظيم ، نسأل الله ألا يحرمنا الفضل ، وأن يجعلنا من أهل جنته ، وبالله التوفيق .

٩٥ - بَابُ كَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٣٧٦ - (٢٢١) حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : { أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } قَالَ : فَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : { أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } قَالَ : فَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : { إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ، مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ } .

٣٧٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَقَالَ : { أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ ،

---

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث ٢٢٣٠٣ وأخرجه الإمام ابن ماجه برقم ٤٢٨٦، وأخرجه الإمام الترمذي برقم ٢٤٣٧ وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٤٣٠ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

فَقَالَ : { أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } فَقُلْنَا : نَعَمْ ، فَقَالَ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَاكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ } .

٣٧٨ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ مِغْوَلٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى قُبَّةِ أَدَمٍ ، فَقَالَ : { أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللهُمَّ اشْهَدْ ، أَتُحِبُّونَ أَنَّكُمْ رُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } فَقُلْنَا : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ : { أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } قَالُوا : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ ؛ قَالَ : { إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ } .

(التعليق)

أورد هذا الحديث من عدة أوجه أولها عن : { أَبُو الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ } والثاني عن : { شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ } والثالث عن : { مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ مِغْوَلٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ } ابن مسعود ﷺ .

والمهم أنَّ النبي ﷺ قال لأصحابه : { أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } قَالَ : فَكَبَّرْنَا } أي فرحاً { ثُمَّ قَالَ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ } قَالَ : فَكَبَّرْنَا } أي فرحاً { ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ

أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ، مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ } وهذا في الحقيقة بشرى للمسلمين ، وبالأخص الذين هم على السنة ، ونحمد الله الذي وفقنا للاسلام ، وهيأنا للعلم والمعرفة ، وجعلنا من أتباع رسوله ﷺ .

أمَّا قوله صلوات الله وسلامه عليه : { مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ } نحن الآن نسمع ، ونقرأ بأنَّ عدد الناس الذين في الهند يبلغ ٧٠٠ مليون ، وأنَّ الذين يبلغ عددهم ١٠٠٠ مليون [١]، وأنَّ عدد الناس في أمريكا كذا ، وفي روسيا كذا ، وهكذا ، وهكذا ، فلو نظرت إلى المسلمين يبلغ عددهم فيما يقال ١٠٠٠ مليون ، ولكن تجد معظم هؤلاء المسلمين اسلامهم اسم ، أمَّا المسلمين على الحقيقة ، الذين هم على العقيدة الصححية عقيدة التوحيد ؛ التي هي سليمةٌ من البدع التي تهدم الإسلام ، فإنَّك تجد النسبة أقلَّ من ذلك بكثير ، وعلى كلِّ حالٍ ، فإذا كان هذا في الناس الذين نعلمهم ، فيأجوج ومأجوج الذين وراء السد لانعلمهم ، ولايعلمهم أحدٌ من الناس ، والله سبحانه وتعالى قد أظلَّ الناس عنهم مهما كان تقدمهم بالطائرات ، والغواصات ، وعبارات ، وحاملات سفن ، وغير ذلك كل هذا لم يصل أحدٌ إلى يأجوج ومأجوج ، وما يخرجون إلا حين يأذن الله عزَّ وجل : ﴿ فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۞ وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ

[١] وهذا العدد ذكره شيخنا أحمد النجمي رحمه الله قبل أكثر من ٣٠ عاماً، فما باالك بأعدادهم اليوم .

يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ [الكهف : ٩٨ - ٩٩] وجاء في حديث الدجال : { ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ .. }[1] فسبحان الذي أضل الناس عنهم ، ولم يصلوا إليهم ، ولايعرفوا مكانهم حتى الآن ، ولايمكن أن يعرفوا مكانهم إلى أن يأذن الله بخروجهم .

ويجب علينا أن نحمد الله عزَّ وجل على نعمة الإسلام ، ثمَّ على نعمة العقيدة الصحيحة التي هدانا إليها ، وإذا كان كثيرٌ من المسلمين الآن يسمون مسلمين ، وهم مع ذلك يهدمون الإسلام من حيث لايشعرون ، فلاشك أنَّ الإسلام بالاسم لايدخلهم في الإسلام الحقيقي ، والإسلام الحقيقي ؛ هو الذي ينفع العبد ، ويزحزحه عن النار ، ويدخله الجنة ، ويسير به على الصراط ، ويثقل ميزانه حين تخف الموازين ، ويحمد المسلم الله عز وجل أنَّه ما جعله من أهل الفسق والفجور والتمتع باللذات المحرمة التي حرمها الله عز وجل ، فهذه نعمةٌ عظيمة ، وليسأل الله أن يثبته على هذا الإسلام ،

وبالله التوفيق .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم الحديث ٢٩٣٧ من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه .

ملحوظة :

أنَّه قد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال : { كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَكُمْ رُبُعُهَا ، وَالنَّاسُ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهَا ؟ قَالَ : فَقَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَثُلُثُهَا ؟ قَالُوا : فَذَاكَ الْخَيْرُ ، قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ وَالشَّطْرُ ؟ قَالُوا : فَذَاكَ أَكْثَرُ ، قَالُوا : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ صَفًّا ، أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا }[1] وفي رواية : { أَهْلُ الْجَنَّةِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ صَفًّا ، أَنْتُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا ، وَالنَّاسُ سَائِرُ ذَلِكَ ، وَأَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ }[2] إذن ثلثي أهل الجنة من هذه الأمة ، والثلث [الأخير] من سائر الأمم ، وبالله التوفيق .

٩٦ - بَابُ قَوْلِهِ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ

٣٧٩ - (٢٢٢) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعَبْسِيُّ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

---

[1] الحديث أخرجه الإمام ابن ابي شيبة في مصنفه برقم الحديث ٣٨٠ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ وبنحوه أخرجه الإمام الطحاوي في مشكل الآثار برقم ٣٦٦ من حديث بريدة ﷺ

[2] أخرجها الامام الطبراني في المعجم الكبير برقم الحديث ١٠١٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٤٠٣ برقم الحديث ١٨٦٧٩ " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ حَمَّادُ بْنُ عِيسَى الْجُهَنِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ " من حديث بريدة ﷺ أيضاً .

{ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا آدَمُ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، قَالَ يَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ : فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ } قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : { أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا ، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ } قَالَ : ثُمَّ قَالَ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ } فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا . ثُمَّ قَالَ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ } فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا . ثُمَّ قَالَ : { وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ } .

٣٨٠ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، **ح وَحَدَّثَنَا** أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّهُمَا قَالَا : مَا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ وَلَمْ يَذْكُرَا أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ .

(التعليق)

قوله : { يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا آدَمُ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، قَالَ يَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ } الواحد من الألف هؤلاء هم المؤمنون ، وفيهم

المنافقون ، بدليل أنَّه : { يُقَالُ لِلْيَهُودِ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ المسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ ، وَلاَ وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَارَقْنَاهُمْ ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، قَالَ : فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : السَّاقُ ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ... }[1] .

قوله : { فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ } قال النووي رحمه الله : " معناه موافقة آية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ [الزلزلة : ١-٢] إلى آخرها ،

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم الحديث ٧٤٣٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً ﴾ [المزمل : ١٧] وقد اختلف العلماء في وقتٍ وضع كلَّ ذات حملٍ حملها ، وغيره من المذكور ، فقيل : عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا ، وقيل هو في القيامة ، فعلى الأول هو على ظاهره ، وعلى الثاني يكون مجازاً ؛ لأنَّ القيامة ليس فيها حملٌ ، ولاولادة " وهذا لاينبغي أن يقال ؛ بل النبي ﷺ هو الصادق المصدوق ، فالحامل التي تموت ، وفي بطنها حملها تبعث ، وحملها في بطنها ، فلعل المراد هذا ، وعند ذلك { وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا } عندما يأمر الله آدم بإخراج بعث النار ، وكلٌّ يخاف على نفسه ، حتى إنَّ عمر رضي الله عنه من شدة خوفه من الله فيما يروى عنه أنَّه قال : " لو نادى منادٍ أنَّ أهل كلِّ الموقف إلى الجنة إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون ذلك الرجل " الله أكبر ، الله أكبر ؛ لا إله إلاَّ الله ، فحينئذٍ من شدة الخوف تبلغ القلوب الحناجر ، ومن شدة الخوف يشيب الوليد ، وتضع كل ذات حملٍ حملها ، هذا هو القول الأصح في هذه المسألة فيما أرى .

والحمد لله أنَّنا قد انتهينا الليلة من كتاب الإيمان ، وبالله التوفيق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .